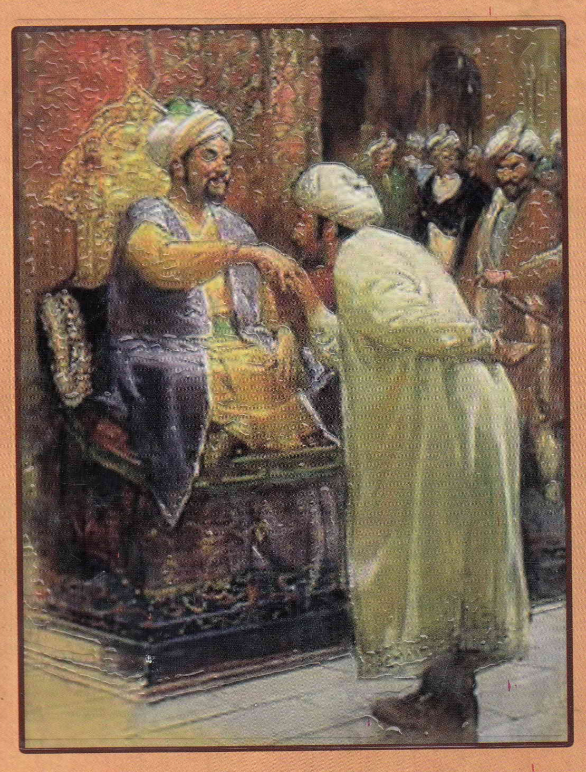
حسن بن فرحان المالكي

حديث معاوية

فرعون هذه الأمة



دار المحجة البيضاء

حديث
معاوية فرعون هذه الأمة

حسن بن فرحان المالكي

حديث
معاوية فرعون هذه الأمة

دراسة حديثية موسعة لحديث (معاوية فرعون هذه الأمة)

وتشتمل على:

١. تخريج الحديث ودراسة طرقه ورجال أسانيده وشواهده وقرائنه ١

٢. ومواقف أهل الحديث من متن الحديث وأسانيده

٣. ومحاولة معاوية معارضاته بحديث في أبي جهل



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

ISBN 978-614-426-608-3



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

بسم الله الرحمن الرحيم

هل لهذه الأمة فرعون؟ أتت الأحاديث السنية برجلين، وردت في كل منهما أحاديث بأنه (فرعون هذه الأمة) وهما أبو جهل ومعاوية، إلا أن الحديث في أبي جهل ضعيف منقطع ولا واقع له من حيث السلطة والجنود والسحرة، والحديث في معاوية صحيح الإسناد ويدعمه الواقع من حيث الملك والجنود والسحرة والاضطهاد وتفريق الأمة شيعاً..الخ.

وكان حديث معاوية متداولاً يعرفه خواص أهل العلم في الوسط السني إلا شهرته تذبل مع الزمن حتى كانت النكبة الثقافية الأخيرة في عهد المتوكل العباسي (٢٣٤-٢٤٧هـ) فأضاعت كثيراً من الأحاديث والأحداث المتداولة قبلها، حتى أصبح مشهورها غريباً، فالمرحلة المتوكلية نصرت الشق الناصبي في أهل السنة - وكان قليلاً- إلى أبلغ حد ممكن، وكانت نتيجة هذه المرحلة المتوكلية أن قادت السلفيةُ المحدثةُ أهلَ السنة إلى الانغلاق والتقوقع والتعصب الشديد والتكفير والتصنيف، مع عمليات هائلة من العبث بالحديث من الإخفاء للأحاديث غير المرغوب فيها والبتر لها وتحريفها وتقوية ما يضادها ولو كان موضوعاً، وتضعيف الثقات من الفرق الإسلامية وتوثيق الضعفاء من أهل المذهب..الخ، إنه الجنون المذهبي بكل تجلياته، إنه انقلاب مذهبي، وهو أشد من الانقلاب السياسي- وأنتم تعرفون الانقلابات السياسية- فالمتعصب مذهبياً متوحش بالفطرة، لأنه منغلق بالطبع، فلا يلاقي الفريق الآخر ولا يسلم عليه ولا يراسله ولا يجالسه.. الخ، بينما السياسي مفاوض بطبعه، ويعرف أنه مسؤول عن الجميع، فيضطر أن يكون أكثر تسامحاً، فإذا انقلب فلا يطيق ذكر حسنات سلفه ولا ذكره بخير فكيف بالمتمذهب المتعصب الحمق؟.

إذن فهذا الانقلاب الثقافي في عهد المتوكل، كان شديداً جداً، لم يستطع العقل أن يوقفه عند حد، فوصل التشبيه والجبر غايتهما، وكاد النصب أن يصل غايته أيضاً[1]، وهذا الثلاثي (النصب والجبر والتشبيه) هي المادة الثقافية الأكثر شيوعاً في العامة منذ العهد الأموي، وفي كل هذه العقائد الثلاث فوائد لا تحصى لكمل مستبد، سياسياً كان أو متمذهباً.

المرحلة المتوكلية درستها سياسياً ومذهبياً بعمق، وهذا ما وفر عندي القناعة الكافية لأن أفرق في كتبي بين السلفية العتيقة والسلفية المحدثة، وكذلك السنة المحمدية والسنة الأموية، وهكذا.. وهذا الفصل الحاسم لم أفعله إلا بعد قراءتي لتطور الرواية ومناهج أهل الحديث، وكيف اختلف المتقدمون قبل المتوكل عن المتأخرين في عهده وبعده، هذا كله من حيث الجملة، وإلا فالأثر القرشي ثم الأموي كان أقدم من الحلف (المتوكلي - الحنبلي)، وكان الأثر القرشي شديداً على الحديث منعاً ثم رواية، فمنعوا أيام كان الواجب التدوين، ودونوا أيام كان الواجب التوقف، وأكثروا أيام كان الواجب التقليل، مع هجر شبه تام لهدي القرآن الكريم، وهجاء تام للعقل الذي أمر الله به، فاكتملت المأساة الثقافية، واختلطت الأحاديث النبوية مع الأحاديث الشعبية المنتشرة عبر المنابر الظالمة المحملة بتلك الثقافة، وعبر التدوين المؤدلج بتلك الخصومة ونشوة النصر! والمتعصب مذهبياً يغضب غضب الصبي ويحقد حقد الجمل ويبطش بما تحت يديه، ولا يشبعه شيء، وغالباً هم بنصف دين يزيله نصف عقل، والثقافة الشعبية تكون قاسية، لأن الثقافة الشعبية في الأنظمة المستبدة إنما تشكلها السلطة بالدرجة الأولى، والسلطان إن صلحت نيته لا يبث إلا ما يفهمه (إن أريكم إلا ما أرى) فكيف إن ساءت النية؟.

إذن فالأصل السني هو الاعتدال، ولم يبق من يمثل ذلك الاعتدال والإنصاف والمعرفة إلا قليل من أحرار أهل السنة بعد أن اجتاحت السلفية المحدثة العامة وأخرجت منهم علماء يمثلونهم إلا أنهم يجيدون النحو والصرف ويحفظون الأحاديث، أما الهم المعرفي وخدمة المعلومة وحرية التعبير واحترام حقوق الإنسان

---

(١) ذكرت الدلائل على هذا التعصب في النصب والجبر والتشبيه في كتابي (قراءة في كتب العقائد - المذهب الحنبلي نموذجاً) مطبوع، والجنون مستمر إلى اليوم.

وكرامته فقد ذبل داخل أهل السنة إلا عند بقايا من الأحرار الذين يرون لخصومهم الحقوق نفسها التي لهم، بعكس التيار السلفي المحدث، فعقائدهم تشرعن القطيعة مع الأخ المسلم إذا خالف في مسألة واحدة، وربما يطلبون استتابته أو قتله، وأحرار السنة يتميزون بسقف عالٍ من الحقوق فلا يرون عقوبة إلا بنص يقيني، بينما السلفية المحدثة توسعوا في العقوبات حتى أصبحنا نتساءل هل بقي شيء ليس في جلد ولا سجن ولا استتابة ولا قتل ولا هجر.. الخ.

والسلفية المحدثة هي آخر ملاجيء الطغاة، فقد رأينا هذه الأيام كيف أن بعض الطغاة يتمسلف في آخر أمره، مما يدل على أن السلفية المحدثة هي حليفة الظالمين من السلاطين عبر التاريخ، وهي تشكر للظالم ما وفره الله للناس من نعمة الهواء والماء والحياة!

وحتى لا نخرج مرة أخرى عن الموضوع، فإن حديث (فرعون هذه الأمة) ورد في حق اثنين هما أبو جهل ومعاوية، فأي الحديثين اصح؟ وهل هناك أثر أموي في نقل الحديث لأبي جهل؟ أم أن هناك أثراً شيعياً في نقل الحديث لمعاوية؟ وهل نستطيع من القرآن الكريم أو العقل أو التاريخ أن نعرف أقرب الرجلين إلى سلوك فرعون؟ وما هي خصائص فرعون وحكمه في القرآن الكريم حتى ننظر إلى أي الرجلين تقترب هذه الصفات؟ وهل كان الحديث في معاوية مشهوراً قبل السلفية المحدثة ثم اشتهر حديث أبي جهل أم لا؟ وهل الأولى أن نجعل الحديث في أبي جهل ليقينية كفره عند جميع المسلمين بدلاً من إضافة مادة خلافية بينهم؟ وهل الأمر بأيدينا حتى نجعل هذا الحديث هنا وذاك الحديث هناك أم أن هناك منهجاً يجب أن ننصره حتى لو أوصلنا إلى ما نكره ثبوته؟ هل يكون الباحث باحثاً عندما يلحق أمنيته وهواه أم عندما يكسر هواه لصالح المعلومة الجديدة إذا قاده المنهج إليها؟

أسئلة كثيرة، وليس بالضرورة أن نتفق عليها.. لكن لنبحث ونتساءل ونكثر من مساحة الظن والترجيح على حساب مساحة القطع والتلزيم، فالعلم لا ينمو في مجتمع بلا أسئلة ولا احتمالات، وسبق أن قلت أنني عندما أصحح إسناد حديث فلا يعني أنني أجزم بصحته وإنما أرجح، ولا أجزم بصحة حديث إلا وفق شروط زائدة على

شروط أهل الحديث، وكل حديث أصححه يكون له قرائن وشواهد وحواضن قرآنية، أما إذا لم يتوفر فلا، وهذا بعكس من يخالفني من هؤلاء الأخوة من شباب السلفية المحدثة وشيوخهم، فهم مع الإسناد فقط حتى لو خالف المتن القرآن والعقل، ولذلك ربما من المستحسن أن أذيقهم من الأسانيد الصحيحة في ذم معاوية ما يجعلهم بين أمرين، إما أن يصدقوها وبهذا يلزمهم الخروج الجزئي عن التعصب المذهبي، بحيث يأخذون من المذهب ويتركون، وإما أن يردوها وبهذا نساعدهم على توسيع البحث خارج المعتقلات الإسنادية، وفي هذا نصرة للعقل المظلوم داخل التيار السلفي، والذي نستطيع أن نصلح له عقله فهذا أفضل عندما من ذمه لمعاوية، لأنه بهذا نكون قد أخرجناه من نصف السجن، وبقي النصف الآخر وهو الضمير، فإذا التقت صحة العقل مع نقاء الضمير، فقد تمت الهداية، ولا نزكي أنفسنا لا في الأولى ولا الثانية، إلا أننا نعرف أن عقولنا ضمائرنا أفضل من التيار السلفي الذي عايشناه وعرفناه، نعرف هذا بمعايير واضحة للعقل والقلب لا يمكن استعراضها هنا وقد سبقت مبثوثة في بعض الكتب التي سبقت، ولكن أؤكد أن النقص مازال شديداً في الأمرين حتى عند من يدعي أنه من أحرار السنة مثل شخصي الضعيف، ولكن بعض الشر أهون من بعض، والكلام في هذه الموضوعات الضمائرية والعقلية ضروري، لأن النقص ليس في البراهين فقط، فالبراهين قد أوصلها الأنبياء فكفر أكثر أقوامهم، وإنما النقص الأكبر في (جهاز الاستقبال)، من سمع وبصر وعقل وقلب وجوارح، وهذه سيرة الرسل وأممهم في القرآنِ الكريم، لم يكفروا لنقص برهان وإنما لنقص ضمير، وتعطيل عقل، وصمم وبكم وعمى اختاروه هم، فلما زاغوا ابتداء؛ أزاغ الله قلوبهم عقوبة، وكثير من السلفية المحدثة وسائر المتعصبة لا يهديهم الله عقوبة لهم على عنادهم والتفافهم حول شيخ أو مذهب أو سياسة أو حزب وتركهم النصوص الشرعية والدلائل العقلية، فكثرة الغطاء على القلب والعقل يتم بفعل من الفرد نفسه من كبر أو عصبية أو عناد أو حسد..، فهو يعاقب نفسه بنفسه، وهذه من أظهر دلائل حكمة الله في خلقه، وهي مفاتيح معرفة الآيات الكثيرة في مسألة القدر التي خلط فيها أكثر من الناس، لأنهم يجهلون عدل الله، والجهل بعدل الله ثقافة سلطانية بامتياز، والكلام طويل، والفرعنة الثقافية من تلك الفرعنة السياسية، نعوذ بالله من قلب كل متكبر جبار.

وقد قسمت كتابي هذا إلى أربعة مباحث رئيسة وهي:

المبحث الأول: الأحاديث في (معاوية فرعون هذه الأمة) وهي ثلاثة أحاديث.

المبحث الثاني: الممانعات: ممانعة النواصب والسلفية المحدثة

المبحث الثالث: الشهادات: الصحابة والتابعين

المبحث الرابع: المعارضات: معارضة الحديث بحديث (أبو جهل فرعون هذه الأمة)

المبحث الخامس: الحاضنات: الحاضنات القرآنية ومصاديقها التاريخية

الملحقات.. ملحقات الرواة والزيادات والتفصيلات.

وهناك أبحاث فرعية تحت كل مبحث سترونها في مواضعها، وسنبدأ بتعريف فرعون في اللغة..

معنى فرعون اللغة:

معاني فرعون تدور حول معاني التجبر والمكر والدهاء، فإذا اجتمع هذا مع السلطنة فقد اكتمل، وقد ورد حديث (فرعون هذه الأمة) في اثنين، هما أبو جهل ومعاوية، فمن منهما أقرب لمعنى فرعون؟ سلطنةً وتجبراً ودهاءً؟ أمعاوية أم أبو جهل؟ مع الأخذ في الاعتبار توفر دواعي تحميل أبي جهل أي شيء، وتوفر دواعي تبرئة معاوية من كل شيء؟ فقد أصبح أبو جهل كبش قريش الذي حشروا فيه كفر كفار قريش وطلقائهم كأبي سفيان ونحوه، وكذلك جعلوا عبد الله بن أبي كبش المنافقين الذي حشروا فيه نفاق أبي عامر الفاسق ونحوه من حلفاء أبي سفيان.

التوثيق من كتب اللغة:

1. في لسان العرب - (ج 13 / ص 323): الفَرْعَنَةُ الكِبْرُ والتَّجَبُّر اهـ.
2. في لسان العرب أيضاً- (14 / 56): (وفي حديث أَبي ذر أَنه قال لفلان[1] أَشهد أَن النبي صلى الله عليه وسلم قال إِني أَو إِياك (فرعونُ هذه الأُمة) يريد أَنك

(١) هو معاوية ولكن أهل اللغة يقلدون أهل الحديث ويخشون نقمتهم فيخفون اسم معاوية..

فرعونُ هذه الأُمة ولكنه أَلقاه إليه تعريضاً لا تصريحاً وهذا كما تقول: أَحدُنا كاذبٌ، وأَنت تعلم أَنك صادق ولكنك تُعَرِّضُ به اهـ

3. في مختار الصحاح - (ج 1 / ص 517): فِرْعَوْنُ لقب ملك مصر وكل عاتٍ فرعون، والعتاة الفَراعِنَةُ وقد تَفَرْعَنَ وهو ذو فَرْعَنَةٍ أي دهاء ونكر، وفي الحديث {أخذنا فرعون هذه الأمة} اهـ

التعليق:

هكذا قال، وهناك تصحيف أو تحريف، والصواب أن الحديث حديث أبي ذر (أحدنا فرعون هذه الأمة) ويقصد معاوية، ولعل التحريف طباعي، والحديث نفسه في مصادر أخرى صريحاً.

4. ففي غريب الحديث للخطابي - (ج 2 / ص 250) قال: (وهو كقول بعض الصحابة لرجل[1]! قد علمت أن رسول الله قال إن أحدنا فرعون هذه الأمة يعنيه بذلك) اهـ.

قلت: والقائل هو أبو ذر، قالها لمعاوية..كما سيأتي موثقاً في الأحاديث، ولكن الخطابي أو المصدر أخفى اسم أبي ذر واسم معاوية حماية لمعاوية، وهذا أصبح منهجاً عاماً للسلفية المحدثة من أيام المتوكل خاصة، وكان أكثر أصحاب الفنون من لغة وتاريخ يجاملونهم ويحذفون ما يسيء إلى معاوية، أو أنهم أخذوا الحديث محرفاً، والمحرف إما خائن أو خائف.

(١) هو معاوية..

المبحث الأول

الأحاديث في أن معاوية فرعون هذه الأمة

وردت عدة أحاديث مرفوعة بعضها صحيح الإسناد بأن (معاوية فرعون هذه الأمة)، وصحة الإسناد عندي لا تقتضي صحة المتن إلا بقرائن وشواهد، بعكس السلفية المحدثة، فهم لا يعرفون صحة المتن من معناه وإنما من إسناده، إلا أنهم يضطربون إن صح إسناد حديث في ذم معاوية، فيتكلفون تضعيف السند، أو يقابلون الحديث بالإهمال أو الحذف أو البتر أو بوضع بحديث آخر مضادٍ له وينشرون ذلك الحديث المضاد في كتبهم.. وغير ذلك من الأساليب التي سبق ذكرها والتوسع فيها وكشفها في الكتاب الذي خصصناه في حديث (يموت معاوية على غير ملتي) وسنده على شرط الصحيح، ولكننا رأينا العجب في تعدد أساليب مقاومة النواصب والسلفية المحدثة لهذا الحديث، وقد تستفيد صحة الحادثة من ارتباك النافين!

وهنا سنستعرض طرق حديث (معاوية فرعون هذه الأمة) وسنرى الارتباك نفسه عند السلفية المحدثة، بسبب قوة الأسانيد، ثم سنبحث الشواهد والقرائن والأسباب التي دعتنا إلى ترجيح صحة الحديث.

الحديث الأول: حديث ابن عمر:

الحديث في المنتخب من علل الخلال - (ج ١ / ص ٣٢) عن ابن عمر:

وقد نقله الخلال عن مهنا تلميذ حمد عندما سأل أحمد بن حنبل يحيى بن معين فقال:

(وقلت لأحمد ويحيى: حدَّثُوني عن عبد الحميد بن أبي روَّاد[1]، عن عبيد الله بن عمر[2]، عن نافع[3]، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة معاوية بن أبي سفيان».

فقالا جميعاً - يعني أحمد وابن معين -: ليس بصحيح[4]، وليس يعرف هذا الحديث من أحاديث عبيد الله[5]، ولم يسمع عبد المجيد بن أبي رواد من عبيد الله شيئاً[6]، ينبغي أن يكون عبد المجيد دلسه[7]؛ سمعه من إنسان، فحدث به اهـ

التعليق على الإسناد والمتن:

أولاً: سند الحديث صحيح، فعبد الحميد بن أبي رواد؛ صوابه عبد المجيد بن أبي رواد (٢٠٦هـ) فقيه مكة وقاضيها ومحدثها، وهو ثقة من رجال مسلم، وشيخه عبيد

---

(١) هذا تصحيف، وهو عبد المجيد بن أبي رواد كما سيأتي، وهو ثقة.
(٢) راوية نافع ثقة وسيأتي مفصلاً.
(٣) هو مولى ابن عمر، ثقة عندهم وهو مشهور.
(٤) بل هذا الإسناد صحيح، وله شواهد من ثلاث طرق عن ابن عمر نفسه، وله شاهد بإسناد قوي من طريق أبي ذر، وابن عمر لا يستغرب حديثه هذا، فقد تاب كتوبة عبيد الله بن عمرو بن العاص وروى الاثنان في مثالب معاوية للتعويض عن النصب القديم، وقد قتله الحجاج وهذا ما تخفيه السلفية المحدثة ولا تشهره حماية منها لبني أمية.
(٥) يعني ليس مشهوراً، وهذا ليس ذنبه إنما ذنب السلفية المحدثة التي تهمل أحاديث وتروي أخرى، ثم إن جهل أهل الحديث هذا الحديث عن عبيد الله بن عمر فلا يجعله ضعيفاً، فكم من راو مشهور انفرد عنه صدوق بأحاديث لم يروها المشهورون من تلامذته، بل كان مثل عبد الرزاق الصنعاني وقبله الأعمش لا يستطيعان رواية بعض فضائل علي لأهل الحديث فيسرونها إلى من يثقون فيهم، فتكون الأحاديث عند كبار أهل الحديث مجهولة وقد يضعفون رواتها كما فعل يحيى بن معين مع أبي الأزهر النيساوري، وقال الأعمش (١٤٨هـ): لقد منعتنا هذه المرجئة من رواية فضائل علي، والمرجئة هو الاسم القديم للسلفية، وهذا يحتاج توسعاً في موضوع آخر، ومما أدى إلى غرابة الحديث أن أغلب أهل الحديث لا يروون مثالب معاوية، وقد أفتى أحمد بإبادة الكتب التي فيها شيء من هذا.. وهو في هذا متوسع لا مبتدع، فقد سبقه كبار أهل الحديث إلى كتم فضائل علي كما فعل الزهري في مغازيه وكذلك عروة ويحيى القطان وابن مهدي وحماد بن زيد ويزيد بن زريع وغيرهم من كتمة فضائل أهل البيت... وقد نقلنا من السنة للخلال في كتب سابقة كيف أن منهج أحمد مع مثل هذه الأحاديث، هو الكتمان والإبادة فقد كان معاوية عندهم محنة يمتحنون بهذا أهل الحديث ويمزقون أي كتاب فيه مثلبة ظاهرة في معاوية.
(٦) بلى سمع منه وروى عنه.. وسيأتي.
(٧) كيف ينبغي؟ وسيأتي الجواب على هذا الاحتمال أو الاقتراح.

الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي (١٤٧هـ) ثقة من رجال الجماعة، وشيخه نافع (١١٨هـ) ثقة مشهور من رجال الجماعة، وشيخه عبد الله بن عمر صحابي معروف (٧٤هـ)، فالسند صحيح على شرط مسلم وسيأتي مزيد من التفصيل في ملحق الرواة.

إذن فالإسناد صحيح على شرط الشيخين من حيث الاتصال، وهو على شرط مسلم من حيث الرجال، فإن البخاري لم يخرج لعبد المجيد ابن أبي رواد هذا، لكنه ثقة وروى له مسلم وأصحاب السنن..، ولا يمكن إعلاله بجهالة من حدثوا مهنّا عنه، لأن أحمد وابن معين عرفا الحديث أنه من رواية عبد المجيد ولم يقولا لمهنا من حدثك عنه بهذا الحديث الغريب المنكر؟ كلا كان تركيزهما على عبد المجيد وهل يمكن أن يكون قد دلسه.. الخ، ثم مهنا كأنه حدث عن جماعة عن عبد المجيد بن أبي رواد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر بقوله (حدثوني).

ومع هذا كله فصحة الإسناد لا تقتضي صحة المتن، فدعونا نتمهل وننظر بهدوء في الشواهد والمتابعات ثم نحكم بعد ذلك ومن شاء فليقتنع بحكمنا ومن شاء فليتحفظ أو ينكر..

ولكن يبقى هذا الحديث أقوى من كل فضائل معاوية المزعومة التي يصححها النواصب والسلفية المحدثة من باب الكيد للشيعة والمعتزلة وأحرار السنة، ومع هذا فنؤكد أن لهم كامل الحرية في اعتقاد صحة ما شاءوا من الأحاديث بشرط أن يكون هذا عن صدق نية وليس عصبية مذهبية، ولن يحاسب الله فرداً إلا على ما لم يقتنع به بعد أن يبذل طاقته، فلا يجوز للمسلم أن يرد ما يعتقد، ولا أن يقبل ما لا يؤمن به، لكن يحتاج هذا الاعتقاد أن يترسخ بالعلم أو أن يزول بالعلم، أما أن نقول: هذا الحديث لا يمكن.. أو هذا محال - كما في عبارة ابن الجوزي- أو ينبغي أن يكون فلان دلسه..الخ فهذا حكم مذهبي متسرع أو حكم بالهوى وليس بالعلم، وأنا قبل أن أبحث هذا الحديث كنت أستبعده تماماً وظننت أني سأجد شيعياً مغالياً ضعيفاً في الإسناد، وإذا بجميع الرواة ثقات عند أهل الحديث وغير متهمين بأدنى تشيع، بل هم بين سلفي وناصبي! فهذا الحديث كسائر الأحاديث في ذم معاوية تخرج من أشداق خمسة أسود!.

وهنا فائدة وهي بأن السلفية القديمة لم تكن تؤمن بالثناء على معاوية فضلاً عن تصحيح شيء في فضله، بل كانت تحتمل فيه السوء والبغي والنفاق والفرعنة ودخول النار والموت على غير الملة.. وهكذا، فهذه الأحاديث جميعاً خرجت من السلفية العتيقة، بل رواها بعض النواصب، لأن بعض النواصب قد لا يحب معاوية وإن كان يبغض علياً، وهذا نوع من النواصب لا ينتبه له كثير من أهل الحديث وهو موجود، كالنصب الزبيري مثلاً، فالتيار الزبيري كان منحرفاً عن الإمام علي لكن ليس لأجل معاوية وإنما لأجل عبد الله بن الزبير، فقد كان في خصومة شديدة مع بني هاشم (كابن عباس وابن الحنفية) وكاد أن يحرقهم في شعب أبي طالب لولا نجدة المختار بن أبي عبيد الثقفي.

إذن فليس كل ناصبي محب لمعاوية، صحيح أن النصب الأموي هو الأصل، لكن هناك نصب زبيري ونصب تيمي ونصب مخزومي.. وكلها فروع من النصب القرشي عامة، والنصب القرشي نسخة تحسينية وتجميلية لمواقف قريش من بني هاشم بسبب النبوة، بعضه عن نفاق وبعضه عن حسد وتنافس، وليس كل مخاصم لبعض بني هاشم نعده من النواصب، وإنما من أبغضهم أو حسدهم كلهم (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله).. فهذا البغض العام أو الحسد العام سيشمل الصالحين منهم وهذا كفر أو نفاق لأن من هؤلاء الصالحين النبي (ص) وعلي بن أبي طالب والزهراء والحسنان وذريتهم الصالحة من حيث الجملة.

أما الذي يبغض فرعاً من بني هاشم أو شخصاً منهم لأسباب موضوعية من ظلم أو فسق أو أي ذنب محتمل فهذا ليس نصباً، بل هذا أمر طبيعي وقد يكون واجباً لأن البراءة من الظلم وأهله واجب، وفي بني هاشم أشرار إلا أن الصلاح يغلب عليهم، كما أن في بني أمية أخيار إلا أن الظلم والفساد يغلب عليهم، وهذا في القرن الأول والثاني، ثم انتشر الأمر وأصبح بعض الهاشميين ناصبياً ككثير من حكام بني العباس، وفي بعض الأمويين شيء من تشيع كخالد بن سعيد بن العاص الأموي وأخوته (وهو صحابي كبير من السابقين لا يعرفه هؤلاء مثلما يعرفون الطلقاء ويحبونهم) وكذلك في التابعين عمر بن عبد العزيز ثم عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أبي الفرج الأصفهاني وغيرهم.

فإذا قلنا إن بغض بني هاشم نفاق أو كفر، فإنما نعني الصالحين منهم أو بغض أجمعهم، وكذلك بني أمية من أحبهم جميعاً وقع في النفاق لأنه سيحب مثل أبي سفيان ومعاوية ويزيد، وأما من اختار الصالحين منهم كآل أبي أحيحة وعمر بن عبد العزيز وأمثالهم فأحبهم ووالاهم - أو حتى المحايدين منهم- فهذا عدل وواجب شرعي.

أما أهل البيت فهم أخص من بني هاشم، بل هم صفوة بني هاشم، وبغضهم نفاق مؤكد، وأبلغ ذلك النفاق بغض النبي (ص) ثم بغض الإمام علي الذي هو رأس هذا البيت النبوي بعد التحاق النبي (ص) برفيقه الأعلى، والنفاق غالباً لا يظهر في بغض النبي (ص) لحرص المبغضين على كتمانه، ولكنهم يصرحون بالبغض في غيره من آل محمد (ص) ويجدون تجاوباً من باب الحسد القرشي لبني هاشم، فهذه الأرضية النفسية من الحسد والكبر والثارات هي التي مكنت بني أمية من الحكم بعد أن انضم إليهم أكثر قريش ووجدوا فيهم الأمل في تحقيق الثأر من بني هاشم، ولو بألفاظ سياسية يتم إخراجها بلباس حقوقي أو شرعي، وهذا غاية الدهاء والمكر، ومن الصعب جداً على أكثر الناس اكتشاف هذه الطيّات من المكر والدهاء.

ثانياً: التسرع والتعسف ظاهر جداً من كلام أحمد وابن معين في التضعيف فتدبره، وسيأتي التفصيل.

نص كلام أحمد وابن معين مع التفصيل في الرد عليه:

وهنا سنتناول قول أحمد وابن معين بالتفصيل، فنستعرض الحديث كاملاً، ثم ننقده في نقاط.

ففي المنتخب من علل الخلال - (ج ١ / ص ٣٢):

(وقلت لأحمد ويحيى: حدَّثُوني عن عبد الحميد بن أبي روَّاد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة معاوية بن أبي سفيان».

فقالا جميعاً - يعني أحمد وابن معين-: ليس بصحيح، وليس يعرف هذا الحديث من أحاديث عبيد الله، ولم يسمع عبد المجيد بن أبي رواد من عبيد الله شيئاً، ينبغي أن يكون عبد المجيد دلسه؛ سمعه من إنسان، فحدث به اهـ

سبق التعليق على صحة الإسناد، وبقي أن نرد على شبهات أحمد وابن معين..

تفصيل الرد على أحمد وابن معين:

أولاً:

يستغرب المتأمل هذه العجلة الظاهرة جداً في كلام الشيخين - أحمد بن حنبل ويحيى بن معين- في ردهما الحديث، ومن دلائل تلك العجلة تسابقهما في الكلام! كما نفهمه من ظاهر كلام مهنّا عندما قال: (فقالا جميعاً)[1]! وكأنهما يخشيان على السائل أن يبقى لحظات في هذا المعتقد الخطير! ولو روى الراوي هذا الحديث في حق الإمام علي أو أبي ذر، لربما قالا: لا تعجبنا هذه الأحاديث! كما قالها أحمد في حديث مماثل من حيث الذم رواه الأمويون في ذم الإمام علي، (توسعنا فيه في حديث: معاوية يموت على غير ملتي)، فكان أحمد سامحه الله في ذلك الحديث بارداً جداً، بل لم يرده الحديث وإنما أخبر السائل أنه لا يعجبه فقط! وأبقى على رجال الإسناد بلا أدنى تهمة، لأن فيهم عروة والزهري وتلامذة الزهري، ولو ضعف واحداً منهم أو أكثر لضرب على ربع المسند ومحاه، فاختار بقاء ذلك الإسناد الشامي لأنه منجم كبير من مناجم الذهب للعقيدة والفقه الحنبلي، بينما تكلف هنا في حديث ابن عمر في اقتراح تدليس ولم يهمه أن يتم اتهام عبد المجيد بن أبي رواد بالتدليس، لأنه فقه مستقل إلى حد كبير ومكي أيضاً، وأقرب إلى مدرسة ابن عباس وبعيد نسبياً عن المدرسة السلفية.

ثانياً:

هذا المنهج السلفي المحدث الذي استقر أيام أحمد - كما ذكرنا في مواضع- هو نتيجة الاستجابة للواقع السلفي الذي هو من إفراز وصنع ونتيجة دولة معاوية وبني أمية أصلاً، فالجسم السلفي يرفض مثل هذه الأحاديث ابتداءً.. وكأنه حديث في إبطال النبوة أو فضيلة الشرك! وليس هناك حرية كافية داخل الوسط السلفي للبحث في مثل هذه الأحاديث الصادمة.

---

(١) إن كان مهنا يقصد أنهما تسابقا في الإنكار فهذا دليل على الحرص الشديد في تضعيف هذا الحديث، والمزايدون على بعضهم في العقيدة يفعلون مثل هذا وأكثر في أيامنا هذه من باب الرياء والتسابق على تصحيح العقيدة!

ثالثاً:

الارتباك ظاهر من كلام الشيخين (أحمد وابن معين)، فكأنهما تفاجآ بهذا السؤال، وصرامته! انظر إلى هذا الجواب السريع المتدفق بخمس جمل من القنابل: (ليس بصحيح! وليس يعرف هذا الحديث من أحاديث عبيد الله! ولم يسمع عبد المجيد ابن أبي رواد من عبيد الله شيئاً)!! ثم يقترحان مباشرة بأنه (ينبغي أن يكون عبد المجيد دلسه، سمعه من إنسان، فحدث به) اهـ

ما هذا التدفق الكاسح؟ ما هذا الحماس والحساسية المفرطة من إمكانية صحة الإسناد؟ وعلى كل حال فإنه عند التنزل مع هذا الاقتراح أو الاحتمال، يمكن معارضته باحتمال آخر أقرب إلى الصحة، يقول: ينبغي أن عبد المجيد سمعه ممن حدث به عنه وهو عبيد الله بن عمر، لا سيما مع تحقق الثقة والسماع والمعاصرة والبلدانية، وهذا أقوى من شرط البخاري في مسألة السماع..

رابعاً:

ثم من هو ذلك الإنسان الذي يتحدث عنه أحمد وابن معين؟ هل يكون إلا أبوه وهو ثقة أو من يثق به عبد المجدي وهو محدث فقيه؟ وإلا كيف يقولون أن وكيع بن الجراح ومالك وابن معين وأحمد لا يروون إلا عن ثقة ولا يمكن أن يكون هذا في عبد المجيد؟ فهو لا يقل عنهم، بل يزيد عليهم بكونه فقيهاً، والفقيه ذكي، يعرف الكاذب من الصادق، فإذا حدثه شخص بحديث فمن الراجح أنه سيعلم صدقه من كذبه، وقد كان عبد المجيد يمتاز بزيادة في محبة النبي (ص) أكثر من شيوخ أحمد وابن معين كوكيع وسفيان بن عيينة (اللذان رويا ما يسيء إلى النبي (ص) وكان عبد المجيد قد أفتى بضرب عنق وكيع بن الجرح لروايته حديثاً موضوعاً فيه انتقاص من النبي (ص) وكان قد حدث به بمكة (انظر ترجمة وكيع في سير أعلام النبلاء).

ثم لم يصفه يحيى بن معين ولا أحمد بالتدليس عندما يتكلمان عنه خارج هذا الحديث، ففي تاريخ ابن معين - الدوري - (ج ١ / ص ٥١) سمعت يحيى يقول عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد ثقة،) وكذا وثقه أحمد ولم يتهمه إلا بالإرجاء، وذكره العلائي في جامع التحصيل بهذا الحديث، فقال في جامع التحصيل - (ج ١ /

ص ١٠٧): عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ذكره أحمد في حديث رواه عن عبد الله بن عمر فقال ينبغي أن يكون عبد المجيد دلسه أخذه من إنسان فحدث به ذكره الخلال في كتاب العلل اهـ ومعنى هذا أن العلائي لم يجد من وصفه بالتدليس إلا في هذا الخبر، وقد ذكروه فيما بعض في كتب المدلسين بقولهم (ذكر عنه شيء من التدليس)! بينما أحمد وابن معين في أثبت الأقوال إليهم على توثيقه دون ذكر التدليس، وإنما التدليس هنا وفي هذا الحديث فقط مجرد اقتراح أو احتمال، وهذا احتمال مذهبي لسطوة معاوية على قلوب وعقول أهل الحديث (لكون أغلبهم وعامتهم من إفرازات الدولة الأموية)، والجملتان الأخيرتان تبرع واضح من أحمد وابن معين.. وليس عندهما دليل على هذا، وإنما اقترحا على السائل أن يظن هذا الظن حماية لمعاوية استجابة للواقع السلفي ومن باب الرجم بالغيب فقط.

خامساً:

ثم كيف يجزمان هذا الجزم في راويين حجازيان؟، مع أن عبد المجيد قد روى عمن هو أقدم من عبيد الله، ومع شهرة عبيد الله الحافزة على أن يسمع منع عبد المجيد، لا سيما وأن عبد الرزاق الصنعاني قد سمع من عبيد الله بن عمر العدوي (١٤٧هـ) ووفاة عبد الرزاق كانت بعد عبد المجيد، إضافة إلى أن عبد المجيد لم يكن يبذل نفسه للحديث، فقد لا يشتهر حديثه عن عبيد الله، وشيخه ابن جريج هو من طبقة عبيد الله بن عمر نفسه، وقد كان عبد المجيد من اثبت الناس عن ابن جريج الذي توفي عام (١٥٠هـ).. ثم كان عبد المجيد ووالده معاصران لعبيد الله بن عمر العدوي وهما معه في الحجاز، وكان أهل مكة والمدينة كأنهما في مدينة واحدة من حيث التواصل لسهولة العمرة وكثرتها من المدنيين وكذلك كثرة الزيارة من المكيين للمسجد النبوي والقبر الشريف، فلماذا هذا الجزم والتسرع قبل جمع الطرق الأخرى والتدبر؟

ابن الجوزي، ومبالغته في النفي وأن هذا (محال)!

وقد قلد ابن الجوزي الحنبلي هذا الإنكار، ففي العلل المتناهية - (ج ١ / ص ٢٨٠): قال المؤلف وقد روى عنه وانه من أهل النار وذلك محال أيضاً [1]!

---

(١) لماذا محال؟ هذا لا يقوله في معاوية إلا النواصب، وابن الجوزي هو من القلائل الذين حاولوا إهمال

وقد روى عبدالمجيد بن أبي رواد عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة معاوية بن أبي سفيان!

قال مهنا سألت أحمد ويحيى عن هذا فقال ليس بصحيح وعبدالمجيد لم يسمع عن عبيدالله شيئاً فينبغي أن يكون قد أخذه عن إنسان فدلسه فحدث به!

قال المصنف: كان الحميدي يتكلم في عبد المجيد[1]

وقال ابن حبان يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك[2].

وقال المصنف وقد روي نحو حديث ابن عمر من حديث أبي ذر ولا يصح[3].

شواهد حديث ابن عمر (عن ابن عمر نفسه) = حديث التابوت:

تمهيد:

الشواهد عند أهل الحديث ليس بالضرورة أن تكون عن الصحابي نفسه راوي الحديث الأصل، ولكن الشواهد إن كانت عن الصحابي نفسه فهذا أبلغ، ولذلك فقد حرصنا على جمع الشواهد عن ابن عمر نفسه، وهي كثيرة، ثم اخترنا منها أقواها وأدلها على المقصود، وكان ابن عمر – رغم طبعه الهادئ- ساخطاً على معاوية، وقد ذكرنا في بحث (حقيقة إسلام معاوية) أن عبد الله بن عمر لم يكن يرى أن معاوية أسلم صادقاً، وإنما أسلم كارهاً، وأن معاوية هدد بقتل ابن عمر ومنعه من بث الأحاديث.. الخ.

وهنا سنقتصر على الشواهد التي تشهد لهذا الحديث خاصة (معاوية فرعون هذه الأمة) فقط، ولن نستعرض الشواهد المحيطة التي تدل على رأي ابن عمر السيء في معاوية.

حديث عمار وحاولوا تضعيفه فا فتضحوا... خاصة وأن ابن الجوزي يقبل الموضوعات في أمور أخرى، إلا أننا نسجل لابن الجوزي رده على المشبهة وذمه ليزيد بن معاوية.

(١) عبد المجيد أوثق من الحميدي، والحميدي غاضب لشيخه سفيان بن عيينة وللمذهب، وكان في الحميدي نصب يسير، وجلافة في الخصومة، وله مع تلاميذ الشافعي في مصر قصص في هذا الأمر.

(٢) وهذا ما أنكروه على ابن حبان.. بأنه كان يفجج العبارة ويقع في الكبار!

(٣) بل حديث أبي ذر سنده قوي.. وسيأتي.

ومن أبرز الشواهد على هذا الحديث خاصة ومن حديث عبد الله بن عمر نفسه، حديث التابوت، ولعله جزء من هذا الحديث، وقد روي بألفاظ متقاربة وتفيد أنه (لولا قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) ما كان أحد أسفل من معاوية)، فهذا الأثر عن ابن عمر قوي الأسانيد، وقد روي عن ابن عمر من ثلاث طرق قوية - وسيأتي التفصيل-، فهذه من قرائن صحة الحديث عن ابن عمر مرفوعاً.

وعلى هذا يكون هناك فرعونان، إلا أن أحدهما ادعى الألوهية وهو فرعون، ولكن الآخر كان أدهى، فلم يجازف بإنكار النبوة وسط المسلمين الذين يطمع منهم أن يستمروا في البيعة والنصرة لذريته، وكان يحرص على أن يثقوا به، فلذلك كان يتظاهر أمامهم بالإسلام والحرص على دقائق الأمور (كتقليم الأظافر والنهي عن القيام للقادم والركعتين بعد العصر..) حتى يثقوا فيه في كبارها!

وحديث التابوت الذي يخبر بأن معاوية في الدرك الأسفل من النار ليس غريباً فهو لا يختلف عن حديث مسلم (لا يبغض علياً إلا منافق)، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار بنص القرآن الكريم وبالإجماع، فما الغرابة؟ لا يجوز أن نجعل النصوص الشرعية تلعن بعضها، وإنما النصوص تخدم بعضها وتفسر بعضها، صحيح أن السلطة الأموية وما أفرزته من ثقافة تأبى هذا، وتعرض على ضرب الأحاديث بعضها ببعض ووضع المعارضات في مقابل المتواترات، وحزب معاوية يستغرب كثيراً مثل حديث التابوت هذا، بينما يؤمن بالحديث الآخر في صحيح مسلم، وهذا تناقض فالمعنى واحد، إلا أن حديث مسلم عام وهذا الحديث خاص، لكن دخول معاوية في العام متحقق يقيناً فلماذا المكابرة؟ إما أن نؤمن بالنصوص - حسب النظرية السنية- أو ننكرها ونردها بعقولنا وأهوائنا حسب ما نتهم به الجهمية والمعتزلة وأهل الرأي والشيعة وكل المخالفين، ولكن المعايير المزدوجة عند هذا الفريق لا يمكن أن تحصى.

وحديث التابوت لا يعارضه كون فرعون في أسفل ذلك الدرك، فإن الآية الكريمة لم تقل إن الدرك الأسفل خاص بالمنافقين فإن معهم كبار الفراعنة، وإن صحت هذه النصوص في معاوية فقد اجتمع في معاوية الأمران، الفرعنة والنفاق، أما الفرعنة

فيدل عليها حديث (الملك العضوض والواقع التاريخي) وأما النفاق فلا يبغض علياً إلا منافق[1].

وهذه تفصيل في دراسة الشاهد: حديث التابوت:

وهو حديث يقرن بين فرعون ومعاوية، وقد روي من ثلاث طرق قوية:

الطريق الأول: خيثمة عن ابن عمر (والسند حسن)

روى نصر بن مزاحم بسند حسن في وقعة صفين - (ج ١ / ص ٢١٧) نصر[2]، عن يحيى بن يعلى[3]، عن الأعمش[4]، عن خيثمة[5] قال: قال عبد الله بن عمر[6]: (إن معاوية في تابوت في الدرك الأسفل من النار، ولولا كلمة فرعون: (أنا ربكم الأعلى) ما كان أحداً أسفل من معاوية) اهـ.

التعليق على إسناد الحديث ومتنه:

أما إسناد الحديث فهو قوي، رجاله بين الثقة والصدوق، وبعضهم تم تضعيفه مذهبياً

---

(١) يلاحظ هنا أن البغض العرضي ليس دليلاً على النفاق، وإنما أتى الحديث بالفعل المضارع (يبغض) الذي يدل على الاستمرار، وهذا ما تحقق في معاوية، دون الخصومات العرضية التي قد تحدث بين الإمام علي وبعض الناس.. وهذا ما لم يفهمه كثير من الشيعة، فهم يعدون أي خصومة عرضية دليلاً على نفاق المخاصم للإمام علي، وهذه مبالغة، وهي فرع عن القول بالعصمة، وافتراض أن الطرف المخاصم يعلم تحقق العصمة.. الخ، وهي أوهام بعضها فوق بعض، وقد أسهمت السلفية المحدثة في بروز الغلو الشيعي (بالمفهوم السني)، ونحن بحاجة إلى إعادة الفريقين للبحث الهادئ، أو على الأقل نحتاج ألا يتيح معتدلو السنة والشيعة لغلاة الفريقين التفرد بتمثيل المذهبين.

(٢) نصر: هو نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢هـ) مؤلف كتاب وقعة صفين، وهو صدوق متشيع، سبق التعريف به وترجمته ترجمة مفردة، في كتب سابقة، وسنعيد ترجمته في ملحق هذا الكتاب، والتضعيفات في حقه مذهبية، فالرجل صدوق، وإنما هو يكثر الرواية عن المجهولين، وقد يهم ويخطيء كغيره.

(٣) يحيى بن يعلى.. هناك ثلاثة بهذا الاسم، وهذا هو الأسلمي، وفيه تفصيل والصواب أنه ثقة (وقد أفردناه بترجمة مطولة في الملحق).

(٤) الأعمش ثقة مشهور (١٤٨هـ).. من رجال الجماعة.

(٥) خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي (بعد ٨٠هـ) وهو ثقة من رجال الجماعة.

(٦) قال عبد السلام هارون: (في الأصل: ابن عمرو وهو تصحيف) يقصد أن صواب الرواية عن عبد الله بن عمر لا عبد الله بن عمرو، وأنا أقول سواء رواه خيثمة عن عبد الله بن عمر أو عبد الله بن عمرو فالسند صحيح، وقد سمع منهما، وهو غير موصوف بالتدليس.. أعني خيثمة، ثم هو هنا من الشواهد والمتابعات.

لا علمياً[1]، وسيأتي التفصيل (في الملحق)، وأما متن الحديث فشاهد على الفرعنة ولو من بعيد، ويجب ألا يستغرب أحد هذا المتن، فما عمله معاوية في هذه الأمة أبلغ مما فعله فرعون في بني إسرائيل، فإن فرعون وإن كان من كبار الطغاة إلا أنه لم يتمكن من تحريف دين موسى عليه السلام كما حرف معاوية دين محمد صلوات الله عليه- نعم قد اشترك الاثنان في العلو في الأرض وجعل أهلها شيعاً والفتك بالصالحين- كما لم يستطع فرعون أن يعمل على وضع شرعية ظلم وينسبها منسوبة لرب العالمين، وهو ما نجح فيه معاوية في ذلك عقيدة وشريعة، فوضع عقيدة ما زالت تدرس إلى اليوم في الجامعات السلفية وفيها تلك العقائد من التشبيه والجبر والنصب والإرجاء في حق الموالين والوعيد في حق المعارضين..الخ، كما أن جملة كبيرة من الأحكام الشرعية اليوم هي مستقاة من معاندة معاوية للنصوص، بل وصل هذا إلى السلوك والعقل والنفس المسلمة، هذا من حيث المتن ودلائل أو قرائن صحته.

وأما إسناد الحديث فلا يقل عن مرتبة الحسن، لأن رجاله بين الثقة والصدوق، وبعضهم تم تضعيفه مذهبياً، (وقد اختصرنا تراجمهم في الهامش وسنتوسع فيها في ملحق الرواة) نعم بعض هؤلاء كان يبالغ في حب علي والمبالغة في الإيمان إيمان، وحب علي إيمان، فلا بأس، إنما عن ارتكب المحب جرماً بذم من لا يستحق الذم أو تبرئة من لا يستحق التبرئة فهذا شيء آخر، إلا أن هذا غالباً يخضع للبيئة، مثلما نجد في السلفية المحدثة كمحب الدين الخطيب وزهير الشاويش من يبالغ في حب معاوية والحجاج ومع ذلك لم يضعفهم هؤلاء؟ والعجب هنا لا ينتهي، فالمبالغ في حب الظالمين لا يحاسب، بينما يصرون على تضعيف من يبالغ في حب الصالحين؟ أليس هذا من الدلائل على أنهم سقطوا في حفرة معاوية؟ أحب أن أسمع منصفاً ولا أكاد أجد، كأن الله طبع على قلوبهم بنصبهم وعنادهم وكبرهم.

والخلاصة:

إن الحديث هذا موقوف على ابن عمر، ولكن له حكم الرفع لأنه لا يقال مثل هذا

---

(1) التضعيف المذهبي يعرفه المنصف عندما يجد أهل الحديث يصبون غضبهم على راوٍ لم يروي إلا ما رواه غيره ممن يوثقونهم، وأحياناً يعترف أهل الحديث بأن تضعيفهم لفلان إنما هوَ لرأيه وليس لحديثه، وقرائن أخرى سيتم بيانها عندما نستعرض الإسناد ونقف على التضعيف المذهبي.

بالرأي، والجميع يعرف ورع ابن عمر، وله شواهد عن ابن عمر وستأتي، ولكن لنتذكر أن مثل هذه الموقوفات من الأحاديث لها حكم الموصول عند أهل الحديث، لأنه إخبار بالغيب ولا يقال من قبل الرأي، وقد توسع أهل الحديث في تثبيت مثل هذه الموقوفات في الأحاديث الموصولة، فلا يأت أحد ليقول إنه لم يرو مرفوعاً إلا من طريق نافع عن ابن عمر، كلا فقد روي من ثلاث طرق أخرى موقوفة عن ابن عمر لكن لها حكم المرفوع، أو أن ابن عمر يترجم الحديث أو ينطلق في رأيه عنه، والأول أولى لما تواتر من ورع ابن عمر.

الطريق الثاني: حديث أبي المثنى عن ابن عمر

روى نصر بن مزاحم أيضاً في وقعة صفين - (ج ١ / ص ٢١٨): نصر، (عمر)[1] حدثني يحيى بن يعلى بن (كذا والصواب: عن)[2] عبد الجبار بن عباس، عن عمار الدهني، عن أبي المثنى، عن عبد الله بن عمر قال: ما بين تابوت معاوية وتابوت فرعون إلا درجة؟ وما انخفضت تلك الدرجة إلا أنه قال: « أنا ربكم الأعلى ».

الكلام على الإسناد والمتن:

أما السند فصحيح، فنصر بن مزاحم تكرر التعريف به، وعمر بن سعد بن أبي الصيد الصيداوي؛ الراجح أنه ليس في الإسناد أصلاً، وأن نصر بن مزاحم رواه عن يحيى ابن يعلى مباشرة، وإن وجد الصيداوي فهو شيعي صدوق في ترجيحي، ويحيى بن يعلى الأسلمي شيعي صدوق؛ ضعفه بعضهم للمذهب كعادتهم، وهو من شيوخ أبي بكر بن أبي شيبة وقتيبة وأمثالهم من الكبار، وشيخه عبد الجبار بن عباس الشبامي

---

(١) معنى الإسناد قال نصر بن مزاحم أخبرنا عمر.. الخ، والإسناد فيه أخطاء وتصحيفات مع اضطراب، فكلمة (عمر) أرى أنها مقحمة هنا من بعض النساخ لكثرة رواية نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد أبي الصيد الأسيدي، وهنا لا وجود له على الصواب، وزيادة (عمر) هنا ليس لها معنى.. فنصر بن مزاحم يروي عن يحيى بن يعلى نفسه.

(٢) انظر على سبيل المثال بعض الأسانيد: / في مشكل الآثار للطحاوي - (ج ٢ / ص ٢٦٢).. حدثنا عبد الجبار بن عباس الشبامي، عن عمار الدهني / وفي تاريخ دمشق - (ج ٤١ / ص ٤٤١).. سليمان ابن قرم عن عبد الجبار بن عباس عن عمار الدهني... / تاريخ دمشق - (ج ٤١ / ص ٥٤١)... مخول ابن إبراهيم أبو عبد الله نا عبد الجبار بن عباس الشيباني (الصواب: الشبامي) عن عمار الدهني..

صدوق فوق هؤلاء، وهو من رجال السنن، وعمار هو ابن معاوية الدهني ثقة من رجال مسلم والسنن، وشيخه أبو المثنى واسمه مسلم بن المثنى فهو ثقة باتفاق، وشيخه ابن عمر صحابي معروف، وسيأتي التفصيل في رجاله في الملحق، وأما المتن فالحديث واضح لا يحتاج إلى شرح، وهو شاهد قوي سواء للحديث الأصل أو حديث التابوت، وقد ثبت حديث التابوت عن ابن عمر من أكثر من طريق، وهو وإن كان موقوفاً على ابن عمر إلا أن له حكم الرفع، ولا يقال بالرأي.

الطريق الثالث: سالم بن أبي الجعد عن ابن عمر أيضاً

روى نصر بن مزاحم في وقعة صفين - (ج ١ / ص ٢١٩): نصر (هو ابن مزاحم مؤلف الكتاب، سبق)، عن محمدَ بن فضيل[1]، عن أبي حمزة الثمالي[2]، عن سالم بن أبي الجعد[3]، عن عبد الله بن عمر قال: إن تابوت معاوية في النار فوق تابوت فرعون، وذلك بأن فرعون قال: (أنا ربكم الأعلى).

التعليق على الإسناد والمتن:

أما المتن فيتفق مع ما روي عن ابن عمر من طريقين سابقين، وهذا الطريق الثالث، وأقل أحوال الحديث عن ابن عمر أن يكون صحيح لغيره عند المتشدد من أهل الحديث، والصحيح لغيره فوق الحسن، والحسن حجة، فنصر بن مزاحم سبق أنه محدث صدوق شيعي قد يهم في الشيء اليسير، وشيخه محمد بن فضيل ثقة حجة من رجال الشيخين، وشيخه أبو حمزة الثمالي من أوائل مصنفي الشيعة وعلمائهم، وهو صاحب عبادة وحديث وفقه، وقد ضعفوه للمذهب كما فعلوا بأبي حنيفة، والصواب أنه ثقة لكن قد يهم في الحديث كما يهم غيره، وشيخه سالم بن أبي الجعد تابعي

(١) محمد بن فضيل الكوفي (١٩٥هـ) ثقة من رجال الجماعة، ولابن فضيل كتاب مطبوع فيه روايته بهذا الإسناد، ففي الدعاء لابن فضيل ١٩٥ - (١ / ٢١٣) حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ... وذكر حديثاً في الدعاء.

(٢) أبو حمزة الثمالي (نحو ١٥٠هـ)، اسمه ثابت بن أبي صفية، واسم أبي صفية (دينار) فهو ثابت بن دينار، وهو صدوق ضعفه بعضهم للتشيع، ولم يأتي من ضعفه بحجة، وهو من علماء الشيعة الكبار، وروى عنه كبار علماء أهل السنة في زمنه.

(٣) سالم بن أبي الجعد الغطفاني ثقة من رجال الجماعة مات سنة ١٠٠هـ إلا أنه يرسل، واحتمال إرساله هذا الحديث عن ابن عمر وارد.

مشهور من رجال الشيخين إلا أنه يرسل ويدلس كالحسن البصري والزهري والنخعي وغيرهم من التابعين، وشيخه ابن عمر صحابي مشهور، (وسيأتي التفصيل في ملحق الرواة)، وأما من حيث المعنى فالحديث واضح وهو شاهد للحديث الأصل (موضوع الكتاب) ولحديث التابوت أيضاً، والحديث له حكم الرفع لأنه لا يقال بالرأي.

قد يكون الحديثان حديثاً واحداً:

بما أن الحديثين (الأصل وشواهده) عن ابن عمر فمن المحتمل أن يكون هذا حديثاً واحداً نصه (لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة معاوية بن أبي سفيان، (و) إن معاوية في تابوت في الدرك الأسفل من النار، ولولا كلمة فرعون: (أنا ربكم الأعلى) ما كان أحدا أسفل من معاوية) فالحديث مترابط، وهو من كمال البيان والإغلاظ للمنافقين، والنبي (ص) موصوف بالأمرين، فهو أفصح من نطق بالضاد، وهو لا يخشى إلا الله، فليس هناك سبب يوجب عليه تعمية الأمر أو إخفائه.

ونحن إنما أردنا أن نجمع شواهد حديث ابن عمر عن ابن عمر نفسه أولاً، وإلا فحديث أبي ذر الآتي أقوى من هذه الشواهد عن ابن عمر، لكنه لأنه حديث مخرجه عن أبي ذر فقد آثرنا أن نخرجه مع شواهده مفصولاً من الناحية الفنية عن حديث ابن عمرن وإلا فالأولى علمياً ترتيب الأحاديث حسب الأقوى مهما اختلفت المخارج، ثم نذكر الشواهد الأقل قوة، ولكن هذا منهجنا قد أفصحنا عنه هنا، فلا يستغرب القارئ الكريم إن وجد حديث أبي ذر أقوى بكثير من الشواهد الثلاثة عن ابن عمر.

الحديث الثاني: حديث أبي ذر: (معاوية فرعون هذه الأمة)

قال الأصبهاني في أخبار أصبهان - (ج ٧ / ص ٤٠): حدثنا محمد بن المظفر، ثنا عبد الرحمن بن سعيد بن هارون، ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات، ثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين: « أحدهما فرعون هذه الأمة »[1]، فقال الآخر:

---

(١) والحديث ذكرته مصادر الشيعة الزيدية أيضاً فقد نقل المجلسي (الإمامي) في بحار الأنوار عن الثقفي (الزيدي) هذا الحديث فقال: ذكر الثقفي (وهو صاحب كتاب الغارات)، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قلت لمعاوية: أما أنا فأشهد أني سمعت رسول الله صلى الله

أما أنا فلا[1] اهـ

معنى الحديث:

الحديث مروي بالمعنى، فأبو ذر قال لمعاوية: أحدنا قال فيه النبي (ص) إنه فرعون هذه الأمة، فقال معاوية: أما أنا فلا!

قلت: وهذا تعريض من أبي ذر بمعاوية، وقد كذب معاوية عندما قلب الحديث إلى أبي ذر، فهو يعلم أن أبا ذر أبعد عن أن يكون فرعون هذه الأمة، وأن أبا ذر يقصد معاوية، وإنما أراد التلميح بما يشبه التصريح من باب إخباره معاوية بأنه يعرفه، ويعرف ما ثبت فيه من الأحاديث، ولكن معاوية عندما يتورط يقلب الحديث ويجعله في الآخر، مثلما تورط بحديث عمار فقال: إنما قتله من جاء به، فقلب الحديث إلى علي وأهل بدر بدلاً من أن يكون فيه وفي أهل الشام، وهكذا فهل بأبي ذر.. ومنهج معاوية مطرد، وهو من دلائل نفاقه واستهتاره بالحديث.

والمقصود هنا أن أهل الحديث رووه بالمعنى حتى لا يماد يفهمه أحد! ولو هذا التفكيك الذي فعلته هنا ربما لو لم أفعله لن يفهم أكثر الناس هذا الحديث، وراجعوا اللفظ.

الكلام على الإسناد:

الإسناد صحيح على شرط مسلم، ومن أحاديث الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر ما رواه الإمام مسلم في صحيح مسلم - (٢ / ٦٣): حَدَّثَنِى عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ قَالَ كُنْتُ

عليه وآله يقول: إن أحدنا فرعون هذه الأمة. فقال معاوية: أما أنا فلا اهـ والمراد في الحديث في المصادر السنية والشيعية واضح، وهو أن فرعون هذه الأمة عند أبي ذر هو معاوية، وأبو ذر استند على حديث سمعه من النبي (ص) وليس رأيه الشخصي، وكان أبو ذر أصدق الناس لهجة، وهذا الصدق سبب له متاعب كثيرة، وهو من أسباب سخط معاوية الشديد على أبي ذر وترحيله إلى عثمان، ثم من اسباب سخط عثمان عليه ونفيه إلى الربذة في قصة معروفة فصلتها في كتابي (أبو ذر وعثمان) لم يطبع، وفي إسناد الثقفي انقطاع فالثقفي لم يدرك إبراهيم التيمي، وكأن اختصار الإسناد من المجلسي، وليته ذكر الإسناد كاملاً لنعرف هل رواه من طريق الأعمش أم غيره.

(١) وأخبار أصبهان هو نفسه كتاب تاريخ أصبهان والحديث فيه بإسناده ولفظه (ج ١ / ص ١٤٢).

أَقْرَأُ عَلَى أَبِي الْقُرْآنَ فِي السُّدَّةِ فَإِذَا قَرَأْتُ السَّجْدَةَ سَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ أَتَسْجُدُ فِي الطَّرِيقِ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ... الحديث، والإسناد واضح هنا بأنه من رواية الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر، وهذا يصححونه على شرط مسلم ولم يدخلوا حكيم بن جبير لم يحتجوا بعنعنة الأعمش ولا غير ذلك، فالأصل أن الحديث صحيح الإسناد على شرط مسلم إلا أن يتعسف متعسف فليفعل.

وبهذا الإسناد:... حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه (فيه سنن الترمذي (٤ / ٣٣٥) قال عنه الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح وإبراهيم التيمي إبراهيم بن يزيد بن شريك

وقال الشيخ الألباني: صحيح) وصحح لهذا الطريق ابن حبان في صحيحه والأرناؤوط محقق صحيح ابن حبان وغيرهم.. بل لم أجد من ضعف (رواية الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه) لا من المتقدمين ولا من المتأخرين.

إذن فرواية الأعمش عن إبراهيم بن يزيد عن أبيه عن أبي ذر في صحيح مسلم، وصحته محل إجماع من أهل الحديث، ورواية مسلم في صحيحه وابن حبان في صحيحه فيها عنعنة الأعمش أيضاً، فلماذا التشدد على هذا الإسناد هنا فقط واختراع الاحتمالات إذا تعلق الأمر بذم معاوية؟ هل هذا إلا تعصب مذهبي؟

نعم لو كان أهل الحديث أحراراً فيناقشون أسانيد البخاري ومسلم فيأخذون منها بمعيار ويردون بمعيار لقلنا هذا اجتهاد، إلا أنهم يتعصبون لأسانيد الصحيحين، فإذا أتى بعض هذه الأسانيد بمذمة لمعاوية أخذوا يطعنون يميناً وشمالاً.. وهذا نتيجة سبق فضائل معاوية الموضوعة إلى عقولهم قبل المثالب الصحيحة، والعقل بحسب السابق إليه، إلا من كان له قوة تجديد وتغيير يستطيع ترك ما وجد عليه الآباء والأجداد، وهذا صعب على النفس البشرية إلا من أمده الله بفضل منه؛ فيترك مئة حجة ضعيفة لحجة واحدة صحيحة.

وأنا هنا لا أقلد أسانيد الشيخين، وأنا مع التجديد والنظر في أسانيد الشيخين كما يتم النظر في أسانيد غيرهما، إلا أنني أخاطب القوم بلغتهم، وأقول: أنتم تشترطون الأسانيد الصحيحة؛ وتزعمون أنكم تحبون معاوية لأنه صحت فيه أسانيد، حسناً،

فلنسألكم ونقول: إذا تناقض حديث على شرط مسلم مع حديث مختلف في صحته فأيهما أولى بالتقديم؟ ستقولون: سنقدم الإسناد الصحيح على الإسناد المختلف فيه فضلاً عن الضعيف، إذن فقدموا حديث (معاوية فرعون هذه الأمة) على حديث (اللهم اجعله هادياً مهدياً) فإن منهج أهل الحديث والواقع التاريخ والشواهد تدعم الحديث الأول الذي تجهلونه، وترد الحديث الثاني الذي تشهرونه، وأنتم تتهموننا بالتعصب، وأننا نصحح ما نشاء ونضعف ما نشاء، ونحن نتهكم بالتهمة نفسها، فتعالوا نصحح الأصح فالأصح، فإذا وجدنا التناقض فلنطرح الأقل صحة لصالح الأقوى صحة، فلماذا إذا أتيناكم بمتون تذم معاوية رفضتموها وإن كانت أسانيدها صحيحة، وإن أتيناكم بفضيلة لمعاوية بأسانيد دونها بكثير قبلتموها.. فهذا تعصب ومذهبية.

قد يقال: حتى أنت تفعل هذا، فترد من الأسانيد ما يجمع عليه أهل الحديث، وتصحح ما يضعفه أهل الحديث؟.

أقول: أنا أنطلق من أصل صحيح تقرون بصحته رواية، وإن تنكرتم له دراية، وهو بغي معاوية وأن ملكه عضوض..الخ، وأبني موقفي على قرائن محيطة وشاهدة، من ذم الظلم والبغي في القرآن الكريم إلى سيرة معاوية الظالمة إلى آثارها على الفكر،.. بينما أنتم تنطلقون مما لا نسلم بصحته، من اعتقادكم بأن معاوية من فضلاء الصحابة وأنه كاتب الوحي وأنه خال المؤمنين وأنه وأنه.. وكل اعتقادكم من وضع معاوية نفسه، فقد بث فضائله كأي حاكم مستبد يريد أن يبني لأسرته ملكاً، فإن الأسرة تستمد شرعيتها من تضخيم المؤسس وشرعنته.. لكن معاوية كان داهية وله جهازه الدعائي والروائي والقصصي..الخ.

فالقضية تحتاج إلى معنىً صحيح سابق على ما يقال من صحة الإسناد.

وأنا أقبل أن تجعلوني مثل هؤلاء، أعني أن الخلاف بيننا ثقافي، فهم يقبلون الأحاديث في مدح الظالمين ولو كانت أسانيدها ضعيفة، وأنا أقبل الأحاديث في ذم الظالمين وإن كان في أسانيدها ضعف، مع أن هذا ليس الواقع، إلا أن الذي يقبل إسناداً ضعيفاً في ذم ظالم أفضل وأقرب إلى الحق ممن يقبل إسناداً ضعيفاً في مدح ظالم، هذا على التسليم بأن حديث (معاوية فرعون هذه الأمة) هو في مستوى تلك الأحاديث

التي يصححونها في معاوية مثل حديث (اللهم اجعله هادياً مهدياً) مع أن فيه سبعة عشر علة إسنادية توسعت فيها في ردي على الشيخ عبد الله السعد، ومع أنه من حيث المتن باطل، لأن الله لم يهد به الله أحداً بل أضل به نصف الأمة، وكذلك حديث (اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب)! وهو حديث يضحك الثكالى! فأي علم بالكتاب عند معاوية؟ والحساب أيضاً؟! والخصلة الثالثة ستتبع! مع ضعف الإسناد..

بينما حديث (معاوية فرعون هذه الأمة) له إسنادان أقوى من كل الأسانيد في فضائل معاوية عند أي منصف من أهل الحديث، ويكفي أنهما على شرط الصحيح، بينما الأحاديث في فضائل معاوية ليس فيها إسناد على شرط الصحيح، فكيف تجعلون فضائل معاوية أقوى من هذا الحديث فقط الذي يصف معاوية بأنه فرعون هذه الأمة؟ فكيف لو أضفنا حديث الفئة الباغية وحديث الدبيلة وحديث يموت على غير ملتي وحديث الملك العضوض وحديث أبي برزة وحديث عبادة بن الصامت وحديث قاتل عمار وحديث القاسطين وحديث إذا رأيتم معاوية على منبري فاتلوه.. الخ مع العلم اليقيني بسوء سيرة معاوية وآثاره السلبية على الدين والدنيا والمسلمين؟

فأي الفريقين أولى بالأمن؟

هل هو الذي يصدق ذم الظالمين على لسان النبي (ص)؟

أم الذي يصدق مدح الظالمين على لسان النبي (ص)؟..

فالقضية في معاوية تبدأ من هنا.. هل هو ظالم أم عادل؟ وما مقياس الظلم ومقياس العدل..؟

ما معيار صحة الإيمان أو تحقق النفاق؟

وإذا أخذنا المعايير من القرآن الكريم وتركنا معاييرنا المذهبية فسنعلم أن الكبائر حرام وأن فاعلها أولى بالذم من الثناء! سواء فعل الكبائر صحابي أو تابعي، فالتفريق مذهبي أيضاً ومن آثار معاوية، بمعنى ليس هناك نص شرعي يقول بأن الله يتجاوز عن الصحابي[1] إذا ارتكب نحو خمسين كبيرة مصراً عليها حتى الموت، هذه المعتقدات المذهبية من وضع معاوية، فقد عمل على تخريب الدين كله.

---

(١) بغض النظر عن الخلاف في صحبة معاوية أو صحة إسلامه من عدمها.

كلام الدارقطني على أسانيد الحديث والجواب عليه:

وقد سئل عنه الدارقطني في العلل (٦/ ٢٧١) عن هذا الحديث فقال:

فقال هو حديث يرويه الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر [1]

واختلف عنه (أي عن الأعمش)

فرواه الثوري عن الأعمش كذلك[2].

ثم يقول الدارقطني:

ورواه أبو عوانة ومنصور بن أبي الاسود عن الأعمش عن حكيم بن جبير عن إبراهيم التيمي [3]

ثم علق الدارقطني بقوله:

وحكيم بن جبير ضعيف الحديث وهو الصواب [4]

ثم يقول الدارقطني:

فدل أن رواية الثوري ومن تابعه مرسل) انتهى كلام الدارقطني.

قلت: سيأتي أن الحديث صحيح الإسناد بأي الطريقين كان، وأن حديث الأعمش عن حكيم بن جبير حديث آخر، وأن حكيم بن جبير ثقة وليس ضعيفاً كما قال الدارقطني (وقد أفردنا ترجمة لحكيم بن جبير، وأثبتنا فيها أنه صدوق سني المذهب).

الخلاصة في حديث أبي ذر:

والخلاصة أن الإسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات وسمع بعضهم من بعض، ولا

---

(١) وهذا الإسناد رجاله ثقات سمع بعضهم من بعض، وهو على شرط الصحيح.

(٢) قلت: يعني عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر، وقد رواه عن الثوري بهذا الإسناد ثقتان من الكبار: الأول: عبد الرزاق الصنعاني عند ابن أبي حاتم في العلل، والثاني: محمد بن يوسف كما عند أبي نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان كما سبق.

(٣) قلت: يعني عن أبيه عن أبي ذر كما هو مفهوم من سياق السؤال عن الحديث.

(٤) قلت: يقصد أن هذا الطريق بزيادة حكيم بن جبير هو الصواب، والحق مع الدارقطني فالزيادة فيها زيادة علم لا سيما وأن الثوري كان يدلس.

وجود لحكيم بن جبير إلا احتمالاً[1]، وإن افترضنا صحة وجوده في الإسناد وأن الأعمش قد أرسل الحديث عن إبراهيم التيمي؛ وعرفنا أن الواسطة حكيم بن جبير كما يرجح الدارقطني فالحديث صحيح الإسناد أيضاً، أو حسن عند المتشدد من أهل الحديث، فرجال الحديث ثقات بإجماعهم، إلا حكيم بن جبير ففيه خلاف والصواب توثيقه، وقد وثقه الكبار ورووا عنه، فلا ينزل الرجل عن رتبة الصدوق، ولا الحديث عن صحة الإسناد في الجملة لأن هذا شاهد فقط، وليس أصلاً حتى نتوقف فيه، لا سيما وأن حكيم بن جبير ثقة عند التحقيق، لأن سبب تضعيفه كان بسبب حديث الصدقة وقد توبع عليه وصححه أهل الحديث من غير طريقه وأخذ به أكثر الفقهاء حتى الإمام أحمد نفسه، وقد يخطيء الثقة في الحديث والحديثين، أما بقية رجال الإسناد فهم ثقات ومحل إجماع تقريباً.

---

(١) فإذا صح أن الحديث الذي فيه رواية الأعمش عن حكيم بن جبير هو نفسه فقد سبق أنه اقتطاف من الحديث وأن الحديث يصح إسناده، وإلا فالذي أرجحه أن حديث الأعمش عن حكيم بن جبير حديث آخر وهو في معرفة علوم الحديث للحاكم - (١ / ٥٤٢): أخبرنا إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني قال: ثنا جدي قال: ثنا كثير بن يحيى، قال: حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « فلان في النار ينادي يا حنان يا منان » قال أبو عوانة: قلت للأعمش: سمعت هذا من إبراهيم؟، قال: لا حدثني به حكيم بن جبير عنه. اهـ وفلان هو معاوية، وسيأتي الإثبات في بحث آخر عن هذا الحديث ضمن الأحاديث التي تقرن معاوية بالنار في بحث مفرد عنوانه (معاوية والنار) كحديث البخاري (يدعوهم إلى النار) جزء من حديث عمار، وحديث (قاتل عمار وسالبه في النار) وحديث أبي برزة (ودعهما إلى النار دعاً) وحديث (أول من يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل النار) وحديث الدبيلة (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وحديث عمرو بن الحمق الخزاعي (آية النار) أي معاوية، وحديث الناكثين والقاسطين والآية (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) وحديث شدخ الرأسين، وحديث التابوت، إلى حديث (دعاة على أبواب جهنم) وهي تتناول معاوية بالأولية، وكذلك حديث (يا حنان يامنان)، وهذا الكتاب أيضاً فيه تلك العلاقة بين معاوية والنار، فالعلاقة وثيقة جداً بين معاوية والنار من أصح الأحاديث كحديث عمار إلى الحواضن القرآنية في الظالمين، ولم أجد شخصاً يقترن بالنار كمعاوية، لكن ماذا نفعل؟ (إنها لا تعمى الأبصار إنما تعمى القلوب التي في الصدور) وإذا عمي القلب تعطلت الحواس، والمقصود هنا أن الحديث آخر على الراجح وليس حديث (معاوية فرعون هذه الأمة)، نعم هو من شواهده العامة ولكنه آخر، والأعمش قد روى عن حكيم بن جبير أكثر من حديث، وكذلك روى عن إبراهيم بن يزيد أكثر من حديث، فلا يجوز جمع الأحاديث وإعادتها لحديث واحد، اللهم إلا من رأى أنها مروية بالمعنى، لكن الأعمش كان حافظاً للمتون ولا يقطعها أو يغير ألفاظها كما يفعل الحسن البصري بحسن نية أو البخاري بسوء نية.

وكل هذا إنما نقوله للعقلاء الذين لا يتعسفون، أما عند التعسف في التضعيف فيمكن تضعيف عبد الرزاق والثوري والبخاري ومسلم وأحمد..الخ وكل أهل الحديث سيكونون تحت دائرة التضعيف لأن ما روى الواحد منهم أكثر من حديث منكر، وقد استعرضت في الكتب السابقة تحريفات أحمد بن حنبل، وهي أبلغ من رواية الحديث الذي أنكره شعبة على حكيم بن جبير، ثم هؤلاء الرواة لهذا الحديث هنا (معاوية فرعون هذه الأمة) هم أقرب إلى رأي السنة والجماعة منهم إلى رأي المعارضة الشيعية، وإلا لما كانت أحاديثهم في الكتب الستة بالآلاف، بل أغلبهم سلفية، وخاصة الثوري وأبو عوانة وغيرهما ممن رووه عن الأعمش، وقد تابع بعضهم بعضاً عن الأعمش.

وهنا يبقى الأعمش فهل فيه شك؟ كلا، فالجميع يقول هو ثقة ثبت، وحديثه في الصحيحين بالمئات وفي الكتب الستة بالآلاف، وهم يقبلون منه الأحاديث في أكبر العقائد وأدق التفاصيل، وبالعنعنات، حتى لو أنه روى في حق الله ما لا يليق من تجسيم وجبر لرووه، فلا وجه لاستثناء معاوية من روايات الأعمش؟ فهو ليس أعلى من الله ورسوله حتى نجعل له قانوناً خاصاً، نعم هو متهم بالتدليس والحديث هنا بالعنعنة، إلا أن أحاديثه بالعنعنة تملأ الصحيحين، فلا يجوز أن نجعل لأحاديثه في معاوية أحكاماً خاصة، بل حتى لو لم يكن مدلساً لاخترعوا له هذه التهمة كما فعلوا مع عبد المجيد بن أبي رواد في حديث ابن عمر فقد قال أحمد وابن معين (ينبغي أن يكون دلسه)! هكذا (ينبغي)! فهم يخترعون التدليس لمن ليس مدلساً إذا تعلق الأمر بمعاوية.

ثم شيخ الأعمش، وهو إبراهيم بن يزيد التيمي – في إحدى الروايتين- ثقة باتفاق، ومن رجال الكتب الستة، وهو يرسل ويدلس كسائر التابعين، إلا أن روايته عن أبيه خالية من التدليس، وهذه منها، وقد روى له الجماعة.

وشيخه – شيخ إبراهيم- هو أبوه يزيد بن شريك التيمي ثقة باتفاق أيضاً، ومن رجال الجماعة، وقد أدرك الجاهلية، مات نحو عام ٨٠هـ، فإبراهيم بن يزيد التيمي وأبوه من الثقات السنيين المتفق عليهم، وأحاديثهم في الصحيحين.

وبقي الراوي الأخير وهو أبو ذر، وهو لا يحتاج إلى تعريف، ويكفي أنه أصدق الناس لهجة وصحابي من السابقين، والحديث بأنه أصدق الناس لهجة كأن فيه حكمة،

كأن النبي (ص) قد استودعه هذه الأحاديث التي صرح بها في زمن صعب، ودفع لأجل هذه الرواية ونحوها ثمناً قاسياً بنفيه إلى بلدة في الصحراء تسمى الربذة ليس فيها أحد من الصحابة.

فلم يبق إلا شيخ الأعمش في الرواية الثانية وهو حكيم بن جبير وهو وهم كما سلف، وسنفرد له ترجمة، وهو عند التحقيق ثقة أنكروا عليه حديث الصدقة فقط مع عملهم به وتصحيحهم له من غير طريقه.

ثم الثوري وغيره من أهل الحديث الذين رووه عن الأعمش، لن يرووه هكذا دون نظر في المتن، فهم يعرفون أن الحديث كبير وفيه طعن في معاوية بأنه فرعون هذه الأمة، والثوري وغيره ممن رووا الحديث عن الأعمش هم في آخر الأمر سلفية، فلماذا لم يستغربوا الحديث أو يكتموه؟ الأمر واضح أن السلفية العتيقة لم تكن كالسلفية المحدثة، كانوا قريبي العهد ويعرفون زمن معاوية ويعرفون معاوية أكثر من المتأخرين كأحمد والبخاري، فلذلك لو كان الحديث في أبي بكر أو عمر لاستنكروه مباشرة وردوه واتهموا رواته، لكن الحديث في جبار من الجبابرة فمر الحديث مرور الكرام لأنه معقول، ولأن معناه معقول، ولذلك لم يرووا تلك الأحاديث الموضوعة في فضل معاوية وإنما رووا هذا الحديث لأنه عندهم أصح، والثوري وأمثاله هم أرباب هذا العلم، هل وجدتم شعبة أو الثوري أو الأعمش رووا حديثاً في فضل معاوية؟ كلا.. إذن فهم يعقلون أن حديث (معاوية فرعون هذه الأمة) أقرب للشرع والواقع من حديث (اللهم اجعله هادياً مهدياً)! ونحوه من الأحاديث التي وضعها الشاميون بتوجيه من معاوية، وأريد أن أقول هنا أن الثوري وغيره من الرواة عن الأعمش لن يرووا الحديث هكذا دون استفصال واستيضاح للسماع لأسباب منها: تأثرهم بالواقع السلفي الأموي، أو على الأقل مراعاتهم للعامة الذين هم إفراز أموي لدولة أدرك منها الأعمش سبعين سنة! وثانياً: لعلمهم بأن صقور أهل الحديث سيتصدون لأي ذم لمعاوية لأنهم يمثلون العامة والسلطة القديمة، وثالثاً: لأنهم يعرفون كيف يتأكدون من صحة حديث خطير كهذا الحديث، ولا بد أن يمحصوا الأعمش تمحيصاً إما باستحلاف أو أسئلة تحقيق طويل.

ولا يمكن تعليل هذا الحديث إن وجدنا بعض هؤلاء يروون أحاديث معاوية ويحتجون بها فكيف يظنون أنه فرعون ويروون عنه؟ والجواب سهل، فهم لا يروون أحاديث معاوية، نعم رواها غيرهم.

ثم لو انتقوا من أحاديث معاوية ما يرون أنه صدق فيها بمتابعة أو تصديق من حاضرين أو نحو ذلك فهذا يحصل، وهم يروون عمن يعتقدون أنهم في النار كالخوارج وغلاة الشيعة وغيرهم ممن يصنفونهم في الفرق الهالكة والمبتدعة وأهل النار، وجواب آخر وهو: أن الرواية القديمة كانت تمتلك قدراً من العلمية أفضل من الرواية المتأخرة عند أهل الحديث بعد العهد المتوكلي، فكان أهل الحديث المتقدمون لا يحومون على مسألة البدعة مثلما يفعلون في مسألة الصدق والثقة، وإلا لما كان لهم قدرهم عند الفرق المعارضة، وثانياً: أن الله ابتلاهم الله بشهوة الحديث حتى أنهم يحدثون بما يتعارض مع معتقداتهم، وهذا كثير في حديثهم.. وكان الثوري وغيره يشكو من شهوة الحديث وأنها قد غلبت عليه.. وقد تتصارع شهوة الحديث مع حب معاوية فتغلب هذه عند الثوري وتلك عند أحمد وهكذا، والخلاصة أن الرجال سوى حكيم بن جبير محل اتفاق وأحاديثهم في كتب الصحاح بالآلاف فضلاً عن غيرها.

(انظر ترجمة حكيم بن جبير الموسعة في الملحق).

شاهد لحديث أبي ذر عن أبي ذر نفسه:

هناك شاهد آخر لعله جزء من هذا الحديث - على رأي الدارقطني- والراجح عندي أنه حديث آخر، فهو شاهد لحديث التابوت، وقد يكون الحديثان واحداً كما قلت سابقاً.

أما الحديث الشاهد ففي معرفة علوم الحديث للحاكم - (١ / ٢٤٥): أخبرنا إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني[1] قال: ثنا جدي[2] قال: ثنا كثير بن يحيى[3]، قال: حدثنا أبو عوانة[4]، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « فلان في النار ينادي يا حنان يا منان »[5] قال أبو عوانة:

---

(١) وهو ثقة عابد مشهور، توفي سنة ٣٤٨هـ..

(٢) هو الفضل بن محمد الشعراني (٢٨٢هـ) ثقة وقد رمي بالتشيع.

(٣) كثير بن يحيى أبو مالك، ثقة، (والتوسع في هذه التراجم في ملحق الرواة).

(٤) أبو عوانة (١٧٥هـ) ثقة مشهور من رجال الشيخين.

(٥) وفي كتاب المأمون الذي أعده في ذم معاوية - تاريخ الأمم والملوك - (٥ / ٦٢٢)-: ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي يا حنان يا منان الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) اهـ والمأمون لن يوجه خطاباً إلى أهل الحديث وعامتهم إلا

قلت للأعمش: سمعت هذا من إبراهيم؟، قال: لا حدثني به حكيم بن جبير عنه اهـ

التعليق:

السند صحيح، وقد سبق تعريف الأعمش فما فوقه، وأما من دونه فقد ترجمناهم باختصار في الهامش وسنتوسع في ملحق الرواة.

وأما (فلان) في هذا الحديث فهو معاوية.. والحديث جزء من حديث التابوت المشهور، وقد سبق، وهو الحديث الذي ظن أبو حاتم ثم الدارقطني أنه نفسه الحديث الأصل (معاوية فرعون هذه الأمة) لأن الأعمش رواه من الطريق نفسه من رواية الثوري عن الأعمش، ثم صرح بواسطته بينه وبين إبراهيم بن يزيد التيمي، في رواية أبي عوانة، لكن فات هؤلاء اختلاف اللفظين اختلافاً كبيراً، بل هما حديثان منفصلان لا يلتقيان إلا في النار، مثلما يلتقي معهما حديث (الفئة الباغية) فإن في آخره (يدعوهم (عمار) إلى الجنة ويدعونه إلى النار)، فليس كل الأحاديث التي تلتقي في النار تكون حديثاً واحداً، كالآيات التي تلتقي في وعد الكفار بالنار ليست آية واحدة.

ولكن هذا الوهم في الخلط بين الحديثين - إن أحسنا الظن - قد وقع فيه الدارقطني فضعف الحديث الأصل (معاوية فرعون هذه الأمة) بالحديث الثاني! لتصريح الأعمش هنا بأن هذا الحديث (وهو حديث مختلف كما ترى) إنما سمعه من حكيم ابن جبير، ولكنه لم يقل ذلك في الحديث الأصل (معاوية فرعون هذه الأمة) وإنما رواه مباشرة عن إبراهيم التيمي، فخلط الدارقطني بين الحديثين ثم انتقى أضعفهما إسناداً ثم نسفهما جميعاً، وليست هذه رواية بالمعنى، فالرواية بالمعنى لا تصل إلى هذا الحد من الانفصال، وإذا تكلفنا القول بأنهما حديث واحد (وهذا يحدث نادراً) فالسند صحيح.

والسر في هذا الوهم أن اهل الحديث استقرت عندهم عقيدة غريبة، وهي أنهم

وهو قوي عند بعض أهل الحديث على الأقل، وإلا سيتخذه أهل الحديث سبة على المأمون، بأنه ينشر الكذب على رسول الله (ص)، والمأمون كان عالماً بالحديث وله مستشاروه، وهو يواجه أهل الحديث فلابد أن يحدثهم بما يعرفون، وقد عملت السلفية المحدثة على إبطال هذا الحديث بتحريف الحديث فانتقل الحديث إلى فكرة أخرى مجردة (فانظروا حديث: يا حنان يا منان)!.

يقيسون السلف العتيق وعقائدهم على السلف المحدث وعقائدهم، وعلى هذا فهم لا يعقلون أن أهل السنة الأولى (السنة العتيقة) كإبراهيم التيمي ووالده لا يعرفون لمعاوية فضلاً، اتباعاً منهم للسلف الصالح بحق كأبي ذر ومعاوية وعمار وحذيفة و... الخ، فلذلك قد يتكلفون تضعيف شيء عنهم مخالفاً لما عليه المتأخرون، ولا يفرقون بين التدرجات السلفية التي تشكلت عير التاريخ ولظروف سياسية، بل إلى اليوم فيهم هذه الإنزياحات المتلاحقة نحو الثقافة العامة، فالسنة المحدثة أو السلفية المحدثة انزاحت من موقع إلى آخر- إلا أنهم لا يراجعون ولا يشعرون ولا يعترفون- فتحولت من ذم معاوية إلى الثناء على معاوية من باب الخضوع السياسي والخصومة المذهبية فقط، والخصومة المذهبية نفسها من تشكيل البلاط وإيجاده، ليجد له أنصاراً، ولذلك عندما نقول اليوم (نحن من أهل السنة) لا نقصد السنة المحدثة، وإنما نقولها بعد وعي تاريخي وحديثي بهذا التدرج والانزلاقات المتعاقبة للعقائد المذهبية، فلا نقصد سنة أحمد أو ابن بطة أو البربهاري أو ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب..كلا، نقصد سنة أبي ذر وعمار وعبادة بن الصامت وأمثالهم، فلذلك يبغضنا هؤلاء ويريدوننا أن نتبع السنة المذهبية والمحدثة المبتدعة، ولذلك لا يصدقوننا عندما نقول (نحن أهل سنة) ونحن لا نصدقهم عندما يقولونها أيضاً، هم لا يصدقوننا نتيجة ضعف في الوعي، ونحن لا نصدقهم نتيجة علم ووعي بهذه التحولات، وبعد قراءات متأنية شجاعة - ولا نزكي أنفسنا- إلا أن الواقع واقع، فنحن نعرف القوم عقولهم وعلومهم وقلوبهم، فهناك ضعف على سائر المستويات، العلمية والعقلية والقلبية، وضمائرهم أضعف من قلوب العصافير، ولا يستطيع أحدهم أن يصرح بخطأ لابن تيمية أو أحمد أو محمد بن عبد الوهاب أو ابن باز..الخ، فهذا الطرف العابد الحمق الضعيف هو كنز السلطات الظالمة عبر التاريخ، ولا يشك منصف أن مصلحة السلطات قديماً وحديثاً هو نصرة الطرف الأحمق المطاع، وإعطائه المشروعية على حساب السنة العتيقة، لأن السنة العتيقة لا تتصالح (علمياً) مع الظلم والنهب وقتل النفس..الخ بينما السنة المحدثة قد يسرت للسلطان الظالم فعل أي شيء من هذه الجرائم ثم هو فيها كلها مجتهد مأجور!

من هنا لا بد أن نعلم أن السنة المحدثة الخادمة للحاكم ستنتشر بسبب دعم السلطات، وأن السنة المحمدية أو العتيقة ستزعج الظالم، وقد أزعجت سنة أبي ذر أهل عصره من السلاطين وأصحاب رؤوس الأموال فكيف لا تزعج من بعدهم؟

ولذلك يتم تسليط أهل السنة السلطانية على بقايا أهل السنة العتيقة، فيبدعونهم ويفتون بقتلهم وينزعون عنهم شرعية الوجود وشرعية الإسلام وشرعية السنة وشرعية الإتباع وشرعية الحقوق، والسيف والسجن من خلف تلك السنة السلطانية ناصراً ومؤيداً، فكيف نستغرب كثرة أهل السنة السلطانية وقلة أهل السنة المحمدية؟ هذا طبيعي، بل لو أن أي شرعة في العالم تعرضت لما تعرضت له السنة المحمدية عبر هذا التاريخ الطويل (من عام ٤١هـ) لما بقي أحد من أتباعها[1]، جميع مصادر المعرفة تنتهك حقوق السني الحر المعتدل الذي يكتفي بتقديم صكوك البراءة، ولو دار الزمن دورته لما تجرأ هؤلاء الحمقى أن يدّعوا بأنهم سنة أصلاً، إنما يستطيلون على عباد الله بالسلطان، فهذا يشكر هذا في الصباح؛ ليعيد له الشكر في المساء، فسياسة معاوية ووعاظه مازالت إلى اليوم فاعلة جداً وخاصة في البلدان التي تحرم علم المنطق وتهجو العقل وأبرزها بلدي، فلذلك يمتعض التيار الرسمي من سنيتنا المعتدلة المتسائلة ويرفض أن يسميها سنة، لأن الذي في عقله هي السنة المذهبية التي تستسلم للشرع المذهبي وتعاند الشرع الإلهي الآمر بالعلم والعقل والعدل والحقوق وكرامة الإنسان والسداد في القول والبحث عن المعرفة... الخ فهذه الأمور أخطر عندهم من إنكار النبوات.

ونؤكد هنا أن هذه الاستطرادات ضرورية، بل لعلها أهم من البحث نفسه، ولا يعقل أهميتها إلا العقلاء، أنا أرى تجنب تلك الطريقة السخيفة التي يقدم فيها العلم مائدة

---

(١) عندما أحدد هذا التاريخ (١٤هـ) أي من عهد معاوية لا يعني أنه لم تكن هناك تمهيدات قبل معاوية، من عصبية قبلية واختلال في السلطة السياسية والمالية وخاصة في عهد عثمان بن عفان رحمه الله وسامحه، إلا أنني سأؤجل قراءة الفترة من بعد النبي (ص) في دارسة مقبلة عنوانها (الإسلام البشري) وأعني به تلك الاجتهادات والتعصبات والأخطاء التي مهدت لعهد معاوية، من أيام السقيفة إلى عهد عثمان، فإن معاوية لم يسقط عقوبة من السماء، وإنما هناك أخطاء تراكمت على المستوى السياسي والمالي والثقافي يجب ألا نهملها مهما كانت منزلة الأشخاص المرتكبين لها في قلوبنا وتراثنا، فالخطأ إن كان بحسن نية قد يأتي من يبني عليه بسوء نية، وليس الحق مع من يبريء الظالم بخطأ العادل، ومعظم الغلو في الخلفاء السابقين الثلاثة حتى أن القارئ يحسبهم أفضل من النبي (ص) فهذا الغلو الهدف منه حماية معاوية فقط وليس المقصود منه حرمة هؤلاء الخلفاء والانتصار لهم ممن ظلمهم، كلا هذه خدعة لم تعد تنطلي على أحرار أهل السنة. إنما الهدف منه قطع الطريق على من يتردد في رؤية معاوية.

للأغنياء، ويطرد عنها الأيتام والمساكين وابن السبيل والسائلين، هذه الطريقة هي التي أفسدت العلم وأهله، وفسد بفسادهم البر والبحر والفضاء.

الحديث الثالث: حديث ابن عباس

وهو من الشواهد المحتملة فقط، وليس في صحة حديث ابن عمر ولا حديث أبي ذر، ولكنه يكاد يكون متطابقاً مع آثار ابن عمر في حديث التابوت وقد سبقت، كما أنه ليس صريحاً في معاوية أيضاً.. فحديث ابن عمر بشواهده، وحديث أبي ذر مع هذا الحديث عن ابن عباس ثلاثتهم يسيرون في درب واحد واتجاه واحد، ويفسر بعض هذه الأحاديث بعضاً، إلا أن هذا الحديث عن ابن عباس أشمل في ذكر رؤوس الفراعنة المتقدمين والمتأخرين، في كامل ابن عدي وموضوعات ابن الجوزي وغيرها من الكتب المخصصة في الأحاديث الضعيفة[1].

ففي الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي- (٢ / ٤٠١)

حَدَّثَنَا جعفر[2]، حَدَّثَنا سَعِيد بن كثير بن عفير (وهو ثقة)، قال: أَخْبَرنا ابن لَهِيعَة (وهو صدوق يخطيء) عن يزيد بن أبي حبيب (وهو ثقة) عن داود بن أبي هند (وهو ثقة) عن الشعبي (وهو ثقة)، عنِ ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) وأما لماذا لا نجد مثل هذا الحديث إلا في كتب الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فهذا له أسبابه السياسية التي سبق ذكرها، فقد تم إضعاف هذه الأحاديث سياسياً وليس تضعيفها علمياً! فلا تستطيع دولة الإبقاء على حديث مثل هذا إذا كان يتناول مؤسسها تناولاً مباشراً وصريحاً إلى هذا الحد، فلا غرابة إذن في انتقال أحاديث صحيحة إلى كتب الموضوعات إذا تعلقت بذم الظالمين، وأيامنا هذه شاهدة، لا نكاد نسمع الآيات في ذم الظالمين عموماً، فكيف بحديث في تعيين مجموعة منهم؟! فالهواء السياسي يستنشقه كل أبناء الوطن! ولا يراقب المستنشق هذا الهواء الداخل إلى الجوف، وليسأل أحدكم نفسه: هل فكر أحدنا يوماً في الهواء الذي يستنشقه؟ إذن فالثقافة السياسية كذلك، نستلهمها كما نستلهم النفس إلا أصحاب العقول والتدبر والتفكر والنظر وغيرها من الأوامر القرآنية المنسية.

(٢) هو جعفر بن أحمد بن علي بن بيان، وهو المتهم بهذا الحديث، - وستأتي ترجمته مفصلة- ونكتفي هنا بأن نقول بأن الرجل متروك عند أهل الحديث، والتفصيل فيه سيأتي، ولعل حديثه في رتبة الحسن لغيره للشواهد والقرائن المدعمة له، ولكن بعض أحاديثه صحيح، لكن بعضها منكر جداً من حيث ركاكة العبارة والمعنى، وليس كل من اتهمه أهل الحديث بالتشيع يكون اتهامهم له للمذهب، فبعضهم ضعيف ومحل تهمة لكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

الفراعنة اثنا عشر؛ خمسة في الأمم، وسبعة في أمتي، وما بين فرعون أمتي وفرعون ذي الأوتاد [قيس شبر] واحد[1]، وذلك أن فرعون ذا الأوتاد قال أنا ربكم الأعلى قيل يا رسول الله فمن يكون ذاك من فراعنة أمتك قال «كل سافك دم قاطع للرحم جامع في المعاصي لا يبالي ما صنع »[2].

قال الشيخ (ابن عدي): وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل اهـ

---

(١) مابين الأقواس زيادة مني للإيضاح، ولأن ما أوردته جاء في كتب اللغة، فهنا من الواضح جداً أن هناك جملة محذوفة وهي التي لم نجدها إلا في كتب اللغة ونصها (: [ليس ما بين فرعَون من الفَراعنة وفِرعونِ هذه الأمَّة قِيس شِبْر])، فمن هنا زدنا (قيس شبر] من كتب اللغة، ولعلَهم أَرادوا تحريفَ الحَديث حماية لمعاوية فبقيت كلمة (واحد)! هكذا..، ويدل على الحذف والتصرف أو الإخفاء عدم استقامة العبارة إلا بهذا، وهذا السقط جزء من التصحيفات والتحريفات التي لحقت مثالب معاوية عامة، وهي كثيرة جداً، حتى الحديث المتواتر (عمار تقتله الفئة الباغية) لم يسلم من ذلك فقد روي بلفظ (ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)! هكذا بحذف (تقتله الفئة الباغية)! فمن صدق في مثالب معاوية ورواها كاملة دون حذف سيتهم بالكذب، ومن كذب فيها وبتر وحرف وأخفى يوصف بالصدق، وهو الزمان الموصوف (زمان يصدّق فيه الكاذب ويكذّب فيه الصادق ويؤتمن الخائن...) ومن يخرج عن هذه الخيانات يتم اتهامه فوراً بالخيانة! ومن يخرج عن هذا الكذب يتهمونه فوراً بالكذب! وهكذا.. فصواب الرأي بالدول كما يقول الإمام علي. بل حتى مع هذا التحريف أو الإخفاء فلم يسلم أحد رواة هذا الحديث (وهو جعفر بن بيان) من الاتهام بالرفض والكذب مع أنه حذف ما يرضيهم أو روى ما تم حذفه من قبل! والأحاديث سبب التهمة بالرفض ليست منكرة وسنوردها في ترجمته، نعم له أحاديث أخرى منكرة وركيكة، ولو انفرد بهذا الحديث لرددناه.

(٢) مع أني أشك أن يكون هذا جواب النبي (ص)، لأن الفراعنة بهذه الأوصاف سيكونون كثيراً في هذه الأمة، وليس مجرد سبعة فقط! لا بد أن يكون النبي (ص) صرح لهم بهؤلاء السبعة تصريحاً لا لبس فيه، لكن الحق ثقيل، ولا يستطيع كل أحد أن يحمل الدين كما هو! ولابد أن يكون أيضاً قد ذكر بعض البراهين والمصاديق على فرعنتهم، وهذه الصفات أو البراهين المذكورة في الحديث (سفك الدم، قطع الرحم، جامع للمعاصي، لا يبالي ما يصنع)، كلها في معاوية، بل لا أجدها مجتمعة في غيره في القرن الأول، وهي ألصق به من أبي جهل، فتدبروها، فلم يقتل أبو جهل إلا واحداً أو اثنين من المستضعفين، بينما قتل معاوية عشرات الآلاف، وهذه الصفات الأربع موجودة بنسب مختلفة في بعض فراعنة بني أمية، لكن معاوية أولهم وأبلغهم في ذلك وأدهاهم وأخفاهم! ولا ريب أن الأمة فيها فراعنة ظالمون، مثل الحجاج وبسر بن أبي أرطأة ومسرف بن عقبة وزياد بن أبيه وابنه عبيد الله وخالد القسري وأبو مسلم الخراساني وأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد والمتوكل.. الخ إلا أن الملوك كمعاوية وأبي جعفر ألصق بالصفة من الولاة كالحجاج وأبي مسلم، لأن فرعون كان سلطاناً ولم يكن مجرد وال أو أمير أو قائد جيش فلذلك لا يدخل الفراعنة الصغار من الولاة وقواد الجيوش وزعماء القبائل في هذا الحديث.

ثم وجدت لفظا الحديث في ذخيرة الحفاظ لابن طاهر المقدسي- (٣ / ١٦٥٠) باللفظ المحذوف، قال:

(حديث: الفراعنة اثنا عشر: خمسة في الأمم، وسبعة في أمتي، وما بين (فرعون) أمتي وفرعون ذي الأوتاد إلا وتد واحد، وذلك أن فرعون ذى الأوتاد قال: أنا ربكم الأعلى، قيل: يارسول الله فمن يكون ذاك من فراعنة أمتك؟ فـ(قال): كل سافك دمٍ قاطع للرحم، جامع في المعاصي، لايبالي ما صنع) رواه جعفر بن أحمد الغافقي المِصري: عن سعيد بن كثير بن عفير، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن داود ابن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن عباس. وهذا باطل، والحمل فيه على جعفر هذا اهـ انتهى كلامه وسنتوسع في ترجمة جعفر هذا.

التعليق الإجمالي على الإسناد والمتن:

أولاً: السند رجاله بين الثقة والصدوق إلا جعفر بن بيان يحتاج إلى ترجمة مفردة مفصلة مستقرئة لأحاديثه وسيرته، والرجل ليس كذاباً لكنه ضعيف مخلط، أو متأول في التصرف في الأسانيد والألفاظ كما يفعل البغداديون، وكما يفعل البخاري وأحمد وغيرهم، إلا أنهم أقل جرأة، وربما هو أسلم باطناً، وإذا اجتمعت سلامة الباطن مع الحماقة أتت بالعجائب، وعجائبه في غير هذا الحديث كثيرة، ولكن في هذا الحديث كأنه حفظه فإننا نجد له شواهد.

ثانياً: في كلام ابن عدي ما يدل على أن للحديث أصلاً، يدل على ذلك قول ابن عدي في ترجمته بعد أن ساق الحديث (وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل) وكأنه يلمح إلى وجود أسانيد أخرى فيها بعض هذا المتن، وهو هنا شاهد وليس أصلاً.

ثالثاً: قد اتهم جعفر بن أحمد بن بيان بالرفض، وهذا جرح مذهبي، ولا صحة له لأنه يروي في فضائل الصحابة أيضاً، ففي الكامل لابن عدي - (ج ٢ / ص ١٥٨) فذكر بسند فيه جعفر بن أحمد هذا حديث (احفظوني في أصحابي فمن حفظني فيهم كنت له يوم القيامة ولياً وحافظاً).

رابعاً: لجعفر بن بيان أحاديث محفوظة ومتابعات قبلها أهل الحديث (انظر ترجمته) وهذا يمنع من اطراح كل حديثه، وإنما يدرس كل حديث بمفرده ومتابعاته وشواهده.

والحديث في الموضوعات لابن الجوزي - (ج ٣ / ص ١٠٤) من طريق ابن عدي:

فروي بسنده حدثنا ابن عدي حدثنا جعفر بن أحمد بن على بن بيان حدثنا سعيد بن كبير (كثير) بن عفير حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الفراعنة (اثنا)[1] عشر، خمسة في الأمم، وسبعة في أمتي، وما بين فرعون أمتي وفرعون ذى الأوتاد (قيس شبر) واحد، وذلك أن فرعون ذا الأوتاد قال أنا ربكم الأعلى»[2].

قيل يا رسول الله، فمن يكون ذلك من فراعنة أمتك؟

قال: سافك دم، قاطع رحم، جامع في المعاصي لا يبالي ما صنع).

والحديث في اللآلي المصنوعة للسيوطي - (ج ٢ / ص ١٥٩)

(ابن عدي) حدثنا جعفر بن أحمد بن علي بن بيان حدثنا سعيد بن كثير بن عفير حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن عباس مرفوعاً: الفراعنة اثنا عشر خمسة في الأمم وسبعة من أمتي وما بين فرعون أمتي وفرعون ذي الأوتاد! - كذا!- قال أنا ربكم الأعلى قيل يا رسول الله فمن يكون ذلك من فراعنة أمتك قال كل سافك دم قاطع رحم جامع في المعاصي لا يبالي ما صنع) قال: وضعه جعفر اهـ قلت: انظر ترجمة جعفر بن أحمد هذا، فقد أفردناه.

استطراد في حديث: قيس شبر..

في النهاية في غريب الأثر لابن الأثير - (ج ٤ / ص ٢٢٢): حديث: [ليس ما بين فِرعَونٍ من الفَراعِنة وفِرعونِ هذه الأمَّة قِيس شِبْر] أي قَدْر شِبْر، القِيسُ والقِيدُ سواء اهـ وهو في لسان العرب - (ج ٦ / ص ١٨٥): وفي الحديث: ليس ما بين فرعَوْن من الفراعنة وفرعون هذه الأُمة قِيسُ شِبرٍ أَي قدرُ شِبرٍ القِيسُ والقِيدُ سواء اهـ

وذكر هذا ابن منظور ايضاً ففي لسان العرب - (ج ٦ / ص ١٨٥): (وفي الحديث:

---

(١) لفظة (اثنا) محذوفة من الأصل، وهي مثبتة في مصدر ابن الجوزي وهو (ابن عدي) وما بعده يفيده.

(٢) ولهذا اللفظ شاهد من رواية نصر بن مزاحم.. في أشد أهل النار عذاباً.. وما بين الأقواس زيادة مني تلافياً للسقط في متن الحديث الذي أكملناه من مواضع أخرى.

ليس ما بين فرعَوْن من الفراعنة وفرعون هذه الأُمة قِيسُ شِبرٍ) أَي قدرُ شِبرٍ القِيسُ والقِيدُ سواء اهـ

التعليق:

والسؤال: من هو فرعون هذه الأمة في هذا الحديث؟ولماذا لم يفصح عنه الرواة؟ ولماذا اختفى هذا الحديث حتى أننا لا نجده اليوم إلا في كتب الموضوعات وكتب اللغة؟! وربما قد لا نجده إلا في بعض كتب الشيعة أو الإباضية وقد لا نجده.

ولو كان هذا الحديث في أبي جهل لما اختفى، فإن أبا جهل ليس له نصير ولا أقام دولة ولا تهيأت له الأسباب لنشر الفضائل الموضوعة وكتم المثالب الصحيحة، وتتبع المخالفين وقتلهم تحت كل حجر ومدر، حتى ضاع أكثر الحديث الصحيح وفاضت علينا الأحاديث في الثناء على الظالمين ووجوب طاعتهم ومحبتهم والولاء لهم وإعانتهم على المعارضين.

كنت أستغرب لماذا كان ولاة معاوية في الكوفة خاصة، ثم في البصرة كادوا أن يبيدوا الشيعة تماماً؟!

لقد كانوا يتتبعون كل من عنده مثل هذه الأحاديث.. حتى ضاعت أو كادت!

أصبحنا لا نجد هذه الأحاديث إلا مع أناس هم في الأصل من شيعة وموالي وأنصار بني أمية..

فحديث (معاوية فرعون هذه الأمة) خرجت في العراق على لسان حكيم بن جبير وهو من موالي الحكم بن أبي العاص الأموي وقيل الثقفي (وثقيف حليفة بني أمية)، وخرجت في الحجاز على يدي عبد المجيد بن أبي رواد ونافع مولى ابن عمر، فالأول (عبد المجيد ابن أبي رواد) من موالي آل المهلب بن أبي صفرة (ووهم ولاة بني أمية)، والثاني (نافع مولى ابن عمر) وفيه انحرف واضح عن الإمام علي، بل حتى ابن عمر كان في أول أمره متحمساً لبيعة يزيد وطاعة معاوية ثم ندم في آخر حياته على أنه لم يقاتل الفئة الباغية مع علي كما أمر الله.. فكان رمح الحجاج في انتظاره فقتله سنة ٧٣هـ بعد مقتل ابن الزبير مباشرة وفي أثناء الحج وغيلة..وإلى الآن لا يعرف هؤلاء الغلاة في ابن عمر لا يعرفون أن الحجاج قتله رغم ثبوت هذا في صحيح البخاري.. فلا هؤلاء دافعوا عن الصحابة من آل محمد ولا عن الصحابة من آل الخطاب، لأنهم في الواقع

هم متبعون بجهل لبني أمية، فإذا أراد منهم بنو أمية ألا يعرفوا شيئاً لم يعرفوه..! هكذا بكل سهولة! حتى لو بقوا بعد بني أمية قروناً..

ثم نقول لبعض من عارض هذا الحديث (لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة معاوية) نقول لهؤلاء الذين تجشموا نقل هذا الحديث إلى أبي جهل (أبو جهل فرعون هذه الأمة) إن أبا جهل لا يختلف عن زعماء كفار قريش كأبي سفيان والوليد بن المغيرة وابني خلف (أبي وأمية) والحكم بن أبي العاص وابن الغياطل وغيرهم.. بل قد انتهى أثره بمقتله يوم بدر قبل كثير من هؤلاء الذين استمر حربهم لله ورسوله، وكانت فرعنتهم أبلغ من فرعنته، ومعظم ذم أبي جهل إنما هو أموي؛ لإبعاد أكثر التهم عن أبي سفيان، والنبي (ص) لا يحذر من الماضي، وإنما يحذر الأمة من فتن المستقبل كفتنة الدجال وفتنة بني أمية وفتنة المال..الخ، والتحذير من هذه الفتن المستقبلية أصح وأكثر واقعية، ولا ريب أن فتنة بني أمية تجمع معها الدجل والمال، وهذا يجعل خطرها مضاعفاً، هذا إن لم نكتشف يوماً أن نصوصاً صحيحة قد جعلت معاوية أخطر من الدجال[1].

---

(١) وقد جاء في الأحاديث الصحيحة الأسانيد؛ بأن هناك خطر أعظم من خطر الدجال، ولا ريب أن آثار معاوية على الأمة أبلغ من الآثار الموعودة عن الدجال، ففي صحيح مسلم - (ج ٨ / ص ٢٠٧): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ - يَعْنِي ابْنَ الْمُخْتَارِ - حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ عَنْ رَهْطٍ مِنْهُمْ أَبُو الدَّهْمَاءِ وَأَبُو قَتَادَةَ قَالُوا كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ نَأْتِى عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ إِنَّكُمْ لَتُجَاوِزُونِى إِلَى رِجَالٍ مَا كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنِّى وَلاَ أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ مِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ ». وزاد غير مسلم « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أكبر من الدجال، قد أكل الطعام ومشى في الأسواق » اهـ فإذا كان هشام بن عامر بن أمية الأنصاري قد ألمح لعمران بن حصين - وهو صحابي جليل- وخشي على التابعين منه، فكيف بمعاوية؟ بل أكاد أميل إلى أن المراد في الحديث هو معاوية، وكأن هشام بن عامر يأخذ على عمران بن حصين مخالطته ولاة معاوية كزياد وسمرة بن جندب بالبصرة، وبالتالي فهو يخشى عليه من الدجاجلة الصغار (ولاة معاوية) أن يصيبه منهم شيء من الدجل وتحريف الدين، فكيف لو رأى الناس يتهافتون على قصر الخضراء بدمشق ماذا سيقول؟ وكذلك لو رأى سلفيتنا المحدثة؟ وهل بضاعتهم إلا من آثار ذلك الدجال؟ والعجيب أنهم مع سماعهم هذا التحذير لم يرووا عن هذا الصحابي الجليل شيئاً! مع أنه في طبقة أهل بدر (استشهد أبوه يوم أحد)، بينما رووا عن آخرين آلاف الأحاديث، بل معاوية رووا له مئات الأحاديث وكلها موضوعة أو محرفة أو موظفة سياسياً، والحديث طويل.

ولا ريب أن أبا جهل من أعداء الله ورسوله الكبار، إلا أن أثره على الأمة (صفر)، فأبو جهل لم يحكم الأمة ولم يتفرعن ولم يضع الأحاديث ولم يفرغ الإسلام من دين عدالة إلى دين خصومات عقائدية وترغيب وترهيب، ولم يقلب سنن النبي (ص) ويحاربها، ولم يسن لنا سنة تضاهي السنة النبوية، سياسة وفكراً وحقوقاً وديناً وعقيدة.. الخ، فأبو جهل ليس بينه وبين فرعون من شبه إلا في الكفر الذي لا يختلف فيه أبو جهل عن أقرانه مثل أمية بن خلف والوليد بن المغيرة وأبي سفيان وعتبة بن ربيعة وأمثالهم من كفار قريش، اعرفوا سيرة فرعون وخصائصه من القرآن الكريم، ثم اعرضوها على سيرة أبي جهل وسيرة معاوية وانظروا أيهما أقرب للوصف بفرعون هذه الأمة! بل مجرد قراءة آية واحدة مثل ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤) [القصص] يجعلنا نعرف بسهولة أي الرجلين صح فيها الحديث؟وأي الحديثين يترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك...

ثم نقول بعد هذا كله: إذا كان هذا في أبي جهل فما الضرر من ضياع هذا الحديث؟

فكتمان هذا الحديث في أبي جهل غير معقول.. لكن كتمانه وإخفاءه إذا كان في معاوية أمر معقول..

فالأحاديث في ذم معاوية من أكثر الأحاديث المعمّاة بالفلانيات بالتعبير عنها بقولهم: (فلان)

فكتمانه في حق معاوية معقول.. وله الشواهد الكثيرة..

بل نظن أن كثيراً من الأحاديث في ذم معاوية (الذي ضرره متحقق على الأمة والدين) قد تم ترحيلها إلى ضحايا من الكفار والمسلمين على حد سواء.. وكان أبو جهل من هذه الضحايا حتى أنهم ينزلون فيه بعض آيات سورة التوبة وآل عمران وغيرها من السور التي نزلت وقد شبع أبو جهل موتاً! وتولى أبو سفيان قيادة قريش.. فهذا التحميل لكل كفر وعداوة على أبي جهل حتى بعد مقتله إنما الهدف منها التخفيف على أبي سفيان والأحزاب..

مثلما أخذوا فضائل صحابة آخرين وركبوها على معاوية، مثل: حديث (الله اجعله هادياً مهدياً)

وحديث (اللهم علمه الكتاب..) وحديث (أنت مني وأنا منك).. الخ

فالأول ورد في جرير بن عبد الله البجلي ورغم أنه لا يصح فيه وأنه من أصدقاء ودسائس معاوية إلا أنهم ندموا على ما وضعوه فيه من فضائل فاستعادوا أكاذيبهم وألبسوها معاوية، والحديث الثاني في ابن عباس... جعلوه في معاوية، والثالث في علي.. جعلوه في معاوية.

بل حتى الأحاديث في ذمه يقلبونها في فضله: فقلبوا (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) إلى (فاقبلوه)، ويطلع عليكم رجل يموت على غير ملتي.. إلى (من أهل الجنة)، وحديث تقتلهم أولى الطائفتين بالحق... زادوا فيه (التي تغلب)! وأحياناً يضطرون للتأويل... مثل: تأويلهم حديث الفئة الباغية بأنها الطالبة! وحديث لا أشبع الله بطنه، فاخترعوا الطعن في النبي (ص) بدلاً منه بأن النبي (ص) أخطأ في دعائه على معاوية ولذلك لمعاوية أجر بينما لم يخبرونا هل كان النبي (ص) مأجوراً في هذا الخطأ الذي ارتكبه أم أن الجر على الخطأ خاص بمعاوية؟! إلى ما لا يحصى[1]..

فهناك سبيل متكامل التخطيط... إنه سبيل المجرمين الذي شرع للجريمة طريقاً شرعياً، وفرق هذه الأمة شيعاً وأشغلها بتتبع زلات الصالحين عن معرفة سبيل المجرمين.

---

(١) وقد ذكرنا في كتابنا: أن وكيع بن الجراح حدثه أحدهم بهذا الحديث (لا اشبع الله بطنه) فقال وكيع معتذراً عن معاوية: ولكن رسول الله (ص) قال اللهم من لعنته فاجعلها له أجراً! فقال ذلك الرجل: هل تحب أن رسول الله لعن والديك حتى ينالهما الأجر؟ فأفحم وكيع! وهكذا فالفطرة تنتبه إذا جعل الشخص نفسه مكان معاوية مع كل الأحاديث في ذمه والمظالم التي ارتكبها، ولكن سحرة معاوية رووا أن الملعون مأجور، حتى يتمنى المخلصون أن يكون النبي (ص) لعنهم، وهذه الانتكاسات الفطرية سببها معاوية، فإنه كلما عمل جريمة وجّه بوضع حديث في فضلها! وكان وكيع رجلاً كوفياً صالحاً عاقلاً حتى أصغى لتلامذته البغداديين وتعزز بهم وأطاعهم في زيارة دمشق وعملوا له احتفالاً كبيراً فسحبه البغاددة والدماشقة إلى مثل هذه السفسطات.

المبحث الثاني
شهادات الصحابة والتابعين

وهذه جملة من شهادات الصحابة والتابعين على واقع معاوية بأنه يشبه واقع فرعون الذي ذكره الله في القرآن الكريم، بل البعض تكاد تصرح بفرعنة معاوية (كأثر عائشة مثلاً) لكن هذه الشهادات الصحابية والتابعين تعرضت للأسباب التي تعرضت لها الأحاديث المرفوعة من الإهمال والنسيان والاستنكار والبتر والتحريف والقسوة على بعض الرواة لتحميلهم مسؤولية رواية هذا الحديث مع أنهم قد توبعوا من الثقات.

ولذلك لا نجد هذه الأحاديث والآثار متطابقة الألفاظ، ولكن المعنى واحد، وأهل الحديث لا يشترطون في الشواهد أن يتطابق اللفظ حرفياً، وإنما يكون لها المعنى نفسه، إضافة إلى أن بعض الشهادات الآتية لها حكم المرفوع إذا كان إخباراً عن غيب (كما في شواهد ابن عمر السابقة)، فهذه الأحاديث التي فيها إخبار عن الغيب إذا صدرت من الصحابة فإن أهل الحديث يعدونها موصولة إلا إذا كان الصحابي له اتصال بأهل الكتاب وفي موضوع الأنبياء واليم الآخر وبدء الخلق ونحوها فإن أهل الكتاب قد يشيعون بعض الروايات والأخبار ويصدقها بعض الصحابة ويروونها، أما إذا كانت شهادة صحابي في الحكم على فلان بأنه من أهل النار فهذا لا دخل لأهل الكتاب به، لأن أحاديثهم ليست من هذا الباب.

الشهادة الأولى: شهادة الإمام علي:

استعرضنا قسماً كبيراً من شهادة الإمام علي في معاوية في كتابنا (حقيقة إسلام معاوية)، ونضيف هنا نصاً عن الإمام علي صريح في فرعنة معاوية، وقد يكون له

حكم الرفع، ففي الإيضاح لابن شاذان (٢٦٠هـ): قال: ورويتم عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن مروان بن زحيل[1] قال: سمعت عليا - عليه السلام - يقول: معاوية فرعون هذه الأمة وعمر بن العاص هامانها اهـ

التعليق:

وهذا نص صريح بأن معاوية هو فرعون هذه الأمة، ولا يضر النقل عن ابن شاذان، فإنه من خلال تتبعي لابن شاذان في كتابه الإيضاح، - وهو محدث شيعي معاصر للبخاري وسلم، ومات سنة (٢٦١هـ)- وجدته صحيح النقل موثوقاً فيما ينقله، فإن خفي شيء من رواياته مما ينقله عن مصادرنا الأولى؛ فقد يكون الذنب ذنبنا (إخفاءً أو تحريفاً) وقد ذكرنا بعض النماذج في الكتب الأخيرة، والسند رجاله ثقات إلا مروان ابن زحيل لم أجد له ترجمة، لكن إسماعيل بن أبي خالد موصوف بأنه لا يروي إلا عن ثقة[2]، فالسند لا يقل عن رتبة الحسن.

وأما المتن فله حكم المرفوع، فمثله لا يقال بالرأي[3].

---

(١) السند رجاله ثقات إلا مروان بن زحيل تابعي لم أجد له ترجمة في شيوخ إسماعيل بن أبي خالد ولا في كتب التراجم، فلعل في الأمر تصحيفاً أو أن الرجل كجهول، لكنه تابعي، وتلميذه إسماعيل بن أبي خالد من الذين وصفوا بأنهم لا يروون إلا عن ثقة.

(٢) تهذيب التهذيب - (ج ١ / ص ٥٥٢): (...كان صاحب سنة وكان حديثه نحو خمسمائة حديث وكان لا يروي الا عن ثقة).

(٣) وله شاهد آخر في كتب الشيعة من رواية مكحول: ففي كافي الكليني... قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول: قال: حدثنا سليمان بن حكيم، عن ثور بن يزيد، عن مكحول قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... وذكر فيها أن (معاوية فرعون هذه الأمة) اهـ. فهذا الإسناد شاهد للأثر السابق، ولم نبحث إسناده، ومكحول لم يدرك علياً فالأثر مرسل / وكون معاوية فرعون هذه الأمة مروي في السنة والشيعة، ففي الكافي للكليني (٤/ ٤٤٢):عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إن معاوية أول من علق على بابه مصراعين بمكة فمنع حاج بيت الله قال الله عز وجل: « سواء العاكف فيه والباد» وكان الناس إذا قدموا مكة نزل البادي على الحاضر حتى يقضي حجة وكان معاوية صاحب السلسلة التي قال الله تعالى: ﴿ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ﴾ وكان فرعون هذه الأمة اهـ

وهذا الأثر إن صح سيكون مرسلاً - ولم أبحث إسناده-..

الشهادة الثانية: شهادة الحسن بن علي:

المعجم الكبير - (ج ٣ / ص ٨١)

حدثنا أبو مسلم الكشي ثنا عبد الله بن عمرو الواقفي ثنا شريك عن محمد بن يزيد: عن معاوية بن حديج قال أرسلني معاوية بن أبي سفيان رحمه الله إلى الحسن بن علي رضي الله عنهم أخطب على يزيد بنتاً له أو أختاً له فأتيته فذكرت له يزيد

فقال: إنا قوم لا تزوج نساؤنا حتى نستأمرهن فائتيها فأتيتها فذكرت لها يزيد فقالت: والله لا يكون ذاك حتى يسير فينا صاحبك كما سار فرعون في بني إسرائيل يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم

فرجعت إلى الحسن فقلت: أرسلتني إلى فلقة من الفلق تسمي أمير المؤمنين فرعون!!

فقال: يا معاوية إياك وبغضنا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا زيد (سيط) يوم القيامة بسياط من نار اهـ.

التعليق:

النص واضح في الشهادة على عصر معاوية.

الشهادة الثالثة: شهادة الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي

في أنساب الأشراف:

وبلغ الشيعة من أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين من البيعة ليزيد، فكتبوا إليه كتاباً صدروه:

من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبه، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظهر - وبعضهم يقول مطهر - وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولةً بين أغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود، وليس علينا

إمام فاقدم علينا لعل الله يجمعنا بك على الحق، واعلم أن النعمان بن بشير في قصر الإمارة، ولسنا نجمع معه جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه فألحقناه بالشام. والسلام.

التعليق:

هل ما ذكره الصحابي الكبير سليمان بن صرد الخزاعي إلا صفة فرعون؟ هذا شاهد عيان على واقع عهد معاوية، وهو كوفي عراقي، ورأى آثار ملك معاوية على أصحاب أمير المؤمنين بالعراق، فهو شاهد عدل على عصر معاوية.

الشهادة الرابعة: شهادة ابن الحنفية:

في طبقات ابن سعد قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا أبو العلاء الخفاف عن المنهال بن عمرو قال جاء رجل إلى ابن الحنفية فسلم عليه فرد عليه السلام فقال كيف أنت؟ فحرك يده، فقال كيف أنتم أما آن لكم أن تعرفوا كيف نحن؟ إنما مثلنا في هذه الأمة مثل بني إسرائيل في آل فرعون كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم وإن هؤلاء يذبحون أبناءنا وينكحون نساءنا بغير أمرنا فزعمت العرب أن لها فضلاً على العجم! فقالت العجم وما ذاك؟ قالوا كان محمداً عربياً، قالوا صدقتم، قالوا وزعمت قريش أن لها فضلاً على العرب... الحديث اهـ

التعليق:

وهذا الأثر صحيح الإسناد، وإذا كان أهل البيت بمنزلة المستضعفين من بني إسرائيل فبنو أمية بمنزلة آل فرعون، وآل فرعون هؤلاء يتبعون شرعة فرعونهم الأول وهو معاوية، فهذا الأثر من المصاديق الواقعية للحديث.

الشهادة الخامسة: شهادة عائشة:

والآثار في فرعنة معاوية لا تختص بأهل البيت، بل وجدناها في كلام صحابة آخرين، كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ففي كتابي الصحبة والصحابة - (١٠٢) مع تصرف:

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا أيوب بن جابر عن أبي إسحاق (وهو السبيعي) عن الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء- يقصد معاوية- ينازع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة أهـ.

التعليق على الإسناد والمتن:

وهذا الإسناد رجاله ثقات، إلا أيوب بن جابر مختلف فيه، وقد قوى أمره أحمد ابن حنبل وعمرو بن على الفلاس وابن عدي والذهبي والبخاري وضعفه ابن معين والنسائي وابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة ويعقوب بن سفيان وتوسط فيه الذهبي: مشهور صالح الحديث ضعفه بعضهم. فالإسناد حسن، ودلالته صريحة في تشبيه عائشة لمعاوية بفرعون، فهل قالت عائشة هذا الكلام بناء على علمها بالحديث وأرادت التلميح لا التصريح أم أنه رأيها؟ لا سيما وأنها حدثت بهذا الحديث في عصر معاوية، وقد لا تستطيع أن تفصح كل الإفصاح، لا سيما وأن الأسود بن يزيد فيه نصب، وقد يشي بها إلى زياد بالعراق فيؤذيها، وهناك من يقول بأن معاوية لعائشة بئراً ووقعت فيها وماتت بسبب معارضتها الشديدة لبيعة يزيد ولياً للعهد! (وهذا ممكن ولم أتحقق منه).

الشهادة السادسة: شهادة أم المؤمنين أم سلمة:

في مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٧ / ص ٢٥٢) حدثنا أبو أسامة قال حدثني الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما كان عام الجماعة بعث معاوية إلى المدينة بسر بن أرطاة ليبايع أهلها على راياتهم وقبائلهم، فلما كان يوم جاءته الأنصار جاءته بنو سليم فقال: أفيهم جابر؟ قالوا: لا، قال: فليرجعوا فإني لست مبايعهم حتى يحضر جابر، قال: فأتاني فقال: ناشدتك الله إلا ما انطلقت معنا فبايعت فحقنت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلتنا وسببت ذرارينا، قال: فاستنظرهم إلى الليل، فلما أمسيت دخلت على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتها الخبر فقالت: يا بن أم! انطلق! فبايع واحقن دمك ودما قومك، فإني قد أمرت ابن أخي يذهب فيبايع.

التعليق:

السند صحيح على شرط الشيخين، وهذه شهادة كبيرة من أم المؤمنين أم سلمة، إذ أنها تعرف من سيرة معاوية وأنه يسبي نساء المسلمين ويقتل رجالهم أي كفرعون في قتل الأبناء واستحياء النساء، ومعاوية أول من سبى النساء المسلمات كما في حملات سفيان بن عوف وبسر بن أبي أرطأة، وأما بعده فكانت جيوشه تفجر بنساء الصحابة بجوار المسجد النبوي، فهذه فرعنة لا يدافع عنها إلا فراعنة النواصب.

والخلاصة:

إن الأحاديث المرفوعة صحيحة الأسانيد والآثار الموقفة من شهادات الصحابة والتابعين مع الحواضن القرآنية الآتية والواقع التاريخي الشاهد؛ كل هذا يدل على أن معاوية فرعون هذه الأمة، وإن افترضنا أن فيها أكثر من فرعون، فهو فرعونها الأكبر، وكل استبداد أتى بعده إنما انطلق من استبداده، لأن استبداد معاوية كامل، بسلطته ودهائه وسحرته وسفكه وأمواله وتكبره.. الخ، هو استبداد دولة تنطلق من فرعونها كما أن استبداد دولة فرعون ينبثق عن شخصه.

ويظهر أن معاوية قد عمل عمله في طمس هذا الحديث عن طريق تتبع رواته واضطهادهم، من أبي ذر إلى صلحاء التابعين، فأول من روى الحديث في وجه معاوية هو أبو ذر وقد علمنا ما جرى له، وهناك أسلوب آخر في محاربة هذا الحديث وهو إلقاء هذا الحديث فوق ظهر أبي جهل، فأبو جهل لا نصار له، ثم هو مخزومي، وبنو مخزوم منافسون لأسرة معاوية وهم منحرفون عن أهل البيت أيضاً، فربما يستلمون الملك، فعمل معاوية على سم زعيم مخزوم في وقته عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وإلزاق هذا الحديث برأس بني مخزوم المقتول كافراً يوم بدر (أبو جهل)، فهذا أسهل في إبطال الحديث، لا سيما وأن العامة والخاصة يقبلون أن يكون أبو جهل فرعوناً، إلا أن خاصة الخاصة يعلمون أن أبا جهل لا تتوفر فيه صفات فرعون المذكورة في القرآن الكريم، وإنما تتوفر في معاوية.

والغريب أن الأسانيد في كون أبي جهل فرعون هذه الأمة لا تصح، فهي مرسلة كلها، ولا تصح مرفوعة، بعكس الأحاديث في كون معاوية فرعون هذه الأمة في صحيحة الأسانيد وخاصة الحديثين المشهورين حديث ابن عمر وحديث أبي ذر.

المبحث الثالث:
الممانعات
ممانعة السلفية المحدثة والنواصب
مع التعليق عليها:

ممانعة أحمد (٢٤١هـ) ويحيى بن معين (٢٣٣هـ)

هذه الممانعة سبقت والاثنان من رواد السلفية المحدثة.. وابن معين يجامل أحمد ويضعف أمامه لأن أحمد عربي وكان ابن معين يقول (ما رأيت مثل أحمد، لم يفتخر علينا بالعربية قط) فكان أحمد آخر ملاجيء ابن معين من العنصرية العربية التي كان فاشية في أهل الحديث من العرب (وكلمة ابن معين تدل على هذا)، ومن قصص ضعف ابن معين أمام أحمد (خلافهما في الشافعي)، وإلا فابن معين أكثر التصاقاً بالرجال وأكثر اعتدالاً من أحمد وأبعد عن التهور، لكن لحقه بعض النصب بحكم انتمائه إلى أهل الحديث في زمنه الذين كن النصب فيهم فاشياً أيضاً (وللمنصور والرشيد والأمين سياسة قمعية ضد الشيعة وأهل البيت)، ومن نصبه الخفيف رحمه الله وسامحه أنه كاد أن يضعف الشافعي لتربيعه بالإمام علي في الخلافة وقتاله أهل البغي! ولولا رد أحمد عليه لفعل، ففي المستدرك على فتاوى ابن تيمية - (١ / ٢١٠): (ويدل على هذا أن أحمد بنى مسائله في قتال أهل البغي على سيرة علي، ولما أنكر ابن معين على الشافعي ذلك قال له أحمد: ويحك! فماذا عسى أن يقول في هذا المقام إلا هذا؟ يريد أنا لما أردنا؟..) وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية - (٤ / ٤٣٨) قال: (وَكَذَلِكَ أَنْكَرَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ عَلَى الشَّافِعِيِّ اسْتِدْلَالَهُ بِسِيرَةِ عَلِيٍّ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ الْمُتَأَوِّلِينَ قَالَ: أَيُجْعَلُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ بُغَاةً؟ رَدَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَد فَقَالَ وَيْحَك وَأَيُّ شَيْءٍ يَسَعُهُ أَنْ يَضَعَ فِي هَذَا

الْمَقَام: يَعْنِي إِنْ لَمْ يَقْتَدِ بِسِيرَةِ عَلِيٍّ فِي ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سُنَّةٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ).

فابن معين لا يقوى على مخالفة أحمد خاصة إذا كان أحمد حاضراً، سواء في إنصاف الإمام علي في حكم أو في حماية معاوية من حديث، والخلاصة أن أحمد وابن معين لا دليل معهما بأن عبد المجيد دلسه، وهما اعترفا بلسان الحال أنه لا علم لهما بالأمر فلذلك قالا (ينبغي أن يكون دلسه، سمعه من إنسان)! فهذا الكلام لا برهان فيه فيبقى الحديث على الأصل، لا سيما مع وجود شاهد صحيح الإسناد.

ممانعة أبي حاتم (٢٧٥هـ):

وهو أيضاً من السلفية المحدثة.. ولكن علمه يمنعه من المبالغة.. ثم هو تكلم على حديث أبي ذر فقط، ففي علل الحديث لابن أبي حاتم - (ج ١ / ص ٢٧٨٩):

سألتُ أبي، عن حديثٍ، رواه عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر[1] أنه قال لمعاوية إني و(أو) إياك فرعون هذه الأمة[2].

---

(١) سبق التعريف برجال الإسناد، وكلهم ثقات سمع بعضهم من بعض، وهذا فيه رد على ابن طاهر في دعواه انفراد ابن الفرات برواية الحديث من طريق سفيان الثوري بهذا الإسناد، فهاهو عبد الرزاق يرويه عن سفيان أيضاً، وكان عبد الرزاق لا يحدث إلا الخاصة بمثل هذه الأحاديث خوفاً من عامة أهل الحديث، فإنهم لا يحتملون في معاوية شيئاً كونهم إفرازاً ونتيجة لواقع سياسي أموي، وعجبي من جواب بعض الحمقى بأن العهد الأموي كان قد انتهى ولا أثر له، بينما نحن إلى اليوم لا نذكر هذه الأحاديث الخاصة إلا للخاصة رغم استقامة أسانيدها وقوتها، أما الأحاديث الموضوعة في فضل معاوية فتروى على المنابر، فالواقع السياسي الأموي يعمل إلى اليوم، فهل يشكون في أن بني أمية قد انتهى عصرهم؟ كلا.. فما بالنا لا نستطيع ذكر ألأحاديث ذات الأسانيد التي على شرط الصحيح في ذم معاوية؟ بينما رواية الموضوعات والأكاذيب في فضله من أسهل الأمور وفي كل مكان؟ بينما لا نستطيع ذكر فضائل الصحابة ممن ثاروا على عثمان وصحبتهم أسبق، وهم أتقى لله؟ لماذا.. إنه الواقع الأموي الأول الذي رويت فيه الروايات ودبغت فيه كل أديم، وقد اتهموا عبد الرزاق والثوري وكل من يروي شيئاً من هذا بالتشيع والرفض والبدعة، رغم أن سفيان الثوري يميل إلى النصب وخاصة في فترات من فترات عمره، لا أدري الآن هل كان آخر أمريه على هذا الرأي أم ذاك..

(٢) هكذا ذكره مختصراً ومحرفاً وموقوفاً على أبي ذر، والصواب رفعه، وكتب العلل تفعل هذا، قد تذكر طرفاً من الإسناد أو المتن أو لا تذكر الحديث كاملاً..الخ، ولكن كان ينبغي عليه أن يقول (أو) بدلاً من (و)، ثم هنا ذكر مناسبة الحديث ولم يذكر بقيته.. ولفظه الكامل: قال رسول الله أحدنا فرعون

قال أبي: هذا حديث باطل!

يروون أن الأعمش أخذه من حكيم بن جبير عن إبراهيم، عن أَبيه، عن أبي ذر[1]!

وحكيم هو نحو يونس بن حباب وهو ذاهب في الضعف [2]اهـ

الرد على أبي حاتم:

أبو حاتم الرازي (٢٧٥هـ) من كبار أهل الجرح والتعديل، إلا أنه جرّاح وشديد

هذه الأمة.. ومعنى كلام أبي ذر واضح بأن المراد معاوية كما سبق.

(١) قوله (يروون) يعني يذكرون، وهذا ينقله عن مجهولين، فواضح أن إشاعة الطعن في هذا الإسناد قد شاع بين أهل الحديث، فأخذوا يكررون إنما الحديث لحكيم بن جبير، لأن هناك حديث آخر لحكيم بن جبير في ذم معاوية (حديث يا حنان يا منان)، وهو الحديث الوحيد لحكيم بن جبير في ذم معاوية، فأصبح أهل الحديث يحيلون على حكيم بن جبير كل حديث يعجزون عن تضعيفه، مع أنه لو صح أن الأعمش أخذ هذا الحديث من حكيم بن جبير، فهذا الإسناد صحيح أيضاً..، وأقل أحواله الحسن، والحسن حجة عند أهل الحديث في العقائد والأحكام.

(٢) يونس بن خباب الكوفي (نحو ١٣٠هـ): هذا ثقة أيضاً، وقد صححوا له وأفتوا بأحاديثه، وفي تقريب التهذيب - (ج ١ / ص ٦١٣): يونس بن خباب الأسيدي مولاهم الكوفي صدوق يخطىء ورمي بالرفض من السادسة بخ ٤ اهـ بل هو ثقة، والتشيع عنه صحيح، لكنه ثقة شيعي، مثل كثير من شيوخ البخاري ومسلم في صحيحيهما، ولذلك قال أبو داوود الحنبلي صاحب السنن، (تهذيب التهذيب - (ج ١١ / ص ٥٨٣): قال أبو داود وقد رأيت أحاديث شعبة عنه مستقيمة وليس الرافضة كذلك) وزعموا أنه يشتم عثمان، ولا يصح، وإنما زعم أنه قتل ابنتي النبي (ص) وهذا إن صح فيكون روى أخباراً في هذا المعنى ضعيفة وقد رواها غيره، فقد روى بعضهم أنه ضرب أم كلثوم على رأسها بسبب إشاعتها أنه أخفى معاوية بن المغيرة الذي ضل يوم أحد ووجدوه في بيت عثمان وقد تزوج عبد الملك بن مروان ابنته عائشة،، وهذا قد يقال فيه تشيع ولا يضر صدقه، والتضعيف المذهبي غير علمي، وإن كانوا جادين فليضعفوا حريز بن عثمان وعروة بن الزبير ومعاوية ومروان..الخ، وفي تهذيب التهذيب - (ج ١١ / ص ٥٨٣): وقال الساجي صدوق في الحديث تكلموا فيه من جهة رأيه السوء اهـ وهذا التضعيف ليس علمياً عند حذاق أهل الحديث وسائر العقلاء، وكان يونس هذا شجاعاً يواجه غلاة أهل الحديث بشجاعة، ففي (تهذيب التهذيب - (ج ١١ / ص ٥٨٣) قال عباد بن عباد قال أتيت يونس بن خباب فسألته عن حديث عذاب القبر فحدثني به فقال هنا كلمة أخفاها الناصبية قلت ما هي قال إنه ليسأل في قبره من وليك فإن قال علي نجا فقلت والله ما سمعنا بهذا قال من أين أنت قلت من أهل البصرة قال أنت عثماني خبيث) اهـ..!! وظاهر كلام الحاكم أنه يصحح حديث عذاب القبر بزياداته التي ذكر يونس بن خباب أن النواصب أخفوها..وهذا يحتاج إلى بحث، فقد كان البراء بن عازب من أنصار علي والمختصين به، والعلماء بالأحاديث في فضله، فلا أستبعد أن يكون ما ذكره يونس بن خباب صحيحاً ولا أستبعد أن يكون من غرائبه ومنكراته، كل هذا يحسمه البحث، كفانا استعجالاً.

العصبية للسلفية المحدثة، ويكفي دليلاً على ذلك أنه ضعف البخاري صاحب الصحيح وترك حديثه لأجل أنه يقول بعقيدة جزئية خالف فيها السلفية المحدثة وهي مسألة اللفظ (انظر ترجمته في الجرح والتعديل)، فإذا كان تشدده المذهبي هكذا مع البخاري فكيف سيكون رؤيته لمن يظن أنه خالف في العقيدة أكثر مما خالف البخاري؟.

فتضعيف أبي حاتم لحكيم بن جبير ويونس بن خباب تضعيف مذهبي والدليل أنهم لم يجمعوا على هذا التضعيف، بل نصفهم أو أكثر على توثيق هذين الرجلين، وقد أثبتنا أنه حتى لو كان الأمر كما زعموا فالحديث صحيح الإسناد، وخاصة مع وجود شاهد من حديث ابن أبي رواد عن عبيد الله بن عمر العدوي عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً بأنه (لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة معاوية).

ويونس بن خباب كوفي ثقة أيضاً.. وهو من رواة تفضيل الشيخين، إلا أنه كان ينكر على عثمان بعض ما يراه أو يصدق به مما يروى من أخطائه.. وكذا حكيم بن جبير، بل يونس بن خباب عند الشيعة (مجهول)، وأما حكيم بن جبير فلم يترجموا له، وهو أيضاً من موالي بني أمية، فهما سنيان لكنهما يحبان علياً فقط، ونواصب أهل الحديث سخطوا على أحدهما من أجل معاوية والثاني من أجل عثمان، مع أن أهل السنة المتقدمين فيهم من يطعن في هذا أو هذا، وخاصة معاوية فقد كان ذمه شبه إجماع بين السنة المتقدمين، ولا مقارنة بين الرجلين (عثمان ومعاوية) إلا أنه لا ينكر باحث في التاريخ أن أكثر أهل بدر أيام عثمان كانوا يذمون عثمان رضي الله عنه ذماً شديداً (وهذه سأخرجها في كتب مستقلة تحت عناوين مثل: عائشة وعثمان، طلحة وعثمان، ابن مسعود وعثمان، عمار وعثمان، حذيفة وعثمان،.. الخ) وبقية الناس تبع لهؤلاء، ولم يكن مع عثمان إلا أفرد كأبي هريرة وابن عمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن سلام، ولا يشك منصف أن رموز الفريق المعارض أفضل من رموز الفريق الموالي.

إذن فالحديث صحيح الإسناد حتى لو رواه يونس بن خباب الذي له موقف من عثمان، فهو ثقة، فأين يذهبون؟ لأنه سبق وإن قلنا أن الأصل في الشيعي الصدق (لا يحب علياً إلا مؤمن) والمؤمن لا يكذب غالباً، والأصل في الناصبي الكذب (ولا يبغض علياً إلا منافق) والمنافق إذا حدث كذب، فهذه هي المعادلة الشرعية ولكن

أهل الحديث قلبوا المسألة الشرعية إلى مسألة مذهبية، فأصبح الشيعي كاذب مطلقاً والناصبي صادق غالباً، وكان انقلاب المعايير كفيل بنقل الحق إلى حيز الغرابة والنكارة والقبح، ونقل الباطل إلى مرتبة الشهرة والمعرفة والزينة، وهذا ابتلاء بين أيدي أهل العلم، والله سائلهم عن هذا التبدل في المعايير، لأن العامة لا يستطيعون تصحيح المعايير، وإنما أهل العلم، وعلى قدر الكتمان تكون العقوبة.

ممانعة الدارقطني (٣٩٥هـ)

وهذه الممانعة سبقت ونحن نحترمها ونقدرها لكونها غير مذهبية، بل هي اجتهاد منه، وهي ممانعة علمية منهجية.. ولكنه أخطأ لما سبق بيانه، ثم لم يتحدث إلا عن طريق أبي ذر ولم ينظر لشاهده من حديث ابن عمر، وربما لو سئل عن الحديثين جميعاً لصححه.

ففي علل الدارقطني - (ج ٦ / ص ٢٧١): وسئل عن حديث يزيد بن شريك عن أبي ذر أنه قال لمعاوية: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أحدنا فرعون هذه الأمة؛

فقال هو حديث يرويه الاعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر [1]

واختلف عنه فرواه الثوري عن الاعمش كذلك[2]

ورواه أبو عوانة[3] ومنصور بن أبي الاسود[4] عن الاعمش عن حكيم بن جبير عن إبراهيم التيمي[5]

---

(١) وهذا سند صحيح على شرط الشيخين.
(٢) هو نفسه، وهو على شرط الشيخين.
(٣) أبو عوانة الوضاح اليشكري (١٧٥هـ) ثقة من رجال الجماعة، وفي تقريب التهذيب: وضاح اليشكري البزاز أبو عوانة مشهور بكنيته ثقة ثبت من السابعة مات سنة خمس أو ست وسبعين.
(٤) منصور بن أبي الأسود صدوق من رجال السنن، وقد توبع من أبي عوانة، وفي تقريب التهذيب - (ج ١ / ص ٦٤٥): منصور بن أبي الأسود الليثي الكوفي يقال اسم أبيه حازم صدوق رمي بالتشيع من الثامنة د ت س اهـ وقد توبع من أبي عوانة.. وأرى الثوري أوثق منهما، وهو قديم وكان متشيعاً في أول طلبه للحديث، فلعل الأعمش اطمئن إليه أكثر منهما، لمكانته فذكر له الإسناد العالي، أو لعل الأعمش رواه عن الاثنين حكيم بن جبير ثم سمعه من إبراهيم، ولكن هذا احتمال بعيد.
(٥) أقل أحواله الحسن، كما سبق، لا سيما وأنه في الشواهد، ولم يتفرد برواية هذا الحديث.

وحكيم بن جبير ضعيف الحديث وهو الصواب[1]

فدل أن رواية الثوري ومن تابعه مرسل[2]

حدثنا أبو صالح الاصبهاني أنبأنا أبو مسعود أنبأنا محمد بن يوسف عن سفيان عن الاعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر: قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجلين (أحدهما فرعون هذه الأمة) فقال الآخر[3] أما أنا فلا اهـ

كذا حدث به أبو مسعود اهـ[4]

التعليق على الدارقطني:

تتركز ملحوظة الدارقطني على أن الأعمش أرسله عن إبراهيم التيمي، ولم يسمعه منه، وأن رواية الثوري عنه عن إبراهيم التيمي خطأ، وأن صوابه عن الأعمش عن حكيم ابن جبير عن إبراهيم التيمي، فالأعمش أو الثوري – عند الدارقطني – دلس اسم حكيم ابن جبير، وأرسل الحديث عن إبراهيم التيمي مباشرة، وهي ملحوظة قد سبق نقدها.

وللجواب المفصل على كلام الدارقطني نقول:

أولاً: إن حصل هذا فلا يضر صحة الإسناد كثيراً، فكلاهما (إبراهيم التيمي وحكيم ابن جبير ثقتان، إلا أن إبراهيم أشهر وأوثق وأقدم وألصق بأبيه)، إلا أن هذا احتمال

---

(١) حكيم بن جبير سبق الكلام فيه، وأن أقل أحواله أنه صدوق، وهو من رجال السنن، ثم هو شاهد كما سبق.

(٢) يقصد بقوله (مرسل) أي مدلس من الأعمش، وسنناقش هذا الرأي، وسيبقى رأياً وجيهاً، ألا أن لنا فيه نظرة.

(٣) الآخر هو معاوية، فهو من ينكر أن يكون فرعون هذه الأمة، وهذا الرجل قد أنكر قتل عمار! وزعم أن علياً هو الذي قتله، وإنكاره لقتل عمار بعد أن وضع الجائزة لمن يأتي برأسه غريب، وحتى لو لم يضع، فهو القائد، وعندما نقول إن عمر فتح العراق وفارس من هذا الباب، وليست هذه المرة الأولى، فمعاوية لا يبالي برد أي حديث، حديث عمار وحديث الولد للفراش وحديث أبي بكرة في الملك العضوض وحديث الرجل القحطاني، وأحاديث عبادة بن الصامت في تحريم الربا... الخ فالرجل يثبت على نفسه بأنه فرعون هذه الأمة، فإن من يتكبر على أحاديث النبي (ص) وسننه يشابه تكبر فرعون عن اتباع الهدى، والكل دعاة إلى النار.

(٤) هذا مروي بالمعنى، وقد رواه أبو ذر أمام معاوية بالمعنى أيضاً، لكون التعريض أبلغ كما سبق.. وهذا اللفظ حرفه ابن طاهر فزعم أن الدارقطني قال (تفرد به أبو مسعود).. ولم يقل ذلك كما ترى في العبارة.

قائم، وعلى هذا يكون الحديثان حديثاً واحداً، ويكون لفظه الكامل: (لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة معاوية، وإن معاوية في تابوت من نار يقول (يا حنان يا منان) وليس بينه وبين فرعون إلا درجة ولولا قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) لما كان أحد أسفل من معاوية)، ربما يكون الحديث الأصلي هكذا لكنه تعرض للتقطيع والإخفاء والبتر والهجوم على الرواة.. الخ، وأهل الحديث يقطعون الأحاديث لأغراض عدة، منها الاستشهاد ومنها الرمز للحديث ببعضه، ومنها حماية الذات من أذى العامة المتشبعة بحب معاوية (ومازال عامة السنة إلى اليوم متأثرين بمنهج معاوية في حب الظالمين والنفور من الصالحين).

ثانياً: ونورد هنا احتمالاً آخر وهو أن الأعمش سمعه من إبراهيم ومن حكيم بن جبير جميعاً عن يزيد التيمي عن أبي ذر، فرواه عن هذا مرة وعن هذا مرة، وحدث بالروايتين في مناسبتين مختلفتين، فروى الثوري ومن تبعه رواية من روايات الأعمش، وروى أبو عوانة ومن تبعه رواية أخرى، وقد تكون أحدهما (روايته عن حكيم) من باب المذاكرة لأحاديث حكيم بن جبير.

ثالثاً: والمذاكرة يعرفها أهل الحديث، وصورتها المحتملة هنا أن تكون رواية الأعمش عن حكيم بن جبير من باب المذاكرة، بمعنى قد يكون الأعمش والثوري تحدثا عن حكيم بن جبير هل هو ثقة أم لا، وما هي أحاديثه.. الخ فروى له الأعمش للثوري ما سمعه منه، وهذا لا يمنع أن يكون الأعمش قد اشترك مع حكيم بن جبير في السماع عن إبراهيم التيمي نفسه، فالأعمش (١٤٨هـ) وحكيم بن جبير (١٤٥هـ) شبه الزميلين، وسنهما متقارب فيما يخص الشيوخ المتوسطين المتوفين نحو المئة، إلا أن حكيم بن جبير أقدم من الأعمش فقد روى عن علقمة بن قيس (٦٢هـ) بينما الأعمش لم يولد إلا عام (٦١هـ) وكلاهما من المعمرين.

رابعاً: المكثرون كالأعمش يروي الحديث الواحد عن أكثر من شيخ عن شيخ أعلى، لأن مرحلة الأعمش خاصة هي مرحلة الأسانيد وليست مرحلة الأحاديث، فالأحاديث كانت قد استقرت إلى حد ما، ومرحلة الأعمش هي مرحلة التفتيش عن الشيوخ (فقد عاصرة شعبة فاتق الجرح والتعديل)، فقد يسرد الأعمش الأحاديث التي

سمعها من إبراهيم التيمي، ويسرد الأحاديث التي سمعها من حكيم بن جبير، فيتكرر الحديث، ويظن من لا يعرف هذا أن هناك اضطراباً في الإسناد، بينما قد يكون المراد في إحدى المناسبتين هو الإسناد أو الشيخ لا المتن.

مثال:

وهذا مثال فيه تعدد روايات الأعمش وإبراهيم التيمي

ففي كتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم - (١٨ / ١): حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس ابن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا ورقاء، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، قال: « كنا جلوساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء قوم يثنون على عثمان ويمدحونه، والمقداد في ناحية المسجد، فلما سمعهم يمدحونه قام فتناول الحصى، فجعل يحثو به في وجوههم، فقال عثمان: ما هذا؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم »، أو قال: « في أفواههم التراب »، أو قال: « الحصى ».

قال أبو نعيم:

رواه عن منصور: الثوري، وشعبة، وشريك، وقيس، ورواه الأعمش، ومغيرة أيضا، عن إبراهيم كرواية منصور،

ورواه الأعمش أيضاً، عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن المقداد

ورواه الأعمش أيضاً، عن موسى بن عبد الله بن يزيد، عن المقداد

.. الخ اهـ

فالأعمش هنا رواه عن عن إبراهيم..

ثم رواه أيضاً عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن المقداد..

ثم رواه آخر عن المقداد..

وهكذا نجد المكثرين المتفننين بكثرة الشيوخ والسماع كالأعمش يروون عن الشيوخ والزملاء وقد ينزلون إلى التلاميذ لحديث قد سمعوه أصلاً من الشيخ نفسه وهذا معروف في علوم مصطلح الحديث.

خامساً: من يعرف معاناة الأعمش مع أهل الحديث قد يكون هناك سر في تحديثه بهذا الحديث عن حكيم بن جبير، الذي مات قبل الأعمش بثمان سنوات، وكان كل منهما يحدث به عن إبراهيم، فكأن الأعمش لم يتحمل ضغط العامة، وقد كانوا يعاتبونه كثيراً على رواية بعض الأحاديث ويستعدون عليه، فكأنه أقنع نفسه بإحالة الحديث على زميله المتوفى حكيم بن جبير الذي سمعه مثله عن إبراهيم، ليكفي نفسه شر النواصب والمرجئة والعامة، فلو أنه تعهد برواية الحديث وصرح بسماعه من إبراهيم لضغطوا عليه حتى يلحقه الأذى أو يستعدون السلطة عليه، ولهروب الأعمش من أذيتهم له اختار أن يترك لهم مخرجاً إن أرادوا التضعيف بإحالة الحديث على زميله حكيم بن جبير عن شيخهما إبراهيم، وكأنه يتوقف عن التصريح بالرواية عن إبراهيم مباشرة حتى لا يؤذى من قبل المرجئة (والمرجئة هم السلفية زمن الأعمش)[1]، والأعمش بهذا جعل للعامة وعلمائهم متنفساً بأنه سمعه أيضاً من حكيم بن جبير، والأعمش صاحب حركات من هذا النوع فاقرؤا ترجمته، وستعرفون كيف أنه يضيق ذرعاً بأهل الحديث، ويحاول التخلص من أذيتهم، ويغضبهم ويغضبونه، ولكنهم لا يستغنون عنه، لقدم سماعه وثقته وضبطه، والسلفية المحدثة اليوم يفعلون مع أحرار السنة الشيء نفسه، فيحاولون إقناع فلان بأن يتبرأ من فلان، وأن لم يقل كذا وكذا وإنما نقله من قول فلان وأنه لا يقره على ذلك..الخ.

سادساً: ثم كلام الدارقطني يدل على أن الثوري لم ينفرد بهذا بل تابعه آخرون، وإنما اختار الثوري من بين هؤلاء لشهرته وإمامته في العلم.

ممانعة ابن طاهر المقدسي (٥٠٧هـ):

---

(١) وقال أبو معاوية الضرير: قلنا للأعمش: لا تحدث بهذه الأحاديث (يعني في فضل علي وفي ذم خصومه)، قال: يسألوني فما أصنع؟ ربما سهوت، فإذا سألوني عن شيء من هذا فسهوت فذكروني، قال: فكنا يوماً عنده فجاء رجل فسأله عن حديث: أنا قسيم النار، قال: فتنحنحت، قال: فقال الأعمش هؤلاء المرجئة لا يدعوني أحدث بفضائل علي أخرجوهم من المسجد حتى أحدثكم! اهـ فالمرجئة في عهد الأعمش هم كالسلفية اليوم، لا يطيقون سماع فضائل علي ولا ذم معاوية، ولو يسمعون أحداً اليوم يحدث بحديث (علي قسيم النار) - يعني نصف الأمة لعلي ونصفهم للنار- لرجموه، والحديث فيه تفصيل، ومعناه لا يختلف عن (لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق).

جاء في أطراف الغرائب والأفراد لابن طاهر المقدسي - (ج ٥ / ص ٥٤):

حديث: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجلين أحدهما فرعون هذه الأمة[1].. الحديث.

تفرد به أبو مسعود الرازي أحمد بن الفرات[2] عن محمد بن يوسف الفريابي [3] عن سفيان [4]عن الأعمش[5] عن إبراهيم[6] (يعني عن أبيه[7] عن أبي ذر[8]).

التعليق:

الإسناد صحيح على شرط الصحيح.. فكيف مع وجود الشاهد القوي وهو حديث ابن عمر السابق، مع شواهده.

خيانة أبي طاهر ونصبه:

ثم لم يتفرد به أبو مسعود، ولم يقل الدارقطني ذلك، وإنما هذا قول أبي طاهر المقدسي وهو متأخر، وكان ناصبياً أيضاً، فلذلك كانت حملته على الحاكم شديدة،

---

(١) هما أبو ذر ومعاوية، وهذا لفظ أبي ذر رواه بالمعنى، ولكن النواصب يكتمون الأسماء حتى لا يعلق احتمال ذم معاوية ولو ظناً، بل لفظاً، مع أن الله قد ذكر أقوال الكفار في حق نفسه، (وقالوا اتخذ الله ولداً..) ثم رد عليهم، لكن حرص النواصب على تنزيه معاوية أكبر من حرص الله على تنزيه نفسه.

(٢) ثقة، ففي تقريب التهذيب: أحمد بن الفرات بن خالد الضبي أبو مسعود الرازي نزيل أصبهان ثقة حافظ تكلم فيه بلا مستند من الحادية عشرة مات سنة ثمان وخمسين ، ولم يتفرد فقد نص الدارقطني أن الثوري قد توبع على هذا كما سيأتي لكن لم يذكر إلا رواية أبي مسعود.

(٣) ثقة، ففي تقريب التهذيب: محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي مولاهم الفريابي نزيل قيسارية من ساحل الشام ثقة فاضل يقال أخطأ في شيء من حديث سفيان وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبد الرزاق من التاسعة مات سنة اثنتي عشرة.

(٤) ثقة، وهو الثوري إمام مشهور من رجال الجماعة أحاديثه بالآلاف..تقدم.. (١٦١هـ) لا يسألون عنه..

(٥) ثقة وهو الأعمش (١٤٨هـ) كسفيان أحاديثه بالآلاف روى له الجماعة بجميع الصيغ ولم يفرقوا بين عنعنة وسماع.

(٦) ثقة وهو إبراهيم بن يزيد: هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي (٩٢هـ) تابعي ثقة من رجال الجماعة أيضاً..

(٧) ثقة وهو هو يزيد بن شريك بن طارق التيمي (نحو ٨٢هـ) ثقة من رجال الجماعة، قيل إنه مخضرم.

(٨) ثقة وهو أبو ذر الغفاري صحابي من السابقين، أشهر من أن يعرف.. وأصدق الناس لهجة.. (٣٢هـ)

لأن الحاكم من محبي أهل البيت، فقال عن الحاكم كما في سير أعلام النبلاء - (ج ١٧ / ص ١٧٤): قال ابن طاهر: كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفاً غالياً عن معاوية رضي الله عنه وعن أهل بيته، يتظاهر بذلك، ولا يعتذر منه)! اهـ

هكذا إذن! فقد أصبح لمعاوية (آلٌ) أيضاً!

إذن يجب ألا ننحرف عن معاوية (وآله)! حتى نبقى على سنة ابن طاهر وغيره من النواصب!

فابن طاهر إذن ناصبي وهو غير مؤتمن على الحديث وعلى تقييم رواته، وهو الذي حرف قول الدارقطني بأن ابن الفرات تفرد به، والدارقطني لم يقل هذا، وقد طبع كتابه العلل وكلامه سيأتي ليس فيه شيء من هذا، وقد ذكره من عدة طرق وليس من طريق واحد، نعم رجح الدارقطني إرساله وضعفه لوجود حكيم بن جبير وهذا اجتهاد الدارقطني، ولكن ليس كما نقل ابن طاهر الناصبي، وهنا الفرق بين النصب عن قصد وهوى، والنصب المدرسي الذي لابد أن يلحق أكثر أهل الحديث.

بل حتى رواية الثوري ذكر الدارقطني كلمة (الثوري ومن تابعه) فظاهر أن هناك أكثر من راو رووه بلا وجود لحكيم بن جبير، وإنما عن الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر.

ممانعة ابن تيمية وشناعتها:

ابن تيمية مع أنه متأخر، إلا أن من يقرأ ما يبثه في كتبه عن فرعون، يدل على أنه يعلم الحديث وأنه في معاوية فآثر ألا يثيره أصلاً ولو حتى من باب التضعيف له، لكنه حاول إلزاق الفرعنة بالإمام علي بطريقة ذكية ماكرة، فحاول أن يوحي إلى أتباعه بأن علياً حاله حال فرعون! ومن باب الإلزام فقط! وأنه لا يتحمل هذا الرأي وإنما يفرض الفرض الباطل ثم يبني عليه..

يقول (ابن تيمية في منهاج السنة ٤/ ٢٤٦):

(فمن قدح في معاوية بأنه كان باغياً، قال له النواصب: وعلي أيضاً كان باغياً ظالماً

قاتل المسلمين على إمارته وصال عليهم.... وقال: فمن قتل النفوس على طاعته كان مريداً للعلو في الأرض والفساد، وهذا حال فرعون والله تعالى يقول: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً العاقبة للمتقين. فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة وليس هذا كقتال الصديق للمرتدين ومانعي الزكاة فإن الصديق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله لا على طاعته، فإن الزكاة فرض، فقاتلهم على الإقرار بها بخلاف من قاتل ليطاع هو) اهـ.

فهنا ابن تيمية أراد نقل الفرعنة من الفرعون الحقيقي لهذه الأمة (معاوية) إلى رجل بمنزلة هارون من موسى، يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله،، كل هذا فعله ابن تيمية من باب التشويش على حديث فرعون هذه الأمة، وقد تعبنا في تتبع شناعات ابن تيمية ولكن أتباعه أشربوا حبه كعجل بني إسرائيل، ومن اعتاد على معاندة البراهين مرة بعد مرة قد تكون عقوبة الله له أن يحرمه من الهداية.

وابن تيمية يعرف أن علياً ليس من أصحاب العلو في الأرض ولا الفساد كما يدعي، وإنما كان خليفة شرعياً قاتل من انفصل عن جسد الدولة الإسلامية لأطماع دنيوية (كمعاوية) أو من استحل دماء المسلمين (كالخوارج)، ولكن حقد ابن تيمية على الإمام علي وقلب مثالب معاوية إليه كان للتغطية على مثل هذه الأحاديث، فابن تيمية واسع الاطلاع، ولا بد أنه وقف على الأسانيد القوية للحديث فأراد استباق الأمور بتحويل الفرعنة إلى الإمام علي من باب الكيد والحقد والمشاكسة للشيعة، وبغضه للشيعة ليس كبغض كثير من الصالحين للشيعة بسبب ما يرونه من غلو وخرافات في عقائدهم وطقوسهم، مع كامل محبتهم للإمام علي، وأغلب أهل السنة على هذا، أما ابن تيمية فبغضه للشيعة فرع من بغضه للإمام علي وليس العكس، إلا أنه داهية كمعاوية ولا يفصح تمام الإفصاح، وستجدون من يعتذرون عن كلامه السابق، وأنه إنما قصد رد الغلو بغلو، وقصد كذا وكذا ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩)﴾ [النساء].

أيضاً.. الفرق الإسلامية عند ابن تيمية كفرعون:

أيضاً ابن تيمية أكثر من ذكر تشبيهات الفرق الإسلامية بفرعون كما شبه الإمام علي

بفرعون، لكنه لا يشبه معاوية ولا النواصب بفرعون ولو من تشابه بعيد! كل هذا إمعاناً منه ومحاولة للتأكيد على أن كل مسلم أقرب إلى فرعون من معاوية، ابتداء من علي بن أبي طالب إلى الأشاعرة إلى الصوفية وابن عربي إلى الشيعة.. الخ، فالبريء عند ابن تيمية هو من المعرق في الكفر والنفاق ومن لعنه الله ورسوله كمعاوية، وليس المغرق في الإيمان ومن يحبه الله ورسوله كالإمام علي، ثم أضاف ابن تيمية الفرق الإسلامية كلها للتشبيه بفرعون، وهذا من عمل معاوية (تفريق الأمة شيعاً على أسس خصومية في العقائد فألهاهم عن كرامة الإنسان والعدل والحرية.. الخ)

وقد اختار ابن تيمية في تشبيه الفرق الإسلامية بفرعون مسألة عقدية تجسيمية كأن الله أرسل موسى عليه السلام للرد على الأشاعرة! وليس (إذهب إلى فرعون إنه طغى) فالطغيان آخر ما يهم التيار السلفي، وهم أم الطغيان وأبوه وصاحبته وبنوه.

انظر إلى محاولاته في تشبيه خصومه من الأشاعرة بفرعون يقول في (جامع الرسائل - (ج ١ / ص ٩٣)

ويقال لهم ثالثاً: من الذي سلم لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة...، فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل تقليداً لمن توهموا إنه عالم بالعقليات، وهم مع أئمتهم الضلال كقوم فرعون معه، حيث قال: « فاستخف قومه فأطاعوه » قال تعالى عنه: ﴿ فاستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ وفرعون هو إمام النفاة... الخ)

ويقول في: جامع الرسائل - (ج ١ / ص ٢١٩): وقال سليمان بن داود الهاشمي: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وإن كان القرآن مخلوقاً كما زعموا فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال « أنا ربكم الأعلى »؟ وزعموا أن هذا مخلوق والذي قال « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » هذا أيضاً قد ادعى ما ادعى فرعون، فلم صار فرعون أولى أن يخلد في النار من هذا؟ وكلاهما عنده مخلوق. فأخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه.ومعنى كلام هؤلاء السلف رضي الله عنهم: إن من قال أن كلام

الله مخلوق خلقه في الشجرة أو غيرها كما قال هذا الجهمي المعتزلي المسؤول عنه، كان حقيقة قوله أن الشجرة هي التي قالت لموسى « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني» ومن قال هذا مخلوق قال ذلك، فهذا المخلوق عنده كفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، كلاهما مخلوق، وكلاهما قال ذلك، فإن كان قول فرعون كفراً فقول هؤلاء أيضاً كفر. ولا ريب أن قول هؤلاء يؤول إلى قول فرعون..الخ.

وقال في جامع الرسائل - (ج ١ / ص ٢٣٢): وكل من يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجلين إما جاهل بحقيقة أمرهم، وإما ظالم يريد علواً في الأرض وفساداً، أو جامع بين الوصفين. وهذه حال أتباع فرعون الذين قال الله فيهم « فاستخف قومه فأطاعوه» وحال القرامطة مع رؤسائهم، وحال الكفار والمنافقين في أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون « إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا » إلى آخر الآية وقوله « وألعنهم لعناً كبيرا » وقال تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً - إلى قوله - وما هم بخارجين من النار » وفي جامع الرسائل - (ج ١ / ص ٢٤٨): قولهم إنما ينطبق على المعطلة مثل فرعون وحزبه الذي قال (وما رب العالمين) وقال (ما علمت لكم من إله غيري) وقال (يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات) الآية، فإن فرعون يقر بوجود هذا العالم ويقول ما فوق رب ولا له خالق غيره. فهؤلاء إذا قالوا أنه عين السماوات والأرض، فقد جحد وأما جحده فرعون وأقروا بما أقر به فرعون، إلا أن فرعون لم يسمه إلهاً ولم يقل هو الله. وهؤلاء قالوا هذا هو الله. فهم مقرون بالصانع لكن جعلوه هو الصنعة. فهم في الحقيقة معطلون، وفي اعتقادهم مقرون، وفرعون بالعكس كان منكراً للصانع في الظاهر وكان في الباطن مقراً به. فهو أكفرهم منهم، وهم أضل منه وأجهل. ولهذا يعظمونه جداً..وفي جامع الرسائل - (ج ١ / ص ٢٦٥) لكن فرعون لم يكن مقراً بالله وهؤلاء يقرون بالله، ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون، فهم أجهل من فرعون وأضل،... وفي جامع الرسائل - (ج ١ / ص ٢٧٣): وكنت أقول لمن أخاطبه أن قولهم هو حقيقة قول فرعون حتى حدثني بعض من خاطبته في ذلك من الثقات العارفين: أن بعض كبرائهم لما دعا هذا المحدث إلى مذهبهم وكشف له حقيقة سرهم قال: فقلت له هذا قول فرعون، قال: نعم، ونحن على قول فرعون، قلت له والحمد لله الذي اعترفوا بهذا،

فإنه مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بينه... وفي جامع الرسائل - (ج ١ / ص ٣١٧): والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالرد على فرعون وأمثاله، ويذكر فيه الرد على المشركين وهذا أكثر... الخ.

التعليق:

وهكذا فابن تيمية يكثر من المقارنة بين فرعون والمسلمين، لينسى الناس هذا الحديث في فرعنة معاوية وقد نجح إلى حد كبير، ليس في هذا فقط، وإنما في انشغال السلفية بالدفاع عن كل ظالم والطعن في كل مؤمن، فالرجل مصر على تشبيه المسلمين كل المسلمين الذين يسميهم (النفاة) بفرعون، والنفاة لفظ يشمل الأشاعرة والصوفية والأباضية والشيعة بفرقها والظاهرية والكلابية واللفظية والمعتزلة..الخ، ولا ريب أنهم أبعد عن صفات فرعون، بل حتى الآيات التي ذكرها ابن تيمية سياقها واضح في الظلم والعلو في الأرض والطغيان، وليس سياقها في صفة العلو أو خلق القرآن أو الشاب الأمرد، ولكنه نسي ما فيها من ذم الظلم والظالمين وساقها إلى موقع آخر لم تنزل فيه وليس من مقاصد هذه الآيات الكريمة، وهذا عمل السحرة، ولا يفلح الساحر حيث أتى.

بل كل المواضع التي ذكرها فيها ابن تيمية فرعون لا يذكره إلا في سياق المقارنة مع المسلمين الصادقين، وليس لمقارنته مع الطغاة والظالمين، وكأن الله أرسل موسى وهارون لفرقة إسلامية مبتدعة، كأن فرعون لم يكن ظالماً ولم يكن عالياً في الأرض ولم يكن من المفسدين، وإنما كان عنده خلل في العقيدة! فكل الأمور العظام التي هي سبب إرسال الله لموسى عليه السلام إلى فرعون يهرب منها ابن تيمية بسرعة مذهلة إلى أسباب أخرى سخيفة وتافهة، وكأن الله أغرق فرعون لأنه أشعري أو صوفي! راجعوا كل كلام ابن تيمية عن فرعون في سائر كتبه وستجدونها كلها في هذه الدقائق العقدية والخصومات المذهبية الكلامية، وهذا تحريف لكلام الله وهو نوع من السحر الذي يسحرون به العامة حتى يشغلونهم عن رؤية الظالمين إلى كراهية الأبرياء من المخالفين لهم في بعض المسائل الكلامية ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ...﴾.

وهذا كفعل حكومات اليوم في إشغال الناس بالطائفية، ما من طاغية إلا واستخدم بعض السلفية في إنعاش الطائفية ليتم السكوت عن المظالم، بل حتى في الدول القمعية نجدها عند وشك السقوط تحيي فتاوى ابن تيمية لأنه ينقل المعركة بسرعة من المواجهة العادلة مع الظالمين إلى مواجهة عبثية بين المسلمين.

وعلى هذا فنصيحتي لكل شباب الثورات الحقوقية في العالم الإسلامي ألا تصدقوا كل شيخ طائفي إذا سمعوا منه يوماً ذماً للظلم والظالمين؛ فإنما يذمهم لمصلحة شخصه وحزبه حتى يتمكن حزبه ثم يتبعون سبيل المجرمين كمعاوية، في الظلم والعلو في الأرض وتفريق الأمة شيعاً والشدة على العامة المساكين والتأول في الأموال والدماء... يفعلون هذا عبادة منهم للمنهج السفياني الذي نصره ذلك العالم الرباني! - بزعمهم- وهذا المذهب كفيل بتفريغ الثورات من الداخل كما فرغ معاوية الإسلام من الداخل.

وقد رأينا في هذا الزمن شيوخاً كباراً ركبوا موجة المقاومة والثورة بانتهازية ماكرة شديدة، وهم في الباطل ينصرون من هو أظلم من هؤلاء الطغاة كلهم، ولذلك نجدهم إن وصل الثورات إلى من يحبونهم من الظالمين يتحول هؤلاء الشيوخ إلى أرباب طوائف بخطاب طائفي كاذب كريه مناصر للظالمين شديد على المظلومين، فحب معاوية يلحق صاحبه حتى يضله ويكشفه ولو كانت رجله على عتبة القبر.

وحتى لا ننس الطرف الآخر أيضاً، فإن قلة من الثوار هنا وهناك، يسيئون إلى هذه الثورات الحقوقية وإلى طوائفهم عندما يلبسون الثورة لبوساً طائفياً أو حزبياً ضيقاً، فالواجب الاتحاد على الحقوق، وأن تكون الراية حقوقية بحتة، مع العناوين القريبة كحق المعرفة وحرية الحصول على المعلومة، وتوفر الخدمات، وغير ذلك من العناوين الجامعة، ويجب ألا تكون مجرد شعارات وإنما يتم الالتزام بها عملياً، فالإكراه في الدين محرم، لكن الإكراه على العدل واجب، فإذا استوعب شباب الثورة في كل مصر هذا الأمر فإنهم سيقطعون الطريق على كل الطائفيين والمتسترين بالشعارات البراقة، وأنتم تعرفون هؤلاء دون تسمية، راقبوا مواقف الشخص واعرفوا أن المتقلب كاذب، وأن صديق الطغاة كاذب.

وليسمح لي القراء الكرام في إدخال بعض الأحداث المعاصرة في تخريج حديث كهذا أو نحوه، لأن الهدف من كتابة مثل هذا الكتاب أبعد من تصحيح حديث هنا أو تضعيف حديث هناك، وإنما الهدف أن يتعرف شباب المسلمين وباحثوهم على الأسباب الحقيقة للأدواء التي أصابت الأمة، والتي قد لا يعرفون من أين أتت، فهذا الكتاب وأمثاله يساعدهم على اكتشاف سبيل المجرمين، الذين أبطلوا لهم دينهم، وجعلوه ديناً نصيراً للظالمين والتافهين، بعيداً عن الصادقين والعادلين وأهل البحث والمعرفة والعقلاء..

أكتب مثل هذا الكتاب بعد أن رأيت من يشك في الإسلام والنبوات لأن رأى أن هؤلاء الحمقى الذين تسميهم السلطات (علماء الدين وفقهاء الإسلام) يجمعون على معاداة العلم والعقل والعدل والصدق، فيظن أن هذه هي نتيجة الدين، وأن ديناً كهذا ليس إلهياً، وإنما دين بشري وضعه بشر، ومعهم نصف الحق بأن الإسلام الذي ورثناه أقرب للإسلام التاريخي الذي صنعه الطغاة والراكنون إليهم، أما الإسلام الإلهي فيحتاج إلى إعادة قراءة وتدبر للقرآن الكريم وما يشبهه من الأحاديث وليس العكس، مع الوعي التاريخي الذي يكشف لنا سبيل المجرمين، وكيف أن الإسلام جرى من تحت سلطاتهم ولن يخرج من قصورهم ومساجدهم ومدوناتهم إلا ديناً محرف المعاني، فلذلك وجب على أهل العلم والبحث أن يفتشوا عن الأشرار الذين أفسدوا علينا ديننا بعد أن أخذوا منا دنيانا.

وأعد القراء الكرام - إن شاء الله- ألا أخلص من مجموعة من الكتب عن معاوية إلا وقد تبين لهم بوضوح من أين أتاهم الخلل، وسيخرجون بإذن الله من هذه ضيق هذه الحيرة إلى نعمة اليقين، ولكن أطلب منهم ألا يستعجلوا في الحكم على مثل هذه الكتب المخصصة في حديث أو حادثة، وألا يظنوا أن المسألة طائفية أو مذهبية، فليخرجوا من إيهام الظالمين لهم بأن من تكلم في الظالمين فإنه يعني أنه من مذهب آخر! فهذا أسلوب الظالمين في حماية الظالمين.

وأطمئنهم أنه طبع لي كتاب (حرية الاعتقاد في القرآن الكريم والسنة المطهرة) خالفت فيه جميع المذاهب والمدارس، واعتمدت على القرآن الكريم وما أشبهه من الأحاديث الشريفة وهي كثيرة.

صحيح أنني من المدرسة السنية، إلا أنني سني حر، أذم الغلو السني والشيعي، ولا أرى عصمة الأئمة ولا عدالة الصحابة، ولا غيرها من العقائد المذهبية سنية كانت أو شيعية إذا رأيتها تخالف النصوص أو العقل، ولكني مهتم بتطهير بيتي وترميمه، ولا أهتم بالتراشق المذهبي لأنه لا يزيد الأمر إلا مكابرة، وقد جربت الحوار مع شيعة وسنة، ورأيت أن عند الفريقين مكابرة وعصبية شديدة، كما أنه في الفريقين منصفون ومتساءلون وباحثون جادون.

أما المدرسة فهذا قدر، لا مهرب للإنسان منه، فالذي ينشأ في بلد يدين بمذهب فلابد أن تكون حركته محدودة بدائرة ذلك المذهب خاصة إذا كانت كتب الفرق الأخرى ممنوعة من الدخول، وهو ممنوع من السفر! نعم توفر بعضها بعد دبغ الأديم واستحكمت الطرائق العلمية في البحث داخل مصادر المذهب ومنها، فلذلك لن تجدوا لي فكرة إلا وقد سبقني إليه بعض أصحاب المذهب ولو نظرياً، إلا حرية الاعتقاد فهذا لا يقول به أحد من أهل مذهبي، إلا أنني وجدت كفايتي من كتاب الله، وليس لي ذنب إن كانت السلطات قد صرفتهم عن رؤية هذه الآيات التي وجدتها أنا في غاية الوضوح.

أما ما يخص الأبحاث التاريخية فلم أنفرد بفكرة، وإنما قد ينصرها القليل ويصيب فيها، فأوسعها وأثبتها كما فعلت في هذه الكتب التي طبعتها بعد عام ١٤٢٢هـ.

المبحث الرابع:
حديث (أبو جهل فرعون هذه الأمة)

وقد روي هذا الحديث عن عبد الله بن مسعود، ومن مرسل قتادة، ومرسل الحسن البصري، وجاء معضلاً من رواة الواقدي، وكلها لا تصح، وسنستعرضها بالتفصيل:

الحديث الأول: حديث عبد الله بن مسعود

الطريق الأول: أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود

في مسند أحمد بن حنبل - (ج ١ / ص ٤٠٣) ثنا أسود بن عامر ثنا شريك عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن أبيه قال: أتيت أبا جهل وقد جرح وقطعت رجله قال فجعلت أضربه بسيفي فلا يعمل فيه شيئاً قيل لشريك في الحديث وكان يذب بسيفه قال نعم قال فلم أزل حتى أخذت سيفه فضربته به حتى قتلته قال ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد قتل أبو جهل وربما قال شريك قد قتلت أبا جهل قال أنت رأيته قلت نعم قال آلله مرتين قلت نعم قال فاذهب حتى أنظر إليه قال فذهب فأتاه وقد غيرت الشمس منه شيئاً فأمر به وبأصحابه فسحبوا حتى ألقوا في القليب قال واتبع أهل القليب لعنة وقال كان هذا فرعون هذه الأمة اهـ

تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه،

قلت: لأن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه، وإنما يرسل عنه ما سمعه من الناس، ولا يذكر الواسطة وفي أحاديثه عن أبيه مخالفات كثيرة لما رواه الثقات عنه، إضافة إلى أمر في غاية الأهمية، وهو احتمال أن هذه الزيادة مدرج من كلام أبي عبيدة أو ابن مسعود، هذا أولاً.

وثانياً:

قوله (قال: كان هذا فرعون هذه الأمة) يحتمل أنه مدرج من من كلام أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود أكثر وأولى من احتمال إدراجه من كلام أبيه عبد الله بن مسعود، لأن قصة مقتل أبي جهل قد رواها عبد الله بن مسعود في الصحيحين وليس فيها هذه الزيادة.

وثالثاً:

سبب آخر وهو أن إطلاق (فرعون هذه الأمة) الظاهر منه أن هذا الرجل منها، أي من المنتسبين إليها[1]، يعني أنه ممن يتسمى بالإسلام ويزعم أنه مسلم، وهذا ما ينطبق على معاوية لأنه مسلم في الظاهر، ولا ينطبق على أبي جهل.

رابعاً:

ثم الضرر الذي لحق الأمة في ثقافتها ودينها من معاوية أبلغ بكثير مما لحق الأمة

---

(١) ومن نماذج ذلك / مسند الصحابة في الكتب التسعة - (ج ٥٣ / ص ١٦١) خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ وهو في مسند أحمد والصحيح، فهذا لا يدخل فيه المشركون، وكذلك: ما في صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٧٧٢) وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها.. وليس فيهم الكفار، وفي (مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٣ / ص ٤٦١) حديث (..وقربان هذه الأمة موتاها فاجعلوا موتاكم بين أيديكم) وموتى هذه الأمة منها.. وقول حذيفة لعثمان (مسند الصحابة في الكتب التسعة - (ج ٧٣ / ص ٥٥١): يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ كَمَا اخْتَلَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) فلا يدخل فيها من ليس منها، وفي مسند أحمد (لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ..) فشرارها منها، والحديث المشهور (تفترق هذه الأمة على كذا وكذا فرقة..) فلا يدخل فيها الكفار.. وكذلك الحديث الآخر (ما تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم..) هو في الصحيح رغم أن في متنه نكارة، ولكن ليس المراد بالأمة هنا المسلمون والكفار،... ورغم هذا فإن الأمر ليس بلازم في أن الأمة لا تطلق إلا على المسلمين.. بل حتى فرعون قوم موسى عليه السلام فإنه أسلم قبل موته ولم يقبل الله إسلامه لأنه كان اضطرارا كإسلام الكفار كرهاً، وكما فعل أكثر الطلقاء يوم فتح مكة، ففرعون انتسب إلى دين موسى عليه السلام في آخر عمره بعد أن أمعن في المحاربة، كما انتسب كثير من أمة محمد إلى الإسلام بعد أن أمعنوا في محاربته، وقد أخبرنا الله عن فرعون كما أخبرنا عن الذين كفروا (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وإنما سيتظاهرون بالإسلام ولكنهم لن يؤمنوا، والله هو العليم المحيط عالم الغيب والشهادة لا يجوز أن نكذبه من أجل ظلمة الطلقاء.. نعم قد يخرج عن هذا العموم القليل كما في قوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فمعنى هذا أن القليلين جداً ممن حسن إسلامه وصلحت سيرته ولم يلطخ سيرته بقتل الأبرياء وارتكاب المظالم.

من أبي جهل، ثم عدد المقتولين من أهل بدر والصالحين بسبب معاوية أكثر بكثير ممن قتلهم أبو جهل، فأبوا جهل لم يقتل سوى واحد أو اثنين في بدر - على خلاف-، وقتل بعض المستضعفين بمكة كسمية بنت خياط أم عمار بن ياسر، بينما قتل معاوية نحو خمسين من أهل بدر، ونحو مئة ألف من الصحابة والتابعين، ففرعون هذه الأمة ألصق بمعاوية والأحاديث في كونه فرعون هذه الأمة أصح أسانيد مع الاستبعاد الكلي لاحتمال الإدراج في الأحاديث التي تخص معاوية، بعكس الأحاديث في أبي جهل فسياقات الأحاديث في أبي جهل تحتمل الإدارج على ضعف أسانيدها باعتراف السلفية المحدثة نفسها، ولوجود أصل القصة في الصحيحين من رواية عبد الله بن مسعود بلا هذه الزيادة، فهي من باب مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه وهو الشاذ في عرف أهل الحديث، بينما الأحاديث في كون معاوية فرعون هذه الأمة لها شواهد وحواضن وقرائن وواقع تاريخي.

والحديث مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٨ / ص ٤٧٧): من طريق أبي عبيدة عن أبيه كسابقه (سبق الرد)، وهو في المسند للشاشي - (ج ٣ / ص ٦) بإسناد ولفظ هما: حدثنا أبو قلابة قال: وجدت عن أبي داود، نا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة ابن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن لكل أمة فرعونا، وفرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام »

التعليق:

هذا ليس سياق الحديث الأقوى عن أبي عبيدة، وإنما هو مروي بالمعنى، وسبق القول بأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.. وروايته عن أبيه محل إنكار عند أهل الحديث. وكلمة (هذه الأمة) إذا أطلقت لم يرد منها إلا المسلمون ولو اسماً.. فلا يدخل فيها الكافر الصريح لأنه لا أثر له على هذه الأمة فيها بخلاف من يدعي الإسلام، والأسانيد في كون معاوية فرعون هذه الأمة أقوى ويصدقها الواقع التاريخي، وفرعون أمة موسى إنما هو فرعون الطغيان، وليس فرعون الكفر، ففي قوم فرعون كفار كثيرون، ولو أن فرعون كان خاملاً ولم يعل ولم يفسد ولم يسفك دماء بني إسرائيل لما كان هناك وجه لجعله رمزاً في الجبروت والعلو في الأرض والفساد وتفريق الأمة شيعاً وتبنيه التشريع المخالف للدين..الخ.

نعم فرعون حارب موسى وهارون عليهما السلام

ومعاوية حارب محمد (ص) ثم حارب من هو بمنزلة هارون من موسى، فاكتمل لمعاوية ما لم يتحقق لأبي جهل، لأن أبا جهل قتل في أول معركة بدر، ولم تتح له الفرصة في الملك والعلو والفاسد والتشبه بالربوبية.

والحديث هو في دلائل النبوة للبيهقي - (ج ٣ / ص ٨٨):

من طريق أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقلت: قتلت أبا جهل، فقال: آلله الذي لا إله إلا هو؟ فقلت: الله الذي لا إله إلا هو مرتين أو ثلاثا؟ قال: الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: « انطلق فأرنيه » فانطلقت فأريته، فقال: « هذا فرعون هذه الأمة »

التعليق:

وهذا الإسناد أيضاً من طريق أبي عبيدة عن أبيه وهو إسناد ضعيف عند أهل الحديث كما سبق، ثم هذا الإسناد (أبو إسحاق عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله، أو عن أبيه) أضعف من أحد الإسنادين اللذين في معاوية، ولا بد أن نقدم الأقوى فالأقوى، لا سيما مع صحة الأسانيد بمظالمه ودعوته إلى النار (كآل فرعون تماماً، فقد ذكر الله أنه جعل منهم أئمة يدعون إلى النار) والجميع كان حاكماً مستبداً على المؤمنين وغيرهم! فأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.. وأبو إسحاق مدلس.. وكان شرطياً أموياً.. ووفد به والده إلى معاوية وكان لهما عطاء، وكان معاوية يقطع العطاء عن المعارضين.

وذكر في جامع الأحاديث - (ج ١٢ / ص ٢١١) عدة مصادر لهذا الحديث وكلها من هذا الإسناد الضعيف فقال: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٤، رقم ٤٢٤٦) والشاشي (٢/ ٣٣٥، رقم ٩٣٢)، والطبراني (٩/ ٨٢، رقم ٨٤٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠٨)، ونقل قول الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٩): رواه أحمد والبزار، وهو من رواية أبي عبيدة عن أبيه، ولم يسمع منه، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح اهـ

قلت: وهذه الشهرة لهذا الحديث مع انقطاع إسناده بحيث يوجد في هذه المصادر كلها، وخفاء الأحاديث في معاوية مع اتصال أسانيدها حتى أننا لا نجدها إلا في كتب

الموضوعات وكتب اللغة دليل على أن لهذا الإشهار لهذا الحديث وذاك الإخفاء لذاك الحديث كان بأثر سياسي من المستفيد في إظهار الحديث المنقطع الضعيف، وإخفاء الحديث المتصل صحيح الإسناد، والسياسة تفعل أكثر من هذا، ولا يعرف آثارها في قلب الحقائق إلا القليل من الناس.

زيادة في ترجمة أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود:

قد ذكر بعضهم أن عثمان ضم أبناء عبد الله بن مسعود لعياله! وعلى هذا فسيكونون تحت رعاية حاشية عثمان وهي حاشية ناصبية تأتمر بأمر معاوية، لا سيما وأن معاوية قد وصل إلى الحكم وأبو عبيدة لم يجاوز الثانية عشرة.. فلعل الحاشية أسمعته من يلقنه ويزيد زيادات تصرف عن بني أمية بعض المثالب.. وإلا لماذا يروي عن أبي موسى مع قرب وفاته (٤٢هـ).. وعن مسروق.. وغيرهم.

وأزيد:

أنه ليس كل طرق أبي عبيدة عن القصة فيها تلك الزيادة المقحمة، فقد روى القصة البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم بدون ذكر هذا الحديث، ولم يحذفوه حماية لأبي جهل، فأبو جهل لا نصير له داخل الأمة، لا من سنة ولا شيعة، فلم يكن الحديث ليختفي من القصة الصحيحة (قصة ابن مسعود مع أبي جهل يوم بدر)، بل الدوافع على ذكر الحديث متوفرة.

بل الطريق نفسه - طريق أبي عبيدة عن أبيه- لا نجد كل الطرق تذكر الحديث، وإنما تذكر القصة، ففي سنن أبي داود - (ج ٨ / ص ٢١٠)

حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ قَالَ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ - يَعْنِى ابْنَ يُوسُفَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيَّ - عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَرْتُ فَإِذَا أَبُو جَهْلٍ صَرِيعٌ قَدْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ فَقُلْتُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ يَا أَبَا جَهْلٍ قَدْ أَخْزَى اللَّهُ الآخِرَ. قَالَ وَلاَ أَهَابُهُ عِنْدَ ذَلِكَ. فَقَالَ أَبْعَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ فَضَرَبْتُهُ بِسَيْفٍ غَيْرِ طَائِلٍ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا حَتَّى سَقَطَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ فَضَرَبْتُهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ اهـ. بلا ذكر للحديث.

الطريق الثاني: طريق عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود

والحديث في اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (ج ٥ / ص ٧٨) تحت عنوان: باب قتل أبي جهل، قال:

قال أبو داود الطيالسي: ثنا أبو وكيع[1]، عن أبي إسحاق[2]، عن عمرو بن ميمون[3]، عن عبد الله قال: «لما كان يوم بدر وانتهيت إلى أبي جهل وهو مصروع فضربته بسيفي فما صنع شيئًا، وندر سيفه فأخذته، فضربته به، ثم أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في يوم حار كأنما أقل من الأرض، فقلت: يا رسول الله، هذا عدو الله أبو جهل قد قتل. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: آللّه لقد قتل؟ قلت: اللّه لقد قتل. قال: فانطلق بنا فأرناه. فجاءه فنظر إليه، فقال: هذا كان فرعون هذه الأمة».

التعليق:

هذا الإسناد ضعيف، وغير محفوظ، وهو من سوء حفظ الجراح بن مليح، وعلته تكمن في كون أبي إسحاق السبيعي إنما رواه عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، وليس عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، هذا إذا سلمنا بأن الجراح بن مليح صدوق يهم فقط.. ولم نطاوع من ذهب إلى أنه لا يعتبر به ولا يحتج به أو أنه يضع الحديث أو أنه يقلب الأسانيد ويرفع الموقوفات.. وغير ذلك من الشروح المفسرة... إذا أهملنا هذا كله، واقتصرنا على قول ابن حجر بأنه (صدوق يهم) فنقول وهم في إسناده هنا فرواه عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بينما - رواه الناس من هم أوثق من الجراح - عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن أبيه وهو الإسناد الضعيف الذي سبق.

استطراد في ترجمة والد وكيع بن الجراح:

هو الجراح بن مليح الرؤاسي (١٧٦هـ) والد وكيع بن الجراح، مختلف فيه في

(١) هو والد وكيع مختلف فيه وسيأتي.

(٢) هذا غير محفوظ وهم في إسناده الجراح هنا، فرواه عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بينما - رواه الناس ومن هم أوثق من الجراح كالثوري وغيره - عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن أبيه وهو الإسناد الضعيف الذي سبق.

(٣) عمرو بن ميمون اثنان، الأول مخضرم كوفي مات سنة (نحو ٤٧هـ) والثاني عمرو بن ميمون الجزري وهذا متأخر مات سنة (١٤٨هـ) تقريباً، وأبو إسحاق إنما يروي عن المخضرم، وهو ثقة وروايته عن ابن مسعود متصلة، والعلة في الجراح بن مليح.. فقد تفرد برواية هذا الخبر عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله..وصوابه أبو إسحاق عن أبي عبيدة عن ابيه كما سبق، وهو إسناد ضعيف.

الحديث، وهو من رجال مسلم والسنن، ونفعته مكانة ابنه بين أهل الحديث، وإلا فهو أقرب إلى الضعف.

قال الحافظ في تهذيب التهذيب - (ج ٢ / ص ٥٨): قال ابن سعد ولي بيت المال ببغداد في خلافة هارون وكان ضعيفاً في الحديث عسراً / وقال جعفر الطيالسي عن ابن معين ما كتبت عن وكيع عن أبيه ولا عن قيس شيئاً قط / وقال بن أبي خيثمة عنه ضعيف الحديث وهو أمثل من أبي يحيى الحماني / وقال عثمان الدارمي عنه ليس به بأس / وكذا قال ابن أبي مريم عنه وزاد يكتب حديثه / وقال في موضع آخر ثقة / وكذا قال الدوري عنه وقال ابن عمار ضعيف / وقال أبو الوليد ثنا أبو وكيع وكان ثقة/ وقال أبو داود ثقة / وقال النسائي ليس به بأس/ وقال البرقاني سألت الدارقطني عن الجراح فقال ليس بشيء هو كثير الوهم قلت يعتبر قال لا / وقال أبو أحمد بن عدي له أحاديث صالحة وروايات مستقيمة وحديثه لا بأس به وهو صدوق لم أجد في حديثه منكراً فاذكره وعامة ما يرويه عنه ابنه وكيع وقد حدث عنه غير وكيع الثقات من الناس/ قال خليفة مات بعد سنة ١٧٥ وقال ابن قانع سنة ٧٦ قلت وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به / وقال العجلي لا بأس به وابنه أنبل منه / وقال الأزدي يتكلمون فيه وليس بالمرضي عندهم/ وقال الهيثم بن كليب سمعت الدوري يقول دخل وكيع البصرة فاجتمع عليه الناس فحدثهم حتى قال حدثني أبي وسفيان فصاح الناس من كل جانب لا نريد أباك/ حدثنا عن الثوري فأعاد وأعادوا فأطرق ثم قال يا أصحاب الحديث من بلي بكم فليصبر رواها الإدريسي في تاريخ سمرقند وحكي فيه أن ابن معين كذبه وقال كان وضاعاً للحديث / وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل وزعم يحيى بن معين أنه كان وضاعاً للحديث اهـ

ومعظم أقوال ابن حجر مسندة في بعض كتب الرجال والتاريخ وأبرزها تاريخ بغداد - (ج ٧ / ص ٢٥٢)، و(ميزان الاعتدال - (ج ١ / ص ٣٨٩)، والطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٦ / ص ٣٨١) قال: ولي بيت المال بمدينة السلام في خلافة هارون، وكان عسراً في الحديث ممتنعاً به اهـ وسقط تضعيف ابن سعد له، مع أن أهل الحديث ينقلون قول ابن سعد بالتضعيف ففي (تهذيب الكمال للمزي - (ج ٤ / ص ٥١٨): وقال محمد بن سعد: ولي بيت المال بمدينة السلام، في خلافة هارون، وكان

ضعيفاً في الحديث، وكان عسراً في الحديث، ممتنعاً به.) وتردد فيه الذهبي بقوله: (من تُكُلِّمَ فيه وهو موثق أو صالح الحديث - (ج ١ / ص ٩٠): الحاصل أن القاعدة في الاصطلاح تقتضي تقديم الجرح فيه، لأنه مفسر كما في جرح الدَّارَقُطْنِيّ الذي نقلته عن المزي لكن أنا متردد في تقديمه أو تقديم قول ابن عدي، لأن في قول ابن عدي ما يدل على تتبع مرويات الجراح، وفي قوله أيضاً استدلال على ما قاله، والله أعلم) ولابن حبان جرح شديد فيه بقوله في (المجروحين - (ج ١ / ص ٢١٩) إذ قال: الجراح بن مليح بن عدي بن فارس الرؤاسي من قيس عيلان كنيته أبو وكيع وهو وهو والد وكيع بن الجراح يروي عن الأعمش وأبي إسحاق كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل وزعم يحيى بن معين أنه كان وضاعاً للحديث) اهـ، وقال الحافظ (صدوق يهم) وهو حكم مخفف جداً قياساً بنتيجة أقوال أهل الجرح والتعديل فيه، ثم ليس من مذهب آخر حتى نقول ربما ضعفوه للتعصب المذهبي.

الطريق الثالث: سعيد بن مسروق عن عبد الله بن مسعود

في كتاب البوصيري السابق وتحت الباب نفسه (مقتل أبي جهل) قال:

(و) رواه مسدد: ثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن عبد اللّه بن مسعود قال: «أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله، إني قتلت أبا جهل. قال: آللّه؟ قال: قلت: اللّه- ثلاثًا- فقال: انطلق فأرنيه. قال: فانطلقت فأريته. فقال: قتلت فرعون هذه الأمة».

التعليق:

هذا إسناد منقطع، فسعيد بن مسروق وهو والد سفيان الثوري، لم يدرك عبد الله بن مسعود، فهو من الطبقة السادسة ومات سنة (١٢٦هـ) وليس له رواية عن عبد الله بن مسعود إلا إرسالاً كهذه.. فهم يروي ما سمعه من الناس.

وذكر البوصيري روايات أحمد وغيره مما سبق من رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه وقد سبق الجواب.

الطريق الرابع: أبو عبيدة مرسلاً

وهذه من علل الحديث،

ففي اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (ج ٥ / ص ٧٩)

[٧/٤٥٥٣] قال [يعني أحمد بن حنبل]: وحدثنا أسود، ثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن هذا فرعون أمتي».

التعليق:

وهذا اضطراب في الحديث بين الوصل والإرسال، إضافة إلى الانقطاع المتحقق، والحديث هنا مرسل ضعيف، فلم يذكر أبو عبيدة فيه والده عبد الله بن مسعود أصلاً، وهنا يتبين أن في حديث أبي عبيدة إضافة إلى ما سبق، علتين أو احتمالين، الأول الإدراج وقد سبق بيانه، والثاني أن أبا عبيدة أرسل الحديث وذكر القصة عن والده، - قصة مقتل أبي جهل - ثم أردف ذلك بما أشاعه وأشهره بنو أمية من أن فرعون هذه الأمة هو أبو جهل ليصرفوا هذا الاتهام عن معاوية.

[٨/٤٥٥٣] قال [أي أحمد]: وثنا أمية بن خالد، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد اللّه قال: «... وقد سبق وهو سند ضعيف.

الطريق الخامس: طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه - دون ذكر الحديث-

وهذا ليس فيه ذكر الحديث وإنما قصة مقتل أبي جهل، وهذا طعن خامس في الحديث،

قال البوصيري: وقال إسحاق [يعني ابن راهويه]: أبنا عمرو بن محمد[1]، ثنا أبو

---

(١) هو العنقزي الكوفي (١٩٩هـ) ثقة، وفي تقريب التهذيب: عمرو بن محمد العنقزي بفتح المهملة والقاف بينهما نون ساكنة وبالزاي أبو سعيد الكوفي ثقة من التاسعة مات سنة تسع وتسعين

بكر الهذلي[1]، عن أبي المليح[2]، حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود[3]، عن

---

(١) أبو بكر الهذلي (١٦٧هـ)، إخباري علامة، أجمعوا على ضعفه، ولم يستغنوا عن أخباره ربما لنصبه وبصريته، وهو الذي روى عن الحسن البصري خبراً منكراً عن علي وهو: الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٣ / ص ٣٨١): قال: أخبرنا وكيع بن الجراح عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال: قال علي لما قبض النبي، صلى الله عليه وسلم، نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي، صلى الله عليه وسلم، قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لديننا فقدمنا أبا بكر اهـ وهو خبر منكر يخالف ما تواتر من معارضة علي وامتعاضه من حدث السقيفة، وقد نشر النواصب هذا الخبر حتى أصبح على كل لسان ونسوا أن أبا بكر الهذلي متروك عندهم، ثم هو مرسل أيضاً، وأما ترجمة أبي بكر الهذلي ففي تقريب التهذيب - (ج ١ / ص ٥٢٦): أبو بكر الهذلي قيل اسمه سلمى بضم المهملة بن عبد الله وقيل روح أخباري متروك الحديث من السادسة مات سنة سبع وستين ق / وفي تهذيب التهذيب - (ج ٢١ / ص ٧٤): ق ابن ماجه أبو بكر الهذلي البصري اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى وقيل اسمه روح وهو بن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري روى عن الحسن البصري وابن سيرين والشعبي وعكرمة وأبي الزبير وقتادة وأبي المليح الهذلي وشهر بن حوشب ومعاذة العدوية وغيرهم وعنه ابن جريج وهو من أقرانه وسليمان التيمي وهو أكبر منه وإسماعيل بن عياش ووكيع وأيوب بن سويد الرملي وابن عيينة وشبابة بن سوار وآخرون قال أبو مسهر عن مزاحم بن زفر سألت شعبة عن أبي بكر الهذلي فقال دعني لألقى وقال عمرو بن علي سمعت يحيى بن سعيد وذكر أبا بكر الهذلي فلم يرضه ولم أسمعه ولا عبد الرحمن يحدثان عنه بشيء قط قال وسمعت يزيد ابن زريع يقول عدلت عن أبي بكر الهذلي عمدا وقال الدوري عن ابن معين ليس بشيء وقال في موضع آخر ليس بثقة وقال أبو بكر بن خيثمة عن ابن معين ليس بشيء قال يحيى وكان غندر يقول كان أبو بكر الهذلي إمامنا وكان يكذب، وقال أبو زرعة ضعيف وقال أبو حاتم لين الحديث يكتب حديثه ولا يحتج بحديثه وقال النسائي ليس بثقة ولا يكتب حديثه قال ابن أبي عاصم مات سنة سبع وستين ومائة قلت وقال النسائي وعلي بن الجنيد متروك الحديث وقال علي بن عبد الله بن المديني ضعيف ليس بشيء وقال مرة ضعيف جدا وقال مرة ضعيف ضعيف وقال الجوزجاني يضعف حديثه وكان من علماء الناس بأيامهم وقال البخاري في الأوسط وزكريا الساجي ليس بالحافظ عندهم وقال الدارقطني منكر الحديث متروك وقال يعقوب بن سفيان ضعيف ليس حديثه بشيء وقال المروزي كان أبو عبد الله يضعف أمره وقال بن عمار بصري ضعيف وقال أبو إسحاق الحربي ليس بحجة وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

(٢) ثقة من رجال الجماعة، وفي تقريب التهذيب - (ج ١ / ص ٥٧٦): أبو المليح بن أسامة بن عمير أو عامر بن عمير بن حنيف بن ناجية الهذلي اسمه عامر وقيل زيد وقيل زياد ثقة من الثالثة مات سنة ثمان وتسعين وقيل ثمان ومائة وقيل بعد ذلك.

(٣) ثقة وفي سماعه من أبيه خلاف، ومع هذا فقد روى قصة مقتل أبي جهل دون رواية الحديث، وروايته أقوى من رواية أخيه، وترجمته في تهذيب التهذيب - (ج ٦ / ص ٥٩١): ع الستة عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي روى عن أبيه وعلي بن أبي طالب والأشعث بن قيس وأبي بردة ابن نيار إن كان محفوظاً ومسروق بن الأجدع وعنه أبناه القاسم ومعن وسماك بن حرب والحسن

أبيه (عبد الله بن مسعود) قال: «دفعت إلى أبي جهل يوم بدر، دنوت منه فضربته فقتله اللّه، فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فحدثته ووجدت عقيل بن أبي طالب عنده أسيراً، فقال: أنت قتلته؟ فقلت: نعم. فقال: كذبت. فقلت: يا عدو اللّه، أنت تكذبني! قال: فما رأيت به؟ قلت: بفخذه حلقة مثل حلقة البعير. قال: صدقت، هي كية نار اكتوى بها من الشوكة، قال: وأبو جهل يقول:

ما تنقم الحرب العوان، مني... بازل عامين، سديس سني

لمثل هذا ولدتني أمي، اهـ.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، لأبي بكر الهذلي - رغم أنه إخباري علامة -، ثم هو هنا ليس في الخبر ذكر للحديث (أبو جهل فرعون هذه الأمة)، وهذه علة جديدة، وقد سبق أن مقتل أبي جهل في الصحيحين يخلوا من هذا الحديث مما يدل على أنه مدرج من كلام أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود.

ابن سعد وعبد الملك بن عمير وأبو إسحاق السبيعي وأبو بكر بن عمرو بن عتبة الكوفي ومحمد بن ذكوان قال يعقوب بن شيبة كان ثقة قليل الحديث وقد تكلموا في روايته عن أبيه وكان صغيراً فأما علي بن المديني فقال قد لقي أباه وقال بن معين عبد الرحمن وأبو عبيدة لم يسمعا من أبيهما وقال أحمد ابن حنبل عن يحيى بن سعيد مات عبد الله (بن مسعود) وعبد الرحمن بن ست سنين أو نحوها وقال أحمد أما سفيان الثوري وشريك فإنهما يقول لان سمع وأما إسرائيل فإنه يقول في حديث الضب سمعت وقال العجلي يقال إنه لم يسمع من أبيه إلا حرفاً واحداً محرم الحلال كمستحل الحرام، وقال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين ثقة وقال معاوية بن صالح عن بن معين سمع من أبيه وعن علي وقال أبو حاتم صالح وروى البخاري في التاريخ الصغير بإسناد لا بأس به عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال لما حضر عبد الله الوفاة قال له ابنه عبد الرحمن يا أبت أوصني قال ابك من خطيئتك قلت وروى البخاري في التاريخ الكبير وفي الأوسط من طريق ابن خثيم عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال أني مع أبي فذكر الحديث في تأخير الصلاة وزاد في الأوسط شعبة يقولون لم يسمع من أبيه وحديث ابن خثيم أولى عندي وقال ابن المديني في العلل سمع من أبيه حديثين حديث الضب وحديث تأخير الوليد للصلاة وقال العجلي ثقة وقال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وأسند حديثه محرم الحلال من طريق سماك عنه وقال أبو حاتم سمع من أبيه وهو ثقة وقال الحاكم اتفق مشائخ أهل الحديث أنه لم يسمع من أبيه انتهى وهو نقل غير مستقيم وقال خليفة بن خياط مات متقدم الحجاج العراق سنة / وفي تقريب التهذيب - (ج ١ / ص ٤٤٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي ثقة من صغار الثانية مات سنة تسع وسبعين وقد سمع من أبيه لكن شيئاً يسيراً ع اهـ إذن فقد رويله الجماعة وسمع من ابيه، ونقل القصة دون ذكر الحديث، مع شغف أبي بكر الهذلي بالأخبار فهو إخباري يستفرغ الأخبار.

الطريق السادس: الحسن البصري مرسلاً

في سيرة ابن اسحاق - (ج ١ / ص ١٩١)

[نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لكل أمة فرعون وأن فرعون هذه الأمة أبو جهل]

التعليق:

مراسيل الحسن البصري ضعيفة، وهي كالريح كما قال أهل الحديث، والحسن البصري رحمه الله كان كاتباً لعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب ولبث معه في خراسان مدة، وهو محاط بالثقافة الأموية، فلم يكن ليخلص إليه حديث (معاوية فرعون هذه الأمة) وكان عابداً زاهداً يثق في كل أحد فلذلك روى ما أشاعه خطباء وقصاص ومحدثو بني أمية، والثقافة العامة في دولة الظلم تعني تلك الثقافة التي يرضى عنها الحاكم، وهذا معاش إلى عصرنا هذا.

إضافة إلى أن مبارك بن فضالة بصري مدلس شديد التدليس، وكان مقرباً من يونس ابن عبيد الناصبي المشهور، وهما كسائر علماء البصرة مشبعون بالثقافة الأموية إلى أبعد حد، والبصرة هي عاصمة النصب في العراق وثقافتها أموية إلا في عقيدة الاختيار بفضل وجود المعتزلة الأوائل بها.

الطريق السابع: قول قتادة

وهو مرسل ضعيف، وعند تأمله يدل على أن هذه مجرد إشاعة التي أشاعها الناس، بدلالة قول قتادة (وكان يقال)! ففي: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني - (ج ٨ / ص ١٥٩):

نا عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى) قال: قال أبو جهل: إن رأيت محمداً يصلي لأطأن على عنقه، قال (قتادة): وكان يقال لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل.

والحديث في تفسير الطبري - (ج ٢٤ / ص ٥٢٣) بلفظه وإسناده سواء:

وهو في عيون الأثر - (ج ١ / ص ٣٤٤) ورويناعن ابن عائذ ثنا الوليد قال حدثني

خليد عن قتادة أنه سمعه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لكل أمة فرعونا وأن فرعون هذه الأمة أبو جهل.

التعليق:

قتادة من صغار التابعين وليس من كبارهم فهو من طبقة الزهري، توفي سنة ١١٧هـ، وعلى هذا فحديثه مرسل، رغم أنه كان من أسند الناس، بل هو محدث أهل البصرة، ولا يشتهر هذه الشهرة التي تمتع بها قتادة إلا مقرب من السلطة الأموية، ومع ذلك لم يجد إسناداً موصولاً للحديث، وإنما ذكر الإشاعة التي كان يسمعها من الناس، علماً بأن قتادة كان من علماء السلطة، وكان جليس أبي بردة الأشعري أمير البصرة، واستعان به على ابن عون ليطلق امرأة شيبانية، وقتادة سدوسي شيباني (والقصة في أخبار ابن عون).

فهذا الحديث - حديث قتادة المرسل- من القرائن على أن حديث (أبو جهل فرعون هذه الأمة) إنما هو إشاعة أموية.

معضل الواقدي:

المعضل هو الذي سقط من إسناده اثنان فأكثر، والواقدي إخباري كبير إلا أنه يروي عن كل أحد، ولم يذكر الإسناد هنا في الخبر الذي ذكره عنه البيهقي في دلائل النبوة - (ج ٣ / ص ٨٩) بسنده:..حدثنا الواقدي، قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصرع ابني عفراء، فقال: « يرحم الله ابني عفراء، فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر، فقيل: يا رسول الله، ومن قتله معهما؟ قال: » الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله اهـ

التعليق:

الخبر منكر بهذا السياق، وليس له إسناد.

والخلاصة:

إن الحديث لا يصح عن ابن مسعود والأرجح أنه مدرج إما من كلام أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود وإما من بعض الرواة، استجابة وتلقفاً لما بثته السلطة على منابرها لصرف هذا الذم عن معاوية.

المبحث الخامس

حاضنات الحديث

(وتشمل الحاضنات القرآنية والحديثية والتاريخية)

أولاً: الحاضنات القرآنية

فرعون في القرآن الكريم، هل هو أقرب إلى حال أبي جهل أم حال معاوية؟

مجرد سؤال لابد أن تكون إجابته عبر بحث منصف محايد وليس عبر الإنشاء، فإذا اتفق المسلمون على أن هناك فرعوناً لهذه الأمة؟ ثم اختلفوا في تحديد ذلك الفرعون، واختلفت الأحاديث في تحديده، فأفضل طريقه للحكم بين هذه الأحاديث لا تكون في العودة للفتاوى والمذاهب، أن نرجعها إلى المصدر الذي لا ريب فيه إلا وهو كتاب الله، ثم ننظر أيهما أقرب لصفات فرعون المذكورة في القرآن الكريم.

كتاب الله فقط هو الذي لا ريب فيه، أما بقية المصادر وآلكتب فليس فيها كتاب يمكن أن نقول عنه (لا ريب فيه) لا الصحاح ولا السنن ولا كتب السنة ولا الشيعة، ومن قال من الشيعة بأن الكافي لا ريب فيه فقد اعتدى على كتاب الله، ومن قال من السنة أن صحيح البخاري لا ريب فيه فقد اعتدى على كتاب الله أيضاً، كل هذه الكتب المعتمدة عند المذاهب لا يجوز أن نفتري على الله الكذب بأنه قد اعتمدها أيضاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

وإذا اتفقنا على هذا المعيار فمن السهل عندئذ إن نقول أن الله قد ذكر في القرآن الكريم أشياء كثيرة عن فرعون، ليست كلها في أبي جهل، وليست كلها في معاوية، ولكنها إلى معاوية أقرب بكثير وألصق وأولى، كما أن فرعون يزيد في بعض الخصائص

على معاوية بأشياء، ويزيد معاوية على فرعون بأشياء أخرى، فمعاوية أقرب شخصيات هذه الأمة إلى فرعون، من حيث الملك والاستكبار والعلو والفساد والظلم والسحرة والفتك بالمعارضين والتمثيل بهم، وتفريق الأمة شيعاً[1]، وكون الاثنين أئمة يدعون إلى النار، وكلاهما استخفوا أصحابهم لغفلتهم وقلة ثقافتهم فأطاعوهم[2]، وكلاهما مات متظاهراً بالإسلام، فأما تظاهر معاوية فواضح، وأما تظاهر فرعون ففي القرآن الكريم، وقد نقل بعضهم عن ابن عربي أنه قال (مات فرعون مؤمناً موحداً)[3]!.

وهذه هي الآيات الكريمة التي تتحدث عن فرعون، وسنختار منها الأبرز وإلا فكل الآيات التي تتحدث عن فرعون يكون لمعاوية منها نصيب أكبر من نصيب أبي جهل، مما يدل على أن الحديث في معاوية لا أبي جهل، ومن المواضع المختارة:

1. السيرة العامة لفرعون ومعاوية...

---

(١) قال بعضهم وصدق: إن القرآن الكريم يعتبر تقسيم البشر إلى وحدات سياسية بطابع فئوي قطري او قومي أو طبقي.. عذاباً دنيوياً تتعرض له الأمم ويؤدي بالتالي إلى دمار البشرية، قال تعالى: ﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأ س بعض) فهو من الله عقوبة، ومن الناس ذنب، مثل التعذيب بالنار فهو من الله عقوبة ومن الناس ذنب، ولذلك يعتبر تقسيم الأمة من الله عقوبة، وأما من الناس فهذا التقسيم هو من أساليب الطغاة في سبيل إذلال الشعوب، والاستيلاء عليها، والقضاء على روحها من الصدق والعدل ومقاومة الظلم، فقد استخدم فرعون عدة أساليب في سبيل تحكيم سلطانه وطغيانه ذكرها القرآن الكريم ومنها ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا﴾. ولعل هذا العذاب الدنيوي، وانهيار روح الأمة، نتيجة طبيعية لتقسيم الأمة، بل البشرية عامة، وذلك لأن هذا التقسيم سبب التفرقة والتنازع، والتفرقة سبب للضعف والفشل ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

(٢) وقال بعضهم: (لقد كان فرعون بشراً كسائر البشر؛ إلا أنّه ظهر في بيئة يعيش فيها مجتمع من النوع الغافل الذي لا يمتلك ذهنيّة ولا فكراً ولا قيادة، كما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} (الزخرف/ ٤٥)؛ أي إنّ فرعون بدأ يذكر لهم أفكاراً خاطئة وأكاذيب فانخدعوا بها، والتفّوا حوله. وهذه السلوكيّة التي صدرت من فرعون من الممكن أن تتكرّر كلّ يوم، ولذلك فإنّ القرآن الكريم يضرب لنا الأمثال من قصص الماضين، لارتباطها المباشر بحياتنا) قلت: وهذا حال معاوية وقومه تماماً.

(٣) مع أن الراجح في معاوية أنه مات منافقاً أو على الديانة النصرانية (والموت على النفاق أو التظاهر بالإسلام أشهر عند العامة) وقد فصلنا ذلك في كتاب مفرد بعنوان (هل مات معاوية على دين الإسلام) وهو بحث في حديث (يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي، فطلع معاوية) وسنده صحيح على شرط الشيخين.

قال تعالى: ﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤) [القصص]

تأملوا الآيات جيداً، واشهدوا شهادة لله لا للمذهب وأجيبوا على السؤال الصريح وهو: هل هذه صفة معاوية، أم صفة أبي جهل؟ ولن أجيب، لكن ليبقَ هذا السؤال في عقل كل مسلم، وليقلب هذا السؤال من وقت لآخر، ويعيد قراءة هذه الآيات ثم يقرأ سيرة معاوية وسيرة أبي جهل ثم ليقل ما يدين الله به وليس ما يدين المذهب به..

2. أئمة يدعون إلى النار..

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (٤٢) [القصص]

من الذي له جنود تملأ مملكته؟ أأبو جهل أم معاوية؟ ومن من الرجلين بقيت فيه وفي أتباعه (الدعوة إلى النار) أأبو جهل أم معاوية؟ من منهما له الجمهور المناصر إلى يوم القيامة؟ وهل أنشأ أبو جهل فرقة تدعو إلى النار؟ ومن منهما ورد فيه الحديث (يدعون إلى نار)؟ أليس معاوية في حديث (تقتل عماراً الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)؟ وهل انقطعت دعوة حزب معاوية إلى النار أم ما زالوا إلى اليوم يدعون إلى الظلم بأقوالهم وأفعالهم، أليسوا أبرز الظالمين من أهل المذاهب بتكفيرهم المسلمين وتبديعهم لهم وفتاواهم باستباحة دماء المسلمين؟.. أظن الجواب واضح لولا العوائد الثقافية.

3. القاء التهم على الصالحين

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ

يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) ﴾[غافر]

هذه الآيات تنطبق على معاوية بدرجة مذهلة، فهو كان يتهم الإمام علي وأصحابه وحجر بن عدي وأصحابه بأنهم يريدون الفساد كما اتهم فرعون موسى، وشاركهم أبو جهل أيضاً في اتهام النبي (ص) بذلك لكن معاوية كان مع أبي جهل أيام تلك الدعوة ولم يكن أبو جهل مع معاوية في دعوته لموته مبكراً قبل ولاية معاوية، ولم يكن معاوية يؤمن بيوم الحساب (راجع كتاب: يموت على غير ملتي) وكان متكبراً كما في أثر سعيد بن المسيب، وكان أبو ذر أيام خلافه مع معاوية كمؤمن آل فرعون (كما في حديث الإمام علي)، وقد كان معاوية هو الحاكم الفعلي في عهد عثمان، وخاصة في الست السنوات الأخيرة من عهده، لدرجة أن معاوية يحيل إليه من يشكون أمراءه وولاته كما يحيل الوزير إلى الأمير، فقد كان عثمان رضي الله عنه وسامحه شيخاً كبيراً ضعيفاً مائلاً لبني قومه، وهذا محل إجماع بين الفرق الإسلامية كافة، فولاية معاوية بدأت من عام ٢٤هـ إلى عام ٦٠هـ وهي مرحلة تأسيسية للفرعنة العلمية والسلطانية التي استمرت إلى اليوم.

4. الصد عن السبيل

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ

عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)﴾ [غافر]

معاوية صد عن السبيل أكثر من صد أبي جهل، فصد أبي جهل عن السبيل انتهى عام بدر، وأما صد معاوية عن السبيل فكان أبعد وأذكى وأغور كيداً من أن يصادم هذا الدين وإنما استعان بالدين في هدم الدين، مثلما فعل إبليس عندما (قاسمهما إني لكما لمن الصالحين) فصدق آدم على نبوته إبليس، وصدقت الأمة على صلاحها معاوية، لأن إبليس ومعاوية لم يصادما خصومهما بما يصدمهما ولذلك لا يكتشفون هذا الكيد الشديد والمكر الكبار والمجيء عن يمين وشمال.

5. دين الطاعة

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦)﴾ [الزخرف]

وهذه الصفة (استخف قومه) في الاثنين فرعون ومعاوية، لكن أبا جهل بدرجة أقل، لأن أبا جهل وإن كان رأساً إلا أنه ليس الوحيد كفرعون أو معاوية، فلم يكن إلا كعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف وأبي سفيان وأبي لهب وأمثالهم، أما معاوية فهو الرأس المجمع عليه عند قومه، فيصح عليه أنه استخف قومه فأطاعوه أكثر من أبي جهل وإن كان لأبي جهل نصيب.

إضافة إلى أن هناك شبه آخر وهو (عقيدة الطاعة) التي كان عليها قوم فرعون وقوم معاوية من عسكر أهل الشام، حتى أنه يقال (طاعة شامية)، فالتشابه كبير جداً بين فرعون ومعاوية في هذه الآية.

6. العلو والإسراف

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ [الدخان]

وهنا نجد معاوية فوق أبي جهل في العلو والإسراف في القتل والمال وشراء

الذمم وفي كل شيء إلا إعلان الكفر فأبو جهل أكثر إعلاناً من معاوية في هذا الباب، مع أنهما اشتركا في إعلان الكفر خمسة عشر سنة ثم زاد معاوية ست سنوات بعد أبي جهل إلى أن تظاهر بالإسلام ثم أخفاه نفاقاً (راجع الحديث ذي الإسناد الصحيح: يموت معاوية على غير ملتي) وقد أخرجناه في كتاب بأسانيده، وكيف أن حزب معاوية جهد جهده في إخفائه رغم صحة أسانيده، فهو من السنة المهجورة.

7. تشابه عجيب في موقفين لفرعون ومعاوية

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)﴾ [الذاريات]

ما أشبه ما فعله فرعون هنا بما فعله معاوية عند بيعة الإمام علي.. وفعلها تابعاً لبيعه أيام النبوة.

وليس كل شيء في فرعون يشبه معاوية كما أنه ليس كل شيء في فرعون يشبه أبا جهل، وكذلك عندما نقول اليوم عن طاغية من الطواغيت أنه فرعون مصر أو فرعون تونس.. ليس معنى هذا التشابه في مل شيء، وإنما يكفي أنه حاكم طاغية ثم تأتي تتلاحق الصفات الألصق بالألصق، وإذا كانوا يقولون عن أبي جهل أنه فرعون هذه الأمة فهو أبعد عن الفرعنة من معاوية لأنه لم يحكم ولم يكن له قوم مجتمعون حتى يركن إليهم، وفي الركن هنا يعني القوم الذي يشتد بهم ويتقوى بهم ويعتزل بهم مفارقاً ومباعداً ومحارباً إن شاء.

8. التدبير وحشر الناس

قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآَيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآَخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)﴾ [النازعات]

هنا يشترك أبو جهل ومعاوية في كثير من هذه الصفات إلا أن معاوية أبلغ في الطغيان لسلطانه وقدرته على حشر الناس.. ولكم يقل أحد منهما (أنا ربكم الأعلى) بالمعنى الصريح، إلا أن إنشاء معاوية لعقيدة الطاعة يشبه هذا، وقد

وضع فيها الكثير من الأحاديث والعقائد، حتى أن أحد التابعين الموصفين بالعلم وهو أبو مسلم الخولاني كان يرتجز يوم صفين:

أُقتل عند طاعتي!

فالطاعة أصبحت ديناً عند هذا التابعي فكيف بغيره؟

مع أن الشرع يقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إلا أن معاوية جعل الطاعة للسلطان بلا مثنوية.

وهذا الوصف في قتل المخالفين للسلطة من بني هاشم والأنصار أقرب إلى معاوية، سواء في قتل كثيراً من المهاجرين والأنصار وأهل بدر بصفين، أو سم الحسن أو قتل حجر بن عدي وأصحابه أو إبادات بسر بن أبي أرطأة في اليمن أو عمرو بن العاص بمصر، أو زياد بالعراق، وختم حياته بالوصية بمسرف بن عقبة لأهل المدينة، فتعرضوا لإبادة شديدة كادت أن تأتي عليهم وفيهم بقية العلم وآثار النبوة، وقتل ابن زياد ذرية النبي بكربلاء فلم يبق منهم إلا أفراد، فهذا أقرب لفعل فرعون من أبي جهل الذي قتل يوم بدر ولم يقتل من المسلمين إلا بعض المستضعفين بمكة كسمية بنت خياط والدة عمار بن ياسر.

9. كنز الأموال..

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) ﴾[آل عمران]

وآل فرعون وبنو أمية لا يجادل أحد في كنزهم الأموال واشترائهم للذمم ومن ذلك الحديث (اتخذوا دين الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً) أي يتداولونه فيما بينهم.. وهذا ما لم يستطع أبو جهل فعله، ومنها (لا أشبع الله بطنه) فهي عامة ليس في الأكل فقط، وإنما في المال أيضاً، ولذلك نجد نافع بن الأزرق بعد موت يزيد واضطراب بني أمية يحرر أربعة آلاف من موالي معاوية الذين يعملون في اليمامة فقط! بل هذه الآيات نزلت في أبي سفيان في بعض الآثار، وهذا يقرب الآيات من معاوية أكثر فأكثر، لأن معاوية سر أبيه.

10. اشتراك الثلاثة..

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) ﴾[الأعراف]

خلف معاوية للعهود أظهر من خلف أبي جهل لها..

11. العصبية البلدانية عند فرعون ومعاوية

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)﴾ [الأعراف
]

هذه الآيات أقرب إلى معاوية منها لأبي جهل، فأبو جهل لم يكن يخشى أن يخرجه النبي (ص) من مكة كما خشي معاوية أن يخرجه الإمام علي من الشام، وإثارة العصبية البلدانية مشهور في سياسة معاوية بعكس أبي جهل الذي عصبيته قبلية.

وأما السخرة فقد كان مع معاوية سحرة العلم والقصص والحديث والأخبار الذين أبطلوا دين الإسلام وحرفوه في عقول الناس، واليوم دين الإسلام أكثره من وضع معاوية للأسف، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وكان يمنح لهم الأموال العظيمة (راجع مراسيم معاوية الأربعة في كتابنا: هل مات معاوية على دين الإسلام) وقد عمل معاوية على عزل جميع المذكرين والخطباء والقصاص مع بداية عهده، وبث في الأمة عشرة آلاف قاص على منهجه، نشروا الأحاديث والقصص والأخبار التي شكلت ثقافة المسلمين، ومن أراد أن يعرف مضامين تلك الخطب والقصص فليقرأ كتب العقائد السلفية، وسيرى ذلك التراث الذي شكل عقل الأمة الجمعي، بل ووجدانها وسلوكها.

12. عذاب معاوية وعذاب فرعون..

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)﴾ [الأعراف]

وهذا التعذيب لا أعلم أن أبا جهل فعله، ولكن معاوية فعله.. وسنتوسع فيه في كتاب (عذاب معاوية).

13. عذاب فرعون وعذاب معاوية.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآَلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)﴾ [الأعراف]

التعليق:

هذه الآيات أقرب إلى معاوية من أبي جهل، فهو الذي كان يمثل بالمسلمين وسلط على الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر من قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفاهم من الأرض، والذي لا يعرف هذا عن معاوية يكون جاهلاً في التاريخ، وسنأتي في الكتب القادمة على هذا الوجه المخفي من سيرة معاوية، فمعاوية هو مؤسس العذاب في الدولة الإسلامية.

14. تدمير ما كان يصنع فرعون ومعاوية!

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ [الأعراف]

وإذا كان الله قد دمر فرعون وما كان يبني، فعل دمر الله معاوية وما بناه؟

الجواب على قسمين:

أما الأمور الظاهرة فقد دمرها الله، مثل تخطيط معاوية لأن تبقى الدولة في ذريته، مع أمور أخرى كثيرة من التقليل من مقام النبي (ص) والرفع من مقام بني أمية ومنع القرآن من التداول.. الخ، وإلا أن المنهج الخفي لمعاوية موجود بسبب عوامل أخرى، ولكن لا يستطيع أي سلفي أن يقول أما على منهج معاوية وإنما يتخفون بنصرته تحت عناوين مختلفة، كالحديث زعموا والسلف الصالح ونحو ذلك.

فالنواصب والسلفية المحدثة لا تستطيع علناً أن تقول نحن مع معاوية، وهذا تدمير لما بناه معاوية، فهو أراد أن يصبح شأنه أعلى من الأنبياء والملوك، لكن كل ما بناه لنفسه وأسرته زال بعد موته بأربع سنين.

نعم مشى على سيرته آخرون من غير أسرته واستفادوا من منهجه ودافعوا عن ذلك المنهج واختاروه بديلاً عن الهدى والعدل.

وأما الأمور العقائدية التي أنشأها ودعمها فقد بقيت كالجبر والتشبيه والإسرائيليات والإرجاء السلطاني والنصب ومعظم أحاديث الترغيب والترهيب وتشريع الظلم والمبالغة في الطاعة وتشريع الكراهية بين المسلمين.. الخ.

ومن دلائل تدمير الله لصنع معاوية هذا الكتاب.

15. صفات في أبي جهل ومعاوية.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآَيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)﴾ [يونس/ ٧٥-٧٨]

الكبر والإجرام في أبي جهل ومعاوية معاً.

16. العلو والإسراف والإجرام والبغي والإفساد والتظاهر بالإسلام!

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)﴾ [يونس]

معاوية أقرب من أبي جهل عند تدبر هذه الآيات

فالعلو في الأرض كان لمعاوية وليس لأبي جهل، والإسراف كذلك، سواء في المال أو الدماء، وكذلك التظاهر بالإسلام في آخر عمره وترديد كلمات توحيدية، فهذه أبو جهل لم يفعلها ومات على كفره، ولكن فرعون ومعاوية على طغيانهما تظاهرا بهذا، إلا إن فرعون قالها صدقاً لا مخادعاً لهول انطباق البحر، أما معاوية فردد كلمات زهدية قبيل وفاته وقد فسرنا كلماته في كتابنا: (حديث الدبيلة).

17. معاوية ليس من الراشدين بإجماع!

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)﴾ [هود]

ومعاوية ليس من الراشدين إجماعاً، إلا عند قلة من النواصب كمحب الدين

الخطيب ونحوه، وقد اتبع كثير من المسلمين أمر معاوية وليس برشيد.. وعلى هذا فكل متبع لمعاوية ليس على الطريق أي ليس على السنة وإن تسمى بالسنة.

18. آيات فرعون وآيات معاوية.

﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣)﴾ [الإسراء]

ومعاوية يتهم معارضيه بالجنون (وهو أخو السحر)، كما قال (ألا تغني عنا مجنونك يا عمرو)؟ عندما حدثه بحديث الفئة الباغية، وكذلك له قصص في اتهام مخالفيه بالخرف والجنون وقد جمعتها.. وأما علمه بالحق مع مخالفته له فأشهر وأكثر من أن ينبه عليه.. وأما استفزاز الناس من الأرض فقد نقل بعض القبائل إلى خراسان ونقل بني الحارث بن كعب إلى الشام..الخ.

وأما الآيات التي أرسلت لفرعون.. فقد رأى معاوية أضعافها، أيام النبوة وبعدها، وكان من آخر تلك الآيات ما حصل منها عندما أراد تخريب منبر النبي (ص) وتكسيره بدعوى رغبته في نقله إلى الشام!.

19. الطغيان هو العلة المشتركة.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤)﴾ [طه] وقد تكررت هذه الآية، إذن فالعلة هو الطغيان قبل الكفر، ولكن أتباع معاوية يجعلون السبب في إرسال الرسل هو التوحيد فقط، ثم يفسرون التوحيد بما يعني تكفير الموحدين والإبقاء على عبادة السلف.

وطغيان معاوية وطغيان أبي جهل فرسا رهان..

20. سحر معاوية وفرعون!

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾ [طه]

ما أشبه هذا المقطع بأيام التحكيم! ولا يشكل عليه أن خصم معاوية فيه ليس نبياً، فالإمام علي من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى، (ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي) يعني تمام الأداء، وفي هذا الباب (لأبعثن لكم رجلاً كنفسي)[1].

21. الكيد والافتراء والكيد..

ثم تواصل الآيات ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤)﴾ [طه]

وهذه صفة معاوية في الكيد والافتراء على الله والنجوى ومواجهة محمد وآل محمد.

22. عذاب معاوية كعذاب فرعون..

وقال فرعون: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)﴾ [طه]

ما أشبه هذه الآيات بقصة معاوية مع حجر بن عدي وأصحابه! وما فعله زياد بأصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، من قطع الأرجل والأيدي والصلب والدفن حياً.. الخ وكل هذا بأمر معاوية.

23. إضلال قومه.. (يدعوهم إلى النار).

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩)﴾[طه]

ومعاوية كذلك..وهل يشك في هذا أحد؟ إلا إذا كانت الدعوة إلى النار هداية، وهذه الآية في معاوية أبلغ منها في أبي جهل، فمعاوية أضل كل قومه، بينما

---

(١) الحديث عند ابن أبي شيبة في المصنف ومستدرك الحاكم وصححه وفضائل الصحابة لأحمد ومسند أبي يعلى وسنن النسائي الكبرى وخصائص علي وغيرها من عدة طرق أقواها عن أبي ذر.

أسلم من بني مخزوم بعض أخوة أبي جهل (سلمة بن هشام) وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي فضلاً عن بقية قريش.

24. العلو والإسراف..

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨)﴾ [المؤمنون]

وهذه زاد فيها معاوية وأبو جهل على فرعون، لأن بني هاشم لم يكونوا عابدين لبني أمية وبني مخزوم، وكان إيمانهما أسهل على نفسيهما من إيمان فرعون، أما الكبر والعلو فأمره واضح.

﴿قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)﴾[الشعراء/ ٤٠]

25. في الثلاثة: فرعون وأبي جهل ومعاوية..

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آَيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آَيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾ [النمل]

والبراهين التي استيقنها أبو جهل ومعاوية أكثر من تسع آيات! ولكنهما جحدوا بها ظلماً وعلواً.. وإفساد معاوية باق إلى اليوم، وأما إفساد أبي جهل فقد انقطع بمقتله، وأما استيقان الحجج فالأحاديث في استيقان أبي جهل بحق النبي مشهورة ولكنه رفضه النبوة عصبية، واستيقان معاوية بحق علي كذلك...

ومن الآيات مع إرشارات رامزة (للاختصار):

26. دفناً دفناً (حديث مطرف بن المغيرة عن أبيه)

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)﴾ [يونس][١]

---

(١) وكان بنو أمية يحقدون على النبي (ص) سراً ويعلنون لعن الإمام علي جهراً، ونأخذ نماذج من مواقف معاوية من النبي (ص) وهي كثيرة جداً، ولكن هذه نماذج فقط، ففي مروج الذهب - (٢ / ٤٥) قال:

[نداء المأمون في أمر معاوية وسببه]

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المأمون: برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وتكلم في أشياء من التلاوة أنها مخلوقة، وغير ذلك، وتنازعَ الناس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية؛ فقيل في ذلك أقاويل:

منها أن بعض سُمّاره حَدَّث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي، وقد ذكر هذا الخبر الزبير ابن بكار في كتابه في الأخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها للموفق، وهو ابن الزبير، قال: سمعت المدائني يقول: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وَفَدْتُ مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنه ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العَشاء، فرأيته مغتماً، فانتظرته ساعة، وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة. قال: يا بني، إني جئت من عند أخْبَث الناس، قلت له: وما ذاك. قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عَدْلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصَلْتَ أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات!! مَلَكَ أخو تَيْم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخوَ عَديٍّ، فاجتهد وشَمَّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملكَ أخونا عثمان فملك رجلٌ لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يُصْرَخُ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله، فأي عمل يبقى مع هذا؟ لا أمَ لك؛ والله ألا دفنا دفنا، وإن المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر، فأعْظَمَ الناسُ ذلك وأكبروه، واضطربت العامة منه فأشير عليه بترك ذلك، فأعرض عما كان هَمَّ به.

التعليق:

وهذا سر ذكر النبي (ص) في الأذان، بل هذا سر (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لأن الله يعلم أن بني أمية سيعملون على إطفاء نور النبوة وبهذا يطفئون نور الإسلام، فكأن الله يقول: لن تعرفوا ديني إلا من طريق هذا الرجل، وانا أبتليكم به لأختبر مدى تخلصكم من الكبر والعصبية، والمأمون عالم

27. الأقلية المؤمنة والعمل الفكري المضاد:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾[يونس]

28. الأموال والإضلال والزينة:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) [يونس/ ٨٨] / وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩)﴾ [طه]

29. ملك عضوض لا خلافة راشدة:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)﴾ [هود]

بالحديث وهذا ما لا يعرفه السلفيون لغمطهم له بسبب محنة خلق القرآن، ولولا تثبته من الإسناد ما أنشأ الكتب إلى الآفاق.. (راجع قصة المأمون مع أبي مسهر..) وقال ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة - (٥ / ٩٢١) ولم يذكر إسناده لكنه ذكر القرائن المقوية للحديث فقال: [أخبار متفرقة عن أحوال معاوية] وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه إنه كان ملحداً لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه، وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك، وروى الزبير بن بكار في« الموفقيات» - وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة على عليه السلام، والانحراف عنه -: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبى على معاوية، فكان أبى يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتما فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث..وشاهده: في موسوعة التاريخ الإسلامي - (١ / ٨٣) للغروي: وقال معاوية لما سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله: لله أبوك يابن عبد الله! لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين (نسبة لابن أبي طاهر في أخبار الملوك نقلاً عن نهج البلاغة) وسنتوسع في موقف معاوية من النبي (ص) في مناسبات قادمة إن شاء الله..

30. منهج فرعون كله من مكر وكيد وحب علو في الأرض وسرية ونجوى:

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤)﴾ [طه]

31. منهج القلة والكثرة والتحذير والتهويل:

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦)﴾ [الشعراء]

32. معاوية وأبو ذر:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ[1] (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)﴾ [غافر]

وقد عرّض الإمام علي بهذا المعنى في دفاعه عن أبي ذر.

---

(١) والأحزاب هم من يتبع بعضهم بعضاً وليس شرطاً أن يكونوا في زمن واحد.. كما توضح ذلك الآية، ومن هذا الباب قول علي: انفروا إلى بقية الأحزاب! فمعاوية هو بقية وحزب من تلك الأحزاب.. وقد توالت الأحزاب..

33. جعلهم سلفاً!

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦) ﴾[الزخرف]

قلت: ومن بحث عن مرجع السلفية المحدثة - وهي المسيطرة اليوم- لن يجد لها سلفاً إلا معاوية وما أفرزه من عقائد النصب والجبر والإرجاء والتشبيه والترغيب والترهيب وهجر القرآن والعقل والحقوق..الخ، ولم يكن أبو جهل سلفاً لأحد، فهذا التشابه بين فرعون ومعاوية أصيل.

وقد جعل الله هلاك آل فرعون وبني أمية عبرة، فقد سقطوا وهم في أوج قوتهم، ولكن أين المعتبر؟

ثانياً: الحاضنات الحديثية:

وهي كثيرة جداً.. وستخرج الأحاديث في ذم معاوية تباعاً، وكل حديث يغطي صفة من صفات فرعون.. وقد كررنا هذه الأحاديث أو مضامنيها دون توسع في التخريج، لأن هذه الكتب هي القسم الحديثي من مثالب معاوية.

ثالثاً: الحاضنات التاريخية:

وهذه كثيرة جداً.. فسيرة معاوية تكاد تكون شرحاً لسيرة فرعون، نعم يتميز فرعون عن معاوية بإعلان الكفر، أما الأعمال والسيرة فتكاد تكون واحدة، وسنتوسع في هذه الحاضنات التاريخية عند كلامنا في كتب قادمة عن كبائر معاوية.

فمثلاً:

1. سبي النساء المسلمات
2. قتل الرجال

هذه من أعمال فرعون، ولها عشرات الروايات التاريخية[1] في سيرة معاوية، فهل

---

(١) وعلى سبيل المثال ففي مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٧ / ص ٢٥٢): حدثنا أبو أسامة قال حدثني الوليد ابن كثير عن وهب بن كيسان قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما كان عام الجماعة بعث معاوية إلى المدينة بسر بن أرطاة ليبايع أهلها على راياتهم وقبائلهم، فلما كان يوم جاءته الأنصار

جاءته بنو سليم فقال: أفيهم جابر؟ قالوا: لا، قال: فليرجعوا فإني لست مبايعهم حتى يحضر جابر، قال: فأتاني فقال: ناشدتك الله إلا ما انطلقت معنا فبايعت فحقنت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلتنا وسببت ذرارينا، قال: فاستنظرهم إلى الليل، فلما أمسيت دخلت على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتها الخبر فقالت: يا بن أم! انطلق! فبايع واحقن دمك ودما قومك، فإني قد أمرت ابن أخي يذهب فيبايع، والحديث في التاريخ الصغير للبخاري - (ج ١ / ص ١٤١): حدثني سعيد بن محمد الجرمي ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني أبو نعيم وهب بن كيسان مولى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول قدم بسر بن أرطاة المدينة زمان معاوية فقال لا أبايع رجلاً من بنى سلمة حتى يأتي جابر فأتيت أم سلمة بنت أبي أمية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقالت بايع فقد أمرت عبد الله بن زمعة بن أخي أن يبايع على دمه وماله أنا أعلم أنها بيعة ضلالة، وهو في تاريخ الطبري - (ج ٤ / ص ٦٠١): ثم دخلت سنة أربعين ذكر ما كان فيها من الأحداث فمما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة قال أرسل معاوية بن أبى سفيان بعد تحكيم الحكمين بسربن أبي أرطاة وهو رجل من بني عامر بن لؤي في جيش فساروا من الشأم حتى قدموا المدينة وعامل على على المدينة يومئذ أبو أيوب الانصاري ففر منهم أبو يوب فأتى بالكوفة ودخل بسر المدينة قال فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد فنادى على المنبر يا دينار ويانجار ويازريق شيخي شيخي عهدي به بالأمس فأين هو يعني عثمان ثم قال يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها محتلما إلا قتلته ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين إني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة قالت أرى أن تبايع فإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع وأمرت ختنى عبد الله بن زمعة وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زمعة فأتاه جابر فبايعه وهدم بسر دورا بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى أن يقتله فقال له بسر ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فخلى عنه وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن أن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس تقتل من أبى أن يقر بالحكومة ثم مضى أسر إلى اليمن وكان عليها عبيدالله بن عباس عاملاً لعلي فلما بلغه مسيره فر إلى الكوفة حتى أتى عليا واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثى على اليمن فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه ولقى بسر ثقل عبيدالله بن عباس وفيه ابنان له صغيران فذبحهما وقد قال بعض الناس إنه وجد ابني عبيدالله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية فلما أراد قتلهما قال الكناني علام تقتل هذين ولا ذنب لهما فإن كنت قاتلهما فاقتلني قال أفعل فبدأ بالكناني فقتله ثم قتلهما ثم رجع بسر إلى الشأم وقد قيل إن الكناني قاتل عن الطفلين حتى قتل وكان اسم أحد الطفلين اللذين قتلهما بسر عبد الرحمن والآخر قثم وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة على باليمن وبلغ علياً خبر بسر فوجه جارية بن قدامة في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين فسار جارية حتى أتى نجران فحرق بها وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم وهرب بسر وأصحابه منه واتبعهم حتى بلغ مكة فقال لهم جارية بايعونا فقالوا قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع قال لمن بايع له أصحاب على فتثاقلوا ثم بايعوا ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلى بهم فهرب منه فقال جارية والله لو اخذت أباسنور لضربت عنقه ثم قال لاهل المدينة بايعوا الحسن بن علي فبايعوه وأقام يومه ثم

نستعرضها؟ لو فعلنا لكان كتاباً مفرداً، وإنما هنا ننبه أن حواضن الحديث موجودة.

وكذلك لو نأخذ التمثيل بالمخالفين (قطع أرجلهم وأيدهم..) وهي من أعمال فرعون، فسنجد لها عشرات الروايات في سيرة معاوية[1] فهل نستعرضها؟ هذا سيخرج هذا الكتاب كتباً، ولذلك أدعو الأخوة القراء لعدم الاستعجال، فهذه الكتب التي

خرج منصرفاً إلى الكوفة وعاد أبو هريرة فصلى بهم، وهو في الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٥٠): أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن قال حدثنا أبو محمد إسماعيل بن علي الخطبي ببغداد في تاريخه الكبير قال حدثنا محمد بن مؤمن بن حماد قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال وذكره زياد أيضاً عن عوانة قال أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أرطاة في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة وعامل المدينة يومئذ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففر أبو أيوب ولحق بعلي رضي الله عنه ودخل بسر المدينة فصعد منبرها فقال أين شيخي الذي عهدته هنا بالأمس يعني عثمان رضي الله عنه ثم قال يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت فيها محتلماً إلا قتلته ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة فقال ما لكم عندي أمان ولا مبايعة حتى تأتوا بجابر بن عبد الله فأخبر جابر فانطلق حتى جاء إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين فإن خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة فقالت أرى أن تبايع وقد أمرت ابني عمر ابن أبي سلمة أن يبايع فأتى جابر بسراً فبايعه لمعاوية وهدم بسر سوراً بالمدينة ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعري فخافه أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب فقيل ذلك لبسر فقال ما كنت لأقتله وقد خلع علياً ولم يطلبه، وكتب أبو موسى إلى اليمن إن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس من أبي أن يقر بالحكومة، ثم مضى بسر إلى اليمن وعامل اليمن لعلي رضي الله عنه عبيد الله بن العباس فلما بلغه أمر بسر فر إلى الكوفة حتى أتى علياً واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي فأتى بسر فقتله وقتل ابنه ولقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس فقتلهما ورجع إلى الشام اهـ.

وهذه السنة الفرعونية كررها مسرف بن عقبة بعد معاوية في أهل المدينة ففي الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ٢ / ص ٢٠١): فإن ابن عيينة روى عن الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما قدم مسلم بن عقبة المدينة بايع الناس يعني بعد وقعة الحرة قال: وجاءه بنو سلمة فقال: لا أبايعكم حتى يأتي جابر قال: فدخلت على أم سلمة أستشيرها فقالت: إني لأراها بيعة ضلالة وقد أمرت أخي عبد الله بن أبي أمية أن يأتيه فيبايعه قال: فأتيته فبايعته اهـ وفعلها سفيان بن عوف الغامدي وكل سرايا معاوية كان يقال في كل منها (فقتل وسبى)!.

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٢٦٢): قال الشعبي: كان عبد الله بن بديل في صفين عليه درعان وسيفان، وكان يضرب أهل الشام ويقول:.. وذكر القصة وفيها مقتله وقول معاوية: اكشفوا عن وجهه، فقال له ابن عامر: والله لا يمثل به وفي روح، وقال معاوية: اكشفوا عن وجهه، فقد وهبناه لك اهـ.

أخرجها تباعاً ستكشف الرمز الأول والأخطر من رموز الظلم والاستبداد، وستحبون النبي (ص) أكثر من حبكم له الآن، لأنه أنذر وأخبر وحذر ونصح الأمة وكان شجاعاً في هذه النصيحة، ولكن المشكلة أن هؤلاء المحذر منهم كمعاوية كانت لهم دولة فأخفوا هذه الأحاديث وتتبعوا رواتها بالقتل والسجن والإرهاب ووضع المعارضات والمضادات لهذه الأحاديث، فلذلك لا تستغربوا غرابتها اليوم، فالسلطة بإمكانها أن تفعل أكثر من هذا بكثير.

خاتمة المبحث:

لم نستوفِ الآيات في فرعون وآل فرعون، والباحث الحصيف يستطيع مع الوعي التاريخي أن يجد شبهاً ما بين أكثر الآيات التي تتحدث عن فرعون علاقة بمعاوية وسيرته وعلوه وسحرته وكيده ومكره.. الخ، ولكنه لن يجد هذه العلاقة بأبي جهل إلا في آيات قليلة التي يشترك فيها كل كافر مع فرعون في الكفر، أما الشبه الكبير فهو بين فرعون ومعاوية، ولن يستطيع أحد أن يفهم هذا إلا بعد علم صحيح بحال معاوية، أما ذلك العلم المزيف الذي يجعل معاوية من الصالحين فلن يستطيع رؤية أوجه التشابه الكبيرة والدقيقة بين الرجلين، أيضاً نشير هنا إلى تشابه آخر، فقد أتيح لمعاوية معاداة النبي (ص) والإمام علي كما أتيح لفرعون معاداة موسى وهارون عليهما السلام، ولم يُتَح هذا لأبي جهل، والجميع يعلم الحديث المتواتر (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وحديث (علي مني وأنا منه) في صحيح البخاري، وحديث (علي كنفسي) وآية المباهلة (وأنفسنا وأنفسكم).. إلى كثير من الأدلة التي تجعل علياً من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، ولا يجوز أن نجعل فرعون ظالماً إذا عادى موسى بينما نجعله مؤمناً صالحاً إذا عادى هارون، فهو ظالم في الحالتين.

الملاحق والزيادات والتفصيلات:

ملاحق الكتاب:

أولاً: ملحق الرواة:

- القسم الأول: قسم الأسانيد

رجال الإسناد الأول: حديث نافع عن ابن عمر

استطراد: العبرة في اغتيال ابن عمر!

رجال الإسناد الثاني: حديث خيثمة عن ابن عمر

رجال الإسناد الثالث: أبو المثنى عن ابن عمر

رجال الإسناد الرابع: سالم بن أبي الجعد عن ابن عمر

رجال الإسناد الخامس: حديث يزيد التيمي عن أبي ذر

رجال الإسناد السادس: شاهد أبي ذر

رجال الإسناد السابع: حديث ابن عباس

- القسم الثاني: قسم التراجم المفردة الموسعة (ست تراجم)

الملحق الثاني: زيادات وتفصيلات

العبرة من مقتل ابن عمر

إطلالة على أثر ثقافة معاوية في الأحداث المعاصرة.

التفصيل:

أولاً: تراجم رجال الإسناد الأول: حديث ابن عمر

1. ...(!) عبد الحميد بن أبي رواد (206 هـ): كذا في الأصل وصوابه عبد المجيد ابن أبي رواد، وكنيته أبو عبد الحميد، فلعله تصحف الاسم أو أنه ذكره بالكنية فسقط أول الكنية، وهو عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد كما سيذكر أحمد وابن معين بعد قليل، وكما سيؤكد ابن الجوزي أيضاً، فهنا ذكره السائل بالكنية ولكن سقط لفظ (أبي)، وصواب العبارة (حدثوني عن أبي عبد الحميد..) أو (حدثوني عند عبد المجيد)، وليس في عائلة ابن أبي رواد رجل اسمه عبد الحميد، وإنما كنية عبد المجيد هي أبو عبد الحميد، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد المكي (206هـ)) محدث مكة وفقيهها، أشهر وهو المفتي بقتل وكيع بسبب روايته حديثاً ضعيفاً فيه تنقص للنبي (ص)، وعبد المجيد ثقة من رجال مسلم والسنن الأربع، وثقه أحمد وابن معين أحمد ولم يصفاه بالتدليس ولم يتهم إلا بالإرجاء، ولكن في هذا الخبر فقط وصفوه بالتدليس احتمالاً بل اقتراحاً وليس عن علم، وإذا أطلق المحدثون (ابن أبي رواد)، فلا ينصرف إلا عليه وعلى أبيه عبد العزيز، فأبوه له رواية عن نافع ((وقد أفردناه بترجمة مختصرة وستأتي في ملحق الرواة)).
2. عبيد الله بن عمر العدوي ثم العمري (نحو 145هـ): محدث مشهور ثقة من رجال الكتب الستة، وهو راوية نافع الأكبر، إذ يتفوق بكثرة الرواية عنه عن الإمام مالك، ومن الأسانيد الذهبية عند أهل الحديث (مالك عن نافع عن ابن عمر)، وفي ظني أنهم ما تركوا ذهبية (عبيد الله عن نافع عن ابن عمر) إلا لأن عبيد الله بن عمر العدوي كان أجرأ من مالك في بث ما يزعج أهل الحديث من حديث نافع عن ابن عمر، مع أن أحمد قدمه على مالك في نافع، وترجمة عبيد الله بن عمر في تقريب التهذيب لابن حجر إذ قال: عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني أبو عثمان ثقة ثبت قدمه أحمد بن صالح على مالك في نافع وقدمه ابن معين في القاسم عن عائشة على الزهري عن عروة عنها من الخامسة مات سنة بضع وأربعين اهـ وهو مشهور

لا يحتاج إلى تعريف.

3. نافع مولى ابن عمر (118هـ): من رجال الجماعة وهو مشهور جداً، إلا أنه غير معروف عندهم بالنصب، مع أنه كان رجلاً فيه نصب، فكيف روى الحديث؟ لأحد سببين: إما أنه رواه ليضعفه فاختفى التضعيف وأخذ تلميذه أصل الحديث وهذا يحدث كثيراً، وإما أنه على آخر ما كان عليه ابن عمر، فإن ابن عمر في آخر حياته ندم على ترك قتال معاوية مع علي، وأفصح عن أحاديث في ذم معاوية، ولعل ذلك من جملة الأسباب التي دعت الحجاج لقتله اغتيالاً: (والغريب أن نواصب العصر يخفون اغتيال الحجاج له حماية لبني أمية، مع أن قصة الاغتيال في صحيح البخاري وتوسع ابن حجر في شرح ذلك في فتح الباري)!.

4. ابن عمر (74هـ): صحابي غني عن التعريف، اغتاله الحجاج بن يوسف في الحج بمكة، ومن مكر الحجاج أنه ذهب إليه ليعرف هل اكتشف أنه القاتل أم لا! ولما سأله وجد عند ابن عمر الخبر اليقين! ومع ذلك صلى عليه الحجاج إمعاناً في التلبيس، وقد عرف حينها ابن عمر أنه أخطأ في ترك قتال الفئة الباغية[1]، وفي هذه عبرة وأي عبرة؟ فما أكثر العبر وما أقل الاعتبار.

---

(١) قال ابن عبد البر في ترجمته في كتابه الإستيعاب (١ / ٠٩٢): (... وكان الحجاج قد أمر رجلاً فسم زج رمح، وزحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه! وذلك أن الحجاج خطب يوماً وأخر الصلاة، فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك. قال: إن تفعل فإنك سفيه مسلط. وقيل: إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج، ولم يسمعه وكان يتقدم في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف بها فكان ذلك يعز على الحجاج فأمر الحجاج رجلاً معه حربة يقال: إنها كانت مسمومة فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأمر الحربة على قدمه وهي في غرز راحلته فمرض منها أياماً فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال له: من فعل بك يا أبا الرحمن؟ فقال: ما تصنع به؟ قال: قتلني الله إن لم أقتله. قال: ما أراك فاعلاً أنت الذي أمرت الذي بخسني بالحربة. فقال: لا تفعل يا أبا عبد الرحمن. وخرج عنه. وروي أنه قال للحجاج إذ قال له: من فعل بك قال: أنت الذي أمرت بإدخال السلاح في الحرم فلبث أياماً ثم مات وصلى عليه الحجاج.

حدثنا أبو القاسم خلف بن القاسم الحافظ قال: حدثنا عبد الله عمر بن إسحاق بن معمر الجوهري، قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين، قال: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفي، قال: حدثنا أسباط بن محمد، قال حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن

(انظر العبرة من مقتل ابن عمر في الملحق الثاني)

ثانياً: رجال الإسناد الثاني (خيثمة عن ابن عمر):

1. نصر بن مزاحم المنقري التميمي (206هـ): هذا الرجل ثقة في الجملة، فقد سبقت ترجمته موسعة في كتب سابقة، وقد نعيدها في الملحق، وهو صدوق، ومن ضعفه فإنما ضعفه للمذهب، ولكنه يكثر الرواية عن الضعفاء والمجهولين، وليس بالضابط فقد يخطيء قليلاً في الأسانيد والمتون، وقد وثقه ابن حبان وهو متشدد على الموصوفين بالتشيع، وقد وثق به في دينه أحد علماء أهل البيت في وقته وهو محمد بن إبراهيم الرسي (199هـ) زعيم الثورة على المأمون المعرفة بثورة أبي السرايا، وعندما يثق أحد علماء أهل البيت في نصر بن مزاحم فهذا أبلغ من توثيق النواصب له أو تضعيفهم، وقد عاش نصر بن مزاحم بعد فشل ثورة أبي السرايا، وغالباً يتعرض أتباع المهزومين لتكذيب وتضعيف سياسي أكثر منه تضعيفاً علمياً، والواقع السياسي اليوم يشهد لكن الناس في سكرة، وعلى كل حال فلا نقبل حديثه منفرداً، وإنما هو شاهد، وستأتي متابعة عن ابن عمر.
2. يحيى بن يعلى (نحو 170هـ)شيخ نصر، وهناك ثلاثة، أحدهم أبو المحياة قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب: يحيى بن يعلى التيمي أبو المحياة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد التحتانية وآخره هاء الكوفي ثقة من الثامنة م ت س ق اهـ قلت: فهو يروي عن طبقة الأعمش، وهو من المعمرين مات وقد قارب المئة، فالأعمش أكبر منه بأكثر من عشرين سنة، والآخر الأسلمي وهو شيخ نصر وهو ثقة أيضاً ولكن فيه خلاف نتيجة الهجوم المذهبي عليه، وقد أفردناه بترجمة وسيأتي في ملحق التراجم المفردة.
3. الأعمش: ثقة مشهور (148هـ) لا يحتاج إلى تعريف، وقد سبق.
4. وأما خيثمة (بعد 80هـ) شيخ الأعمش: فهو خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي، وهو ثقة بإجماع روى له الجماعة وأكثروا عنه، قال الحافظ في تقريب

عبد الله بن عمر قال: ما آسى على شيء إلا أني لم أقاتل مع علي رضي الله عنه الفئة الباغية اهـ.

التهذيب: خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي ثقة وكان يرسل من الثالثة مات بعد سنة ثمانين ع اهـ وهنا لم يصرح بالسماع من ابن عمر، وإنما أرسل عنه إرسالاً.. ولكنه من الرواة عن ابن عمر، وهو غير موصوف بالتدليس ففي (تهذيب التهذيب - (ج 3 / ص 154): خيثمة بن عبد الرحمن ابن أبي سبرة واسمه يزيد بن مالك بن عبد الله بن ذويب الجعفي الكوفي لأبيه ولجده صحبة وفد جده أبو سبرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وآله وسلم ومعه أبناه سبرة وعزيز، روى عن أبيه وعلي بن أبي طالب وابن عمر وابن عمرو وابن عباس والبراء بن عازب وعدي بن حاتم والنعمان بن بشير وغيرهم من الصحابة والتابعين وعنه زر بن حبيش وأبو إسحاق السبيعي وطلحة بن مصرف وعمرو بن مرة الجملي وقتادة والأعمش.. الخ) وهو ثقة بإجماع، وساء روى عن ابن عمر أو عبد الله بن عمرو (على احتمال وجود تصحيف) فالسند متصل سمع بعضهم من بعض، إلا أن خيثمة قال (قال ابن عمر) ولم يقل سمعت ولا حدثني.. ولكن إطلاقه (قال ابن عمر) حكمه حكم الاتصال عند تحقق السماع وانتفاء التدليس عن القائل، ثم قد توبع كما سيأتي.

5. ابن عمر: صحابي مشهور.. ونلحظ أن ابن عمر كثف من رواية مثالب معاوية ربما بعد موت معاوية وبعد موت يزيد أيضاً، فقد لبث عشر سنين بعد زوال الدولة السفيانية، وبقي في الحجاز في رعاية دولة ابن الزبير التي سمحت بنشر الأحاديث في مثالب معاوية فانتشرت جزئياً، لكن عودة بني أمية إلى السلطة بعد ثمان سنوات فقط أجهض ما بثه ابن عمر وغيره في مثالب معاوية، وعاد لعن الإمام علي على المنابر، ولكن بعض هذه الأحاديث التي رواها ابن عمر أو غيره بقيت عند خاصة الخاصة، وسط ممانعة قوية من التيار العام الذي هو ابن السلطة.

والشيعة يخطئون عندما لا يسجلون لعبد الله بن عمر ندمه وتوبته، وكذلك عبد الله ابن عمرو بن العاص، فالروايات الصحيحة عنهم تفيد أنهم تابوا وبثوا فضائل أهل البيت ومثالب معاوية، والعدل مطلوب، كما أن أهل السنة يظلمون عبد الله بن عمر عندما يظهرونه مصراً على بيعة يزيد بن معاوية والظالمين ومنافحاً

عن الولاء لهم، كلا.. كان ابن عمر في العشر السنوات الأخيرة (٦٤- ٧٤هـ) معارضاً بامتياز، ولذلك قتله الحجاج، والسلفية المحدثة لا تعرف هذا رغم أنه صريح في صحيح البخاري.

ثالثاً: رجال الإسناد الثالث: أبو المثنى عن ابن عمر

1. عمر: هو عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسيدي التميمي، من شيوخ نصر أكثر عنه جداً، إلا أن الصواب في هذه العبارة أن نصر رواه عن يحيى بن يعلى مباشرة، وقد ترجمت له ترجمة مطولة في غير هذا الكتاب (وقد نوردها في الملحق).
2. يحيى بن يعلى: هو الأسلمي.. وهو ثقة ضعفه بعضهم مذهبياً وسيأتي في ملحق التراجم المفردة.
3. عبد الجبار بن عباس الشبامي: يروي عن أبي إسحاق السبيعي وعدي بن ثابت وطبقتهم، وعنه شيوخ أحمد كوكيع ويحيى بن أبي زائدة، وهو ثقة طعن فيه بعضهم للمذهب، ففي تقريب: عبد الجبار بن العباس الشبامي بكسر المعجمة ثم موحدة خفيفة نزل الكوفة صدوق يتشيع من السابعة بخ قد ت/ وفي الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - (ج 1 / ص 612): عبد الجبار بن العباس الشبامي الهمداني الكوفي عن عدي بن ثابت وأبي إسحاق وعنه أبو نعيم وأبو أحمد الزبيري شيعي صدوق ت/ . الجرح والتعديل - (ج 6 / ص 31): عبد الجبار بن العباس الشبامي، روى عن عدي بن ثابت وعون بن أبي جحيفة، روى عنه الحسن بن صالح وأبو أحمد الزبيري وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم سمعت أبي يقول ذلك، قال أبو محمد روى عن أبي قيس الأودي وسلمة بن كهيل وأبي إسحاق الهمداني وعمار الدهني وعثمان بن المغيرة وعطاء بن السائب وعريب المشرقي وعبد الله بن أبي السفر وقيس بن وهب وأبي صخرة، نا عبد الرحمن أنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلي قال سألت أبي عن عبد الجبار بن العباس قال هو رجل من أهل الكوفة أرجو أن لا يكون به بأس، نا عنه وكيع وأبو نعيم وكان يتشيع، نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين

يقول عبد الجبار بن العباس ليس به بأس، نا عبد الرحمن قال سألت أبي عن عبد الجبار بن العباس الشبامي فقال ثقة قلت لا بأس به؟ قال ثقة. / وقال يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ - (ج 1 / ص 406) حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا عبد الجبار بن عباس الهمداني ثقة كوفي اهـ قلت: وهذا يخالف ما نسبه ابن حبان وتابعه الذهبي في الميزان إلى أبي نعيم من أنه قال (لم يكن بالكوفة أكذب منه)! فهذا باطل ومن مجازفات ابن حبان ولم يذكر له إسناداً، بينما الإسناد الصحيح إلى أبي نعيم (الفضل بن دكين) أنه قال عنه (كوفي ثقة) وهذا ما يؤيده الواقع الروائي، فأبو نعيم أورى الناس عن عبد الجبار بن العباس هذا، والغريب أن الذهبي نقل هذه الجملة في الميزان مع أنه المحدث من أصحاب الاستقراء وهو يعلم أن معظم أحاديث عبد الجبار إنما رواها أبو نعيم (كما في مصنف بن أبي شيبة وغيره) كما أن الإسناد صح عنه أنه يوثقه، لكن الذهبي هكذا يفرح بأي نقد لثقات الشيعة ويسكت عن بعض الجروح في النواصب.

4. عمار بن معاوية الدهني الكوفي (133هـ): ثقة روى عنه الجماعة إلا البخاري، قطع بشر بن مروان عرقوبيه في التشيع! على لغة سفيان بن عيينة، وكان أبو بكر ابن عياش يستذله في العهد الأموي، ولا يتخلص منه إلا بإنكار أن يكون سمع من سعيد بن جبير! / تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 408): عمار بن معاوية الدهني بضم أوله وسكون الهاء بعدها نون أبو معاوية البجلي الكوفي صدوق يتشيع من الخامسة مات سنة ثلاث وثلاثين م 4.
5. أبو المثنى: اسمه مسلم بن المثنى، من الطبقة الثانية أو الثالثة، كان مؤذن المسجد الجامع بالكوفة، لم يرو إلا عن ابن عمر وهو ثقة وسيأتي في التراجم المفردة الموسعة.
6. ابن عمر: صحابي معروف..سبق الكلام عن توبته ورجوعه إلى ذم معاوية وبث مثالبه.

رابعاً: رجال الإسناد الرابع: سالم بن أبي الجعد عن ابن عمر

1. محمد بن فضيل: ثقة من رجال الجماعة مات سنة (195هـ) وله كتاب مطبوع

وهو الدعاء، وفي النواصب من اتهمه بالتشيع - يعني محبة علي رضي الله عنه، ونعم التهمة لو صحت- مع أن كتابه جله رواية عن النواصب - النصب المعتدل- كعاصم الأحول ونحوه، بل والده فضيل بن غزوان كان ناصبياً، وفي تقريب التهذيب: محمد بن فضيل بن غزوان الضبي مولاهم أبو عبد الرحمن الكوفي صدوق عارف رمي بالتشيع من التاسعة مات سنة خمس وتسعين ع..

2. أبو حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي (نحو 150هـ)، اسمه ثابت بن أبي صفية، واسم أبي صفية (دينار) فهو ثابت بن دينار، وهو صدوق ضعفه بعضهم للتشيع، ولم يأتي من ضعفه بحجة، وهو من علماء الشيعة الكبار، وروى عنه كبار كوكيع ابن الجراح وسفيان بن عيينة وأمثالهم، ولولا تشيعه لكان ثقة غاية، وقد روى له بعض أهل السنن، كالترمذي وابن ماجه والنسائي، وله مصنفات فموقفهم منه كموقفهم من أبي حنيفة، بل تضعيفهم لأبي حنيفة أشد للمذهب فقط، وفي معجم المؤلفين - (ج 3 / ص 100): ثابت بن دينار الثمالي، الكوفي، الشيعي (أبو حمزة، أبو صفية) محدث، مفسر، من آثاره: كتاب النوادر في الحديث، كتاب الزهد، رسالة الحقوق، وتفسير، وهو صاحب إسناد رواية علي المشهورة في حديث كميل (القلوب أوعية) رواها عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل ابن زياد اهـ/ وقال عنه ابن النديم في الفهرست - (ج 1 / ص 36) كتاب تفسير أبي حمزة الثمالي، واسمه ثابت بن دينار وكنية دينار أبو صفية، وكان أبو حمزة من أصحاب على عليه السلام، من النجباء الثقات، وصحب أبا جعفر (يعني محمد الباقر، وليس المراد أبا جعفر المنصور) انتهى، إلا أن قوله (كان من أصحاب علي غير صحيح، فلم يدرك علياً، بل ولا الحسين، وإنما يقصد الصحبة المجازية، أي أنه من شيعته ومحبيه والمناصرين له بالعلم والولاء.

3. سالم بن أبي الجعد: وهو ثقة مشهور من رجال الشيخين، وفي تقريب التهذيب: سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الأشجعي مولاهم الكوفي ثقة وكان يرسل كثيراً من الثالثة مات سنة سبع أو ثمان وتسعين وقيل مائة أو بعد ذلك ولم يثبت أنه جاوز المائة ع اهـ وهذا يعني أنه مولود قبل الهجرة، والأولى أن يكون صحابياً على شرط ابن حجر في أهل مكة والطائف، فغطفان قبيلة حجازية.

4. ابن عمر: مشهور.

خامساً: رجال الإسناد الخامس إسناد أبي ذر

1. الثوري: ثقة مشهور..
2. الأعمش: ثقة سبق.
3. إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي: ثقة سبق.
4. يزيد بن شريك التيمي: ثقة سبق
5. أبو ذر: صحابي معروف..

استطراد: في ترجمة حكيم بن جبير موسعة (انظر ملحق التراجم المفردة).

سادساً: رجال الإسناد السادس، الشاهد عن أبي ذر نفسه

1. إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني: وفي العبر للذهبي - (ج 1 / ص 142): وفيها - أي سنة 348هـ- (توفي) أبو الحسن الشَّعراني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد بن المسيّب النيسابوري، العابد الثقة. روى عن جدّه، ورحل وجمع وخرّج لنفسه اهـ قلت: وقد يختلط بقوام السنة إسماعيل ابن محمد بن الفضل الأصبهاني، وهذا متأخر (536هـ) مع اختلاف النسبة.
2. جده هو: العلامة الجوال الفضل بن محمد بن محمد بن المسيب الشعراني (282هـ) من نسل باذان والي النبي (ص) على اليمن، وهو ثقة، وفي إكمال الكمال - (ج 4 / ص 571) فضل بن محمد بن محمد بن المسيب بن موسى ابن زهير بن يزيد بن كيسان بن باذان صاحب اليمين، أبو محمد الشعراني، كان يرسل شعره، يقال إنه لم يبق بلد لم يدخله في طلب الحديث إلا الأندلس، سمع إسماعيل بن أبي أويس وقالون وحيوة بن شريح وسعيد بن أبي مريم والنفيلي ويحيى بن يحيى وابن الاعرابي اللغوي، وقرأ القرآن على خلف، وكان عنده تاريخ أحمد بن حنبل عنه وتفسير سنيد بن داود والسنن عن نعيم ابن حماد والمغازي عن ابن المنذر، سمع منه ابن خزيمة وانتقى عليه والسراج والمؤمل بن الحسن بن عيسى وخلق كثير، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين / وفي طبقات الحفاظ - (ج 1 / ص 54): الشعراني، الحافظ الإمام الجوال أبو محمد الفضل بن محمد بن المسيب البيهقي، قال ابن المؤمل: كنا نقول ما بقي

بلد لم يدخله الشعراني في طلب الحديث إلا الأندلس، وقال الحاكم: أديب فقيه عابد عارف بالرجال ثقة لم يطعن فيه بحجة، وقال ابن أبي حاتم: تكلموا فيه، وقال ابن الأخرم: صدوق غال في التشييع مات في أول سنة اثنتين وثمانين ومائتين./ وفي الوافي بالوفيات - (ج 7 / ص 181): الحافظ الشعراني: الفضل بن محمد بن المسيب أبو محمد البيهقي الشعراني، من ذرية باذان الملك باليمن الذي أسلم بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم، هو الحافظ، كان يقال: لم تبق مدينة لم يدخلها أبو الفضل لطلب الحديث، قال الحاكم: كان أديباً فقيهاً عابداً عارفاً بالرجال. كان يرسل شعره فلقب بالشعراني توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

3. كثير بن يحيى أبو مالك البصري، ثقة عند التحقيق، ضعفه بعض النواصب مذهبياً، والأصل هو توثيق المتقدمين له (انظر ملحق التراجم المفردة الموسعة).
4. أبو عوانة: هو الحافظ الكبير، الوضاح بن عبد الله اليشكري، ثقة كبير من رجال الشيخين غني عن التعريف (276هـ) وهو من أهل واسط ونزل على أهل البصرة كشعبة، راى الحسن وابن سيرين، وكان بعضهم يفضله على شعبة وكفى بهذا توثيقاً، بل بلغ الأمر بشعبة أن قال (لو حدثكم أبو عوانة عن أبي هريرة فصدقوه) مما يدل على تثبته ولو لم يذكر الرواة بينه وبين أبي هريرة، وهذا غلو في التوثيق من شعبة وإنما أوردناه هنا لبيان مكانة أبي عوانة، وقد لقي من سلفية عهده عنتاً لأنه كان يحدث بمثل هذه الأحاديث، فكانوا ربما ألقوا عليه كتبه في نهر دجلة أو الفرات! مما يدل على أن منهج معاوية سار في كثير من أهل الحديث.
5. الأعمش: ثقة سبق
6. حكيم بن جبير: صدوق سبق
7. إبراهيم التيمي: ثقة سبق
8. يزيد بن شريك التيمي: ثقة سبق
9. أبو ذر الغفاري: صحابي كبير من السابقين، أصدق الناس لهجة.

سابعاً: رجال الإسناد السابع (حديث ابن عباس)

1. جعفر بن أحمد بن علي بن بيان المصري الغافقي بن الماسح (306هـ): من شيوخ ابن عدي وابن حبان وطبقتهما، وهذا الرجل محدث واسع الرواية عالي الإسناد، إلا أنهم أجمعوا تقريباً على تضعيفه - باستثناء عبارات مترددة - ولكن نصف التضعيف مذهبي، ونصفه صحيح، أما التضعيف المذهبي فهو ذلك التضعيف الذي يستهدف مجموعة من الأحاديث في فضل الإمام علي أو إمامته وولايته، وقد توبع عليها، وأما الصحيح فلأننا نجد أكثر أحاديثه غريبة منكرة، وهو قد دافع عن نفسه بأنه إنما يحسدونه على علو الإسناد، ذلك عندما هدده ابن حبان بأنه سيستعدي عليه السلطان إن لم يتوقف عن الحديث بالحرم المكي، والله أعلم،
2. سعيد بن كثير بن عفير المصري: ثقة معروف سبق.
3. ابن لهيعة: صدوق وفيه تفصيل.. سبق
4. يزيد بن أبي حبيب (128هـ): محدث مصري مشهور، من رجال الشيخين على تدليس وإرسال كالزهري وعطاء وسائر التابعين.
5. داود بن أبي هند (نحو 140هـ): تقريب التهذيب: داود بن أبي هند القشيري مولاهم أبو بكر أو أبو محمد البصري ثقة متقن كان يهتم بأخرة من الخامسة مات سنة أربعين وقيل قبلها خ ت م 4، قلت: وقد رأى أنس بن مالك وروى عنه، ولعل رواية يزيد بن أبي حبيب عنه لعلو إسناده، وكان يزيد مصرياً بعيداً عن الصحابة والعلماء، فالعلم في الحجاز والعراق.
6. الشعبي (104هـ): تابعي مشهور ثقة عندهم بإجماع، وهو من عثمانية الكوفة.
7. ابن عباس (68هـ): صحابي مشهور

ملحق التراجم المفردة الموسعة:

الترجمة الأولى: عبد العزيز بن أبي رواد المكي (١٥٩هـ):

هو الداهية الكبير العارف عبد العزيز بن أبي رواد والد فقيه مكة عبد المجيد، وأحد الأئمة العباد، كان آية في العبادة والصبر والكرم والسؤدد.. هو القائل: لا كثر الله في المسلمين من حزبهم.. ويقصد يونس وأيوب وابن عون.. وهو القائل: ثور لا ينطحكم بقرنيه.. وهو أخو عثمان بن أبي رواد، وجبلة بن أبي رواد، والحكم بن أبي رواد، وعباد ابن أبي رواد، وابن عم عمارة بن أبي حفصة، ووالد عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد موالي آل المهلب بن أبي صفرة (ذكر هؤلاء المزي في ترجمته) يروي عن عكرمة والضحاك وطبقتهما (أي ممن ماتوا بعد المئة) ومن دونهم، وكان كثير المحاسن كما قال الذهبي، وابنه كان إمام الحرم بعده... وذكر أن أنه كان من أحلم الناس حتى لزمه أهل الحديث وأزعجوه فتركوه كالكلب الهرار! وكان ينكر على من يحكم على الناس بالشرك.. فهو من أوائل المعتدلين الذين وجدوا عنتاً من الغلاة، شأنه شأن أبي حنيفة في الكوفة، وجعفر بن سليمان الضبعي بالبصرة، وقد أقل الثوري الأدب معه ومع أسرته يوم موته.. فأظهر أنه يريد الصلاة عليه ثم جاوزه ليعرف الناس أنه مرجيء! وقد صعق الثوري عندما علم بأنه يفتي المسلمين! وهذا غريب، إن لم يفتهم هو وهو شيخ الحرم عبادة وفقهاً وذكاء وتقوى فمن يفتهم؟ هؤلاء الغلاة الذين يفتون في دماء المسلمين وأعراضهم؟[1].

سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ١٨٤)

عبد العزيز بن أبي رواد * شيخ الحرم، واسم أبيه ميمون، وقيل: أيمن بن بدر مولى الامير المهلب بن أبي صفرة، الازدي، المكي، أحد الائمة العباد، وله جماعة اخوة.

---

(١) ومن أحاديث عائلة ابن أبي رواد: صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٨٩١): حدثنا عمرو بن زرارة قال أخبرنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد عن عثمان بن أبي رواد أخي عبد العزيز قال سمعت الزهري يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك؟ فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضعفت، وقال بكر حدثنا محمد بن بكر البرستاني أخبرنا عثمان بن أبي رواد نحوه اهـ

حدث عن: سالم بن عبد الله، والضحاك بن مزاحم، وعكرمة، ونافع العمري، وجماعة.

وليس هو بالكثير للحديث.

حدث عنه: ولده فقيه مكة عبدالمجيد بن أبي رواد، وحسين الجعفي، ويحيى القطان، وأبو عاصم النبيل، وعبد الرزاق، ومكي بن إبراهيم، وابن المبارك، وآخرون.

قال ابن المبارك: كان من أعبد الناس.

وقال يوسف بن أسباط: مكث ابن أبي رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء، فبينا هو يطوف حول الكعبة، إذ طعنه المنصور بأصبعه، فالتفت، فقال: قد علمت أنها طعنة جبار.

قال شقيق البلخي: ذهب بصر عبد العزيز عشرين سنة ولم يعلم به أهله ولا ولده.

وعن سفيان بن عيينة قال:

كان ابن أبي رواد من أحلم الناس، فلما لزمه أصحاب الحديث، قال: تركوني كأني كلب هرار.

قال أبو عبد الرحمن المقرئ: ما رأيت أحداً قط أصبر على طول القيام من عبد العزيز بن أبي رواد.

خلاد بن يحيى: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال: كان يقال: من رأس التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس.

.. وذكر له قصة في الاستقراض تدل على محاسنه..

قال عبد العزيز: سألت عطاء بن أبي رباح عن قوم يشهدون على الناس بالشرك فأنكر ذلك.

قال عبد العزيز: اللهم ما لم تبلغه قلوبنا من خشيتك فاغفره لنا يوم نقمتك من أعدائك.

وعن عبد العزيز: وسئل: ما أفضل العبادة؟ قال: طول الحزن.

قلت: كان ابن أبي رواد كثير المحاسن، لكنه مرجئ.

قال مؤمل بن إسماعيل: مات عبد العزيز فجئ بجنازته، فوضعت عند باب الصفا، وجاء سفيان الثوري، فقال الناس: جاء سفيان، جاء سفيان فجاء حتى خرق الصفوف، وجاوز الجنازة، ولم يصل عليها، لأنه كان يرى الأرجاء.

فقيل لسفيان، فقال: والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي، ولكن أردت أن أري الناس أنه مات على بدعة.

يحيى بن سليم: سمعت ابن أبي رواد يسأل هشام بن حسان في الطواف:

ما كان الحسن يقول في الأيمان؟

قال: كان يقول: قول وعمل.

قال: فما كان ابن سيرين يقول؟

قال: كان يقول: آمنا بالله وملائكته.

فقال عبد العزيز: كان ابن سيرين، وكان ابن سيرين.

فقال هشام: بين أبو عبد الرحمن الأرجاء، بين أبو عبد الرحمن الأرجاء.

قال ابن عيينة: غبت عن مكة، فجئت، فتلقاني الثوري، فقال لي:

يا بن عيينة عبد العزيز بن أبي رواد يفتي المسلمين.

قلت: وفعل؟ قال: نعم.

قال عبد الرزاق: كنت جالساً مع الثوري، فمر عبد العزيز بن أبي رواد، فقال الثوري: أما إنه كان شاباً أفقه منه شيخاً.

وقال أبو عاصم: جاء عكرمة بن عمار إلى ابن أبي رواد، فدق عليه بابه، وقال: أين الضال؟ قال أحمد بن حنبل: كان مرجئاً، رجلاً صالحاً، وليس هو في التثبيت كغيره.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقال ابن حبان: روى عن نافع عن ابن عمر: نسخته موضوعة، وكان يحدث بها توهماً لا تعمداً.

قلت: الشأن في صحة إسنادها إلى عبد العزيز، فلعلها قد أدخلت عليه.

توفي في سنة تسع وخمسين ومئة، وله أخوان: عثمان: روى له البخاري في «صحيحه»، وجبلة.

ومن ترجمته في تهذيب التهذيب:

1. قال يحيى القطان عبد العزيز ثقة في الحديث ليس ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه
2. وقال أحمد كان رجلاً صالحاً وكان مرجياً وليس هو في التثبت مثل غيره [١]
3. وقال ابن معين ثقة وقال أبو حاتم صدوق ثقة في الحديث متعبد
4. وقال النسائي ليس به بأس
5. وقال يحيى بن سليم الطائفي كان يرى الإرجاء
6. وقال ابن المبارك كان يتكلم ودموعه تسيل على خده
7. وقال ابن عدي وفي بعض أحاديثه ما لا يتابع عليه
8. قال ابن قانع مات بمكة سنة تسع وخمسين ومائة
9. قلت (ابن حجر): وكذا قال عمرو بن علي الفلاس في تاريخه وابن سعد في الطبقات قال - يعني ابن سعد- وله أحاديث وكان مرجياً وكان معروفاً بالورع والصلاح والعبادة وخليفة في التاريخ والطبقات وابن أبي عاصم ويعقوب بن سفيان وابن حبان في الضعفاء وقال يكنى أبا عبد الرحمن يروي عن عطاء كان يحدث على الوهم والحسبان فسقط الاحتجاج به وقال البخاري قال لي بعض آل أبي داود مات قريباً من سنة 55 ولا أراه أنا إلا بعد لأن أبا نعيم وخلادا سمعا منه ولم يسمعا من ابن جريج قال وقال ابن بكير مات سنة 59
10. وقال ابن أبي حاتم يروي عن محمد بن كعب القرظي وغيره روى عنه شعبة

---

(١) هذا الإرجاء تهمة باطلة إنما كان ينكر على أهل الحديث وصفهم الناس بالشرك، واليوم نجد الغلاة يتهمون المعتدلين بالإرجاء، وللشيخ سفر الحوالي كتاب (ظاهرة الأرجاء)! يصب في الحث على التكفير، وله كتاب آخر عن السيد الكبير الروحاني محمد بن علوي المالكي أسماه (المالكي داعية الشرك في جزيرة العرب)! فهذه نتيجة ذمه للإرجاء وبغضه له أن يحكم على الناس بالشرك.

11. وقال علي بن الجنيد كان ضعيفاً وأحاديثه منكرات
12. وقال الحاكم ثقة عابد مجتهد شريف النسب
13. وقال الساجي صدوق يرى الإرجاء
14. وقال الدارقطني هو متوسط في الحديث وربما وهم في حديثه
15. وقال العجلي ثقة
16. وقال الجوزجاني كان غالياً في الإرجاء
17. وقال شعيب بن حرب كنت إذا نظرت إلى عبد العزيز رأيت كأنه يطلع إلى يوم القيامة
18. وقال حفص بن عمرو بن رفيع كنا عند بن جريج فطلع عبد العزيز وكان ابن جريج يوقره ويعظمه فقال له قائل يا أبا عبد المجيد من الرافضي؟ فقال من كره أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن جريج الحمد لله كان الناس يقولون في هذا الرجل ولقد كنت أعلم اهـ

قلت: كأنهم كانوا يريدون تركيب تهمة التشيع عليه.. لأنها أبلغ من الإرجاء فلم يفلحوا.

الجرح والتعديل - (ج ٥ / ص ٣٩٤)

عبد العزيز بن أبي رواد أبو عبد الرحمن مولى الأزد واسم أبي رواد ميمون

وهو عم عمارة بن أبي حفصة

وأبو حفصة وأبو رواد أخوان مكيان

روى عن عطاء والضحاك ونافع مولى ابن عمر ومحمد بن كعب القرظي روى عنه الثوري وشعبة ووكيع وأبو نعيم سمعت أبي يقول ذلك.

نا عبد الرحمن نا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان قال قال [جدى - ٢] [أبو سعيد - ٤] يحيى بن سعيد القطان: عبد العزيز بن أبي رواد ثقة في الحديث ليس ينبغي أن يترك حديثه لرأى أخطأ فيه.

نا عبد الرحمن انا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلى قال قال أبي: عبد العزيز ابن أبي رواد رجل صالح وكان مرجئاً، وليس هو في التثبت مثل غيره.

ثنا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين انه قال: عبد العزيز ابن أبي رواد ثقة.

نا عبد الرحمن سمعت أبي يقول: عبد العزيز بن أبي رواد صدوق ثقة في الحديث متعبد.

نا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن عبد العزيز بن أبي رواد فقال: خراساني سكن مكة.

ميزان الاعتدال - (ج ٢ / ص ٦٢٨)

عبد العزيز بن أبى رواد [عو] ميمون، ويقال: أيمن بن بدر المكي، من موالى المهلب بن أبى صفرة الأزدي، روى عن عكرمة، ونافع، وعنه ابنه عبدالمجيد، ويحيى ابن سعيد، وعبد الرزاق، وخلق.

قال ابن المبارك: كان من أعبد الناس، وقال أبو حاتم: صدوق متعبد، وقال أحمد: صالح الحديث.

وقيل: كان مرجئاً.

وقال ابن الجنيد: ضعيف.

وقال ابن حبان: روى عن نافع، عن ابن عمر - نسخة موضوعة هكذا قال ابن حبان يعتبر منه.

وروى أحمد بن أبي مريم عن يحيى: ثقة، يظن بالإرجاء.

وقال ابن عدي: حدثنا ابن أبي عصمة، حدثنا أحمد بن عبدالله بن قراب الحداد، حدثنا إبراهيم بن أبي منصور، حدثني عبدالله بن المغيرة [بمصر] حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن بعض أوصياء عيسى ابن مريم حى بالعراق، فإن أنت رأيته فأقرئه مني السلام. هذا من عيوب كامل بن عدي، يأتي في ترجمة الرجل بخبر باطل، لا يكون حدث به قط، وإنما وضع من بعده، فهذا خبر باطل وإسناد مظلم، وابن المغيرة ليس بثقة.

وأما ابن حبان فبالغ في تنقص عبد العزيز وقال: كيف يكون التقى في نفسه من كان شديد الصلابة في الإرجاء كثير البغض لمن انتحل السنن.

حدثنا أبو نعيم عبد الملك، حدثنا عمر بن شبة، حدثنا أبو عاصم، قال.

جاء عكرمة بن عمار إلى عبد العزيز بن أبي رواد فدق الباب وقال اين الضال؟

قلت: قلة أدب أخرى-

حدثنا السراج، حدثنا الحسن بن الصباح، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، سمعت فلانا

قال: قلت لعبد العزيز بن أبى رواد في الإيمان، قال: الإيمان واحد، ولكن يتفاضلون بالجنة، قلت: أصحابنا يقولون الايمان يزيد وينقص، قال: من أصحابك؟

قلت: أيوب، ويونس، وابن عون، فقال: لا أكثر الله في المسلمين حزبهم.

ثم قال مؤمل: مات ابن أبي رواد وسفيان بمكة، فما صلى عليه وعارض الجنازة فذهب والناس يرونه، فلم يصل، وقال: أردت أن أرى الناس أنه مات على بدعة.

قلت: قلة أدب من سفيان الثوري..

ثم أسند ابن حبان له حديثين منكرين: أحدهما لعبد الرحيم بن هارون أحد الناقلين عنه، والآخر لزافر بن سليمان عنه، والعجب من عبد العزيز كيف يرى الارجاء وهو من الخائفين الوجلين مع كثرة حجه وتعبده، مات سنة تسع وخمسين ومائة، رحمه الله وسامحه.

الترجمة الثانية: ابن عبد المجيد بن أبي رواد (٢٠٦هـ) م ٤:

وهو عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد المكي الثقة العابد (٢٠٦هـ) وقيل قبل ال (٢٠٠هـ) وقيل (٢١٤هـ).. وكان مفتي مكة، قال الذهبي في ترجمة والده عبد العزيز: (سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ١٨٤) حدث عنه: ولده فقيه مكة عبدالمجيد ابن أبي رواد اهـ وآل أبي رواد أتوا من خراسان بعد سقوط الدولة الأموية، وقتل أبو مسلم الخراساني أحدهم، لعله جد هذا.. وأصبحوا سادة مكة فقهاً وعبادة وزهداً وسؤدداً.. لكن أهل الحديث أزعجوهم.. وكان والده عبد العزيز بن أبي رواد كبير

العقل داهية عابداً ساخطاً على غلاة أهل الحديث.. ولذلك لم يرووا عنهم كثيراً من الحديث، لخصومة الداهية عبد العزيز مع الثوري وعكرمة بن عمار والثلاثة الذين ذمهم وأمثالهم، وخصومة الابن مع وكيع وسفيان بن عيينة وأمثالهم ممن يروون بجهل في مثالب النبي (ص) ويشهدون الزور على شهرة الحديث!.

تهذيب التهذيب - (ج ٦ / ص ٣٣٩)

م ٤ مسلم والأربعة عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد الأزدي مولى المهلب أبو عبد الحميد المكي روى عن أبيه وأيمن بن نابل وابن جريج ومعمر وسالم الجزري وغيرهم

وعنه الشافعي وأحمد والحميدي وابن أبي عمر ونوح بن حبيب وكثير بن عبيد وعبد الوهاب بن الحكم وسريج بن يونس وحاجب بن سليمان وعلي بن ميمون الرقي والعلاء بن مسلمة الرواس ومحمد بن حسان الأزرق وأحمد بن سنان القطان والزبير ابن بكار وغيرهم

قال أحمد ثقة وكان فيه غلو في الإرجاء وكان يقول هؤلاء الشكاك

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن بن معين ثقة ليس به بأس

وقال الدوري عن ابن معين ثقة

وقال ابن أبي مريم عن ابن معين ثقة وكان يروي عن قوم ضعفاء وكان أعلم الناس بحديث ابن جريج وكان يلعن (يعلن) بالإرجاء قال ولم يكن يبذل نفسه للحديث

وقال إبراهيم بن الجنيد ذكر يحيى بن معين عبد المجيد فذكر من نبله وهيبته وكان صدوقاً ما كان يرفع رأسه إلى السماء وكانوا يعظمونه

وقال البخاري كان يرى الإرجاء كان الحميدي يتكلم فيه

وقال الآجري عن أبي داود ثقة حدثنا عنه أحمد ويحيى بن معين قال يحيى كان عالماً بابن جريج

قال أبو داود وكان مرجئاً داعية في الإرجاء وما فسد عبد العزيز حتى نشأ ابنه وأهل خراسان لا يحدثون عنه

وقال النسائي ثقة

وقال في موضع آخر ليس به بأس

وقال أبو حاتم ليس بالقوي يكتب حديثه

وقال الدارقطني لا يحتج به يعتبر به وأبوه أيضا لين والابن أثبت والأب يترك

وروى له أبو أحمد بن علي أحاديث ثم قال كلها غير محفوظة على أنه ثبت في حديث ابن جريج وله عن غير بن جريج وعامة ما أنكر عليه الإرجاء

وقال سلمة بن شبيب كنت عند عبد الرزاق فجاءنا موت عبد المجيد بن عبد العزيز وذكر وفاته سنة ست ومائتين فقال عبد الرزاق الحمد الله الذي أراح أمة محمد صلى الله عليه وسلم من عبد المجيد

زيادات ابن حجر:

قلت وقال الدارقطني في العلل كان أثبت الناس في ابن جريج

وقال المروذي عن أحمد كان مرجئاً قد كتبت عنه وكانوا يقولون أفسد أباه وكان منافراً لابن عيينة!

قال المروذي وكان أبو عبد الله يحدث عن المرجىء إذا لم يكن داعية ولا مخاصماً

وقال العقيلي ضعفه محمد بن يحيى

وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالمتين عندهم

وقال ابن سعد كان كثير الحديث مرجئاً ضعيفاً

وقال الساجي روى عن مالك حديثاً منكراً عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الأعمال بالنيات

وروى عن ابن جريج أحاديث لم يتابع عليها

وقال ابن عبد البر روى عن مالك أحاديث أخطأ فيها أشهرها خطأ حديث الأعمال

وقال أبو حاتم ليس بالقوي

وقال الحاكم هو ممن سكتوا عنه

وقال الخليل ثقة لكنه أخطأ في أحاديث

وقال ابن حبان كان يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك

وقال الدارقطني في الأفراد ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا علي بن مسلم ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كلام القدرية كفر وكلام الحرورية ضلالة وكلام الشيعية تلطخ بالذنوب والعصمة من الله واعلموا أن كلا بقدر الله قال الدارقطني تفرد به عبد المجيد قلت وبقية رجاله ثقات

الجرح والتعديل - (ج ٦/ ص ٦٤):

عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد أبو عبد الحميد المكي مولى الأزد روى عن معمر وابن جريج سمعت أبي يقول ذلك، نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول ابن علية: عرض كتب ابن جريج على عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد فأصلحها له، فقلت ليحيى ما كنت أظن أن عبد المجيد هكذا قال يحيى كان أعلم الناس بحديث ابن جريج ولكن لم يكن يبذل نفسه للحديث،

نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس قال سمعت يحيى بن معين وسئل عن عبد المجيد بنِ عبد العزيز بن أبي رواد فقال ثقة

(نا عبد الرحمن انا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلى قال سئل يحيى بن معين وانا أسمع - عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد فقال ثقة - ٣) ليس به بأس

نا عبد الرحمن قال سألت أبي عنه فقال ليس بالقوى يكتب حديثه كان الحميدي يتكلم فيه اهـ

قلت: والكلمة الأخيرة في كلام الحميدي هي فقط ما ذكره البخاري في ترجمة عبد المجيد في تاريخه الصغير! فكأن البخاري علم حديثه هذا! فلا بد من محاصرة هذا الحديث وتضعيف كل رواته ولو بإخفاء التوثيقات الكثيرة وذكر الطعن النادر!

وفي طبقات خليفة - (ج ١ / ص ٥٠٥):

الطبقة السادسة عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد يكنى أبا عبد المجيد وبشر بن السري وعبد الله بن يزيد المقرئ يكنى أبا عبد الرحمن مات سنة أربع عشرة ومائتين اهـ قلت: جعله طبقة وحده.

الضعفاء الصغير للبخاري - (ج ١ / ص ٨٢):

عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد أبو عبد الحميد مولى الأزد كان يرى الارجاء عن أبيه وكان الحميدي يتكلم فيه اهـ قلت: أما الإرجاء فلو كان يراه كما يراه الشاميون ما أفتى بقتل وكيع! وأما الحميدي فإذا سلم من النصب فهو سعيد.

الكامل لابن عدي - (ج ٥ / ص ٣٤٤):

عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد مروزي سكن مكة يكنى أبا عبد الحميد

حدثنا علان ثنا بن أبي مريم قال سمعت يحيى بن معين يقول عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ثقة كان يروي عن قوم ضعفاء وكان أعلم الناس بحديث بن جريج وكان يعلن الإرجاء وقد كان قد سمع من معمر

حدثنا محمد بن علي ثنا عثمان قال قلت ليحيى بن معين فعبد المجيد بن عبد العزيز كيف هو قال ثقة

سمعت بن حماد يقول قال البخاري عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد أبو عبد الحميد كان يرى الإرجاء كان القدرة (الحميدي) يتكلم فيه

سمعت بن أبي عصمة يقول سمعت هارون بن عبد الله يقول ما رأيت أحداً أخشع لله من وكيع وكان عبد المجيد أخشع منه

حدثنا بن أبي عصمة ثنا أحمد بن أبي يحيى قال سمعت بن حنبل يقول عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي رواد لا بأس به وكان فيه غلو في الارجاء ويقول هؤلاء الشكاك

وفيما كتب إلي محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى المرزوي الكاتب في كتابه إلي بخطه ثنا أبي ثنا أبو الفضل العباس بن مصعب قال عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي رواد مرزوي وهو ابن عم عثمان بن جبلة بن أبي رواد جاور مع

أبيه بمكة وسمع، كتب ابن جريج وغيره من المشايخ وكان صاحب عبادة ولم ينقم عليه شيء إلا أنه كان يقول الإيمان قول

قال يحيى بن معين كان عبد المجيد أصلح كتب ابن علية عن ابن جريج فقيل له كان عبد المجيد بهذا المحل؟ فقال كان عالماً بكتب ابن جريج إلا أنه لم يكن يبذل نفسه للحديث، ونقم على عبد المجيد أنه أفتى الرشيد بقتل وكيع بن الجراح

[قصته مع وكيع]

والحديث في ذلك ما حدثنا قتيبة ثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات لم يدفن حتى ربا بطنه وأنثنت خنصراه، قال قتيبة حدث بهذا الحديث وكيع وهو بمكة وكانت سنة حج فيها الرشيد فقدموه إليه فدعا الرشيد سفيان بن عيينة وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد.

فأما عبد المجيد فقال يجب أن يقتل هذا فإنه لم يرو هذا إلا وفي قلبه غش للنبي صلى الله عليه وسلم

فسأل الرشيد سفيان بن عيينة فقال لا يجب عليه القتل رجل سمع حديثاً فرواه لا يجب عليه القتل إن المدينة أرض شديدة الحر توفي النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين فترك إلى ليلة الأربعاء لأن القوم كانوا في صلاح أمر أمة محمد واختلفت قريش والأنصار فمن ذاك تغير

قال قتيبة فكان وكيع إذا ذكر له فعل عبد المجيد قال: ذاك رجل جاهل يسمع حديثاً لم يعرف وجهه فتكلم بما تكلم!

[مما أنكروا عليه من الأحاديث]

حدثنا إسحاق بن أحمد الهدي بمكة ثنا يحيى بن سعيد بن سالم القداح ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن أبيه عن نافع عن بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنا معاشر الأنبياء أمرنا بثلاث بتعجيل الفطر وتأخير السحور ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة

حدثنا محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي بمصر قال ثنا خلاد بن أسلم ثنا بن أبي

رواد عن بن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي

حدثنا محمد بن القاسم ثنا عبد الرزاق بمكة ثنا أبو حمة ثنا أبو قرة موسى بن طارق ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ليث بن سعد عن نافع عن بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرم في ثوبين قطريين

حدثنا محمد بن أبي علي ثنا عمرو بن ثور حدثني أبي ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ابن أبي رواد ثنا بن جريج عن عمرو بن دينار عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من نمى خيراً أو قال خيراً أو أصلح بين الناس

حدثنا الحسن بن سفيان ثنا عبد الله بن محمد الخطابي ثنا بن أبي رواد عن ابن جريج عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يدع الخنا والكذب فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه

وهذا الذي رواه عبد المجيد عن ابن جريج عن ثابت عن أنس وإنما هذا من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة ومن حديث صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وحديث أحب الطعام إلى الله لم يروه عن ابن جريج غير عبد المجيد.

وحديث عمرو بن دينار يرويه عبد المجيد عن ابن جريج عن عمرو وحديث: إنا معاشر الأنبياء يرويه عبد المجيد عن أبيه عن نافع عن ابن عمر وكل هذه الأحاديث غير محفوظة على أنه يتثبت في حديث ابن جريج وله عن بن جريج أحاديث غير محفوظة وعامة ما أنكر عليه الإرجاء اهـ.

ولم يصفه يحيى بن معين ولا أحمد بالتدليس

ففي تاريخ ابن معين – الدوري – (ج ١ / ص ٥١) سمعت يحيى يقول عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي رواد ثقة،

وكذا وثقه أحمد ولم يتهمه إلا بالإرجاء،

وذكره العلائي في جامع التحصيل بهذا الخبر فقط، فقال في جامع التحصيل – (ج ١ / ص ١٠٧): عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ذكره أحمد في حديث رواه

عن عبد الله بن عمر فقال ينبغي أن يكون عبد المجيد دلسه أخذه من إنسان فحدث به ذكره الخلال في كتاب العلل اهـ

وذكروه فيما بعض في كتب المدلسين بقولهم (ذكر عنه شيء من التدليس)!

بينما أحمد وابن معين في أثبت الأقوال إليهم على توثيقه دون ذكر التدليس اهـ

الترجمة الثالثة: حكيم بن جبير استطراد في ترجمته وروايته هذا الحديث:

على افتراض أن حكيم بن جبير هو الذي سمعه منه الأعمش حديث إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر (مع أن الراجح أن حديثه آخر، وأن الأعمش سمع هذا الحديث من إبراهيم التيمي مباشرة) إلا أنه إذا كان مبناهم على تضعيف الحديث هو إقحام حكيم بن جبير في الإسناد كما أقحموا فرخاش في حديث (يموت على غير ملتي)، وبناء على إصرارهم على هذا الإقحام فلابد هنا من الاستطراد في ترجمته وبيان أنه ثقة عند التحقيق، حتى نقطع كل المحاولات الناصبية والممانعات السلفية والشكوك المشروعة، كل هذه على حد سواء ستتبدد إذا علموا أن حكيم بن جبير ثقة.

استطراد: في ترجمة حكيم بن جبير الأسدي

أول من ضعف حكيم بن جبير هو الإمام شعبة بن الحجاج وهو إمام أهل الجرح والتعديل بلا شك، وهذا الرجل أكن له من الاحترام ما لا أكنه للأئمة الأربعة، لأنه صاحب مهنة أمين على مهنته، ولو سار أهل الحديث على نهجه في الاعتدال لما كان أهل الحديث في هذا الضنك، ولما كان أهل الحديث في هذا التنافر العلمي والنفسي والمشيخي، فالإمام شعبة بن الحجاج أمة وحده، وله دين في عنق كل مسلم، والشرح يطول في محاسن هذا الإمام، فهو أمير المؤمنين في الحديث، وله أوهامه وأخطاؤه ونقائصه فلا ندعي فيه العصمة، وأما حجته في تضعيف حكيم بن جبير فهو رواية حكيم بن جبير لحديث صحيح الإسناد استنكره شعبة فكان ماذا؟ حديث واحد فقط، إلا أن أهل الحديث فرحوا بهذا التضعيف من شعبة لأن شعبة هو شعبة، فبالغوا في نقل تضعيف شعبة ووسعوه وفرعوه حتى يرفض الناس أحاديثه الأخرى التي تخالف مذهبهم، كبعض الأحاديث في ذم معاوية أو تلك الأحاديث العظيمة في فضل الإمام

علي، وهم أهل مكر أيضاً فهم يصححون ذلك الحديث ولا يهمهم أن يكون حكيم بن جبير صدق فيه أو كذب، وإنما يهمهم تضعيف حكيم بن جبير بذلك الحديث الذي صح عندهم من غير طريقه، وهذا من مكر أهل الحديث الذي لا ينتبه له أهل الحديث أنفسهم، وهم اليوم يفعلون الشيء ذاته، فإذا أرادوا التشنيع على شخص قد يذمونه بما يعتقدون من فكرة أو رأي حتى يقطعوا الطريق على من أراد الاستفادة من أفكار أخرى أو معارف أخرى يقول بها ذلك الشخص، وهذا من دقائق خصومات القوم.

إذن فحديث الصدقة الذي رواه حكيم بن جبير هو قاصمة الظهر التي أنهكت ترجمة حكيم بن جبير ومن اللؤم أن يستمر أهل الحديث على تضعيفه لروايته حديث قد صححوه، لكن أهل الحديث - ونحن مثلهم أو أسوأ- لم ندرس أخلاق العلم وآدابه، وكيفية ضبط النفس في سبيل البحث عن المعلومة.

وإذا صح الحديث الذي استنكروه عليه (وهو حديث الصدقة)، فكيف بصحة هذا الحديث في معاوية الذي رواه وتوبع عليه ولم يكن سبباً في هذه الحملة والتشنيع حسب الظاهر المعلن من أقوالهم؟ لا ريب أنه أولى بالبراءة من عهدته، وأبعد عن اتهامه به.. فالحديث صحيح الإسناد، سواء رواه الأعمش عن حكيم بن جبير عن شيخه إبراهيم التيمي به، أو رواه الأعمش عن إبراهيم مباشرة وهو الراجح[1]، فهم يصححون حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد عن أبيه عن أبي ذر في أصح الكتب! فلا إشكال إذن في قبول حديثهم في أن معاوية فرعون هذه الأمة.

الترجمة الرابعة: يحيى بن يعلى:

وهو الأسلمي، وهناك أكثر من راوٍ باسم يحيى بن يعلى، اثنان منهم ثقتان عند أهل الحديث وهما أبو المحياة والمحاربي، وأما الثالث فسنفصل فيه، وهو يحيى

---

(١) ومن أحاديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد معنعناً صحيح مسلم - (ج ٢ / ص ٣٦): حَدَّثَنِى عَلِىُّ ابْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِىُّ بْنُ مُسْهِرٍ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ قَالَ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي (يزيد بن شريك) الْقُرْآنَ فِي السُّدَّةِ فَإِذَا قَرَأْتُ السَّجْدَةَ سَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ أَتَسْجُدُ فِى الطَّرِيقِ؟
قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِى الأَرْضِ قَالَ « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ». قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ « الْمَسْجِدُ الأَقْصَى ». قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا قَالَ « أَرْبَعُونَ عَامًا ثُمَّ الأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ ».

ابن يعلى الأسلمي القطواني أبو زكريا[1]- يروي عن الأعمش والثوري وابن عيينة ويونس بن خباب وسعيد بن أبي عروبة ومحمد بن عبيد الله بن أبي رافع وعبد الغفار ابن القاسم الأنصاري وغيرهم/ وعنه أبو بكر بن أبي شيبة وقتيبة بن سعيد ونصر بن مزاحم وإسماعيل بن أبان الوراق شيخ البخاري (ووثقه) وعباد بن يعقوب (شيخ البخاري أيضاً) وغيرهم، وهو مضعف عند أكثر أهل الحديث بسبب المذهب، ولكن التضعيف غير شديد، ووجدت الإمام أحمد قد توقف فيه، أو امتنع عن إبداء رأيه فيه[2]، وكذلك نجد أبا حاتم وهو سلفي متشدد يقول (ليس بالقوي ضعيف الحديث) ولم يقل (كذاب ولا متروك..) ولا غير ذلك من الألفاظ الشديدة، فهذا يدل على شيء من توثيق، فأبو حاتم جراح متشدد وسلفي أيضاً وقد ضعف أبو حاتم البخاري صاحب

---

(١) ولكن كثيراً من أهل الحديث يخلطون بين هؤلاء الثلاثة حتى أن الحافظ بن حجر خلط بين السلمي والمحاربي، وكذلك نجد أبا بكر بن أبي شيبة يجمع بين أبي المحياة والأسلمي في اسم واحد، فإن كانا واحداً فهل تم فصلهما فيما بعد ليتم تضعيف الشطر الشيعي وتوثيق الشطر الآخر، والأسلمي كثير الأحاديث في فضل الإمام علي (وراجعوا تاريخ دمشق) ففي مصنف ابن أبي شيبة - (ج ١ / ص ٣٥٢) حدثنا أبو بكر (هو ابن أبي شيبة نفسه) قال نا يحيى بن يعلى الأسلمي... اهـ وهو يروي أيضاً عن أبي المحياة وهو (التيمي) ففي مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٧ / ص ٩٤٥): حدثنا يحيى ابن يعلى التيمي عن عبد الملك بن عمير.. / أما الأسلمي فقد روى عنه أبو بكر بن أبي شيبة كثيراً وكان للأسلمي عدة شيوخ عند ابن أبي شيبة منهم عثمان بن الأسود وعيسى بن موسى وعبدالله بن المؤمل، وله رواية في سنن البيهقي وتفسير الطبري الحاكم وصحح له.. / وكذلك نجد الأسلمي مع الكنية في شيوخ بعض التراجم (تهذيب الكمال للمزي - (ج ٦٢ / ص ١٧)... وعن:... وأبي المحياة يحيى بن يعلى الأسلمي) وكذلك الطحاوي خلط بين الأسلمي وأبي المحياة وجعلهما واحداً، ففي مشكل الآثار للطحاوي - (ج ٥ / ص ٤٠٤).. حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، قال: حدثنا أبو المحياة يحيى بن يعلى الأسلمي، عن الأعمش..) وكذلك في المعجم الكبير - (ج ٤٢ / ص ١٠١):.. أبو بكر بن شيبة ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي أبو المحياة عن أبيه يعلى بن حرملة..الخ / وفي أخبار أصبهان - (ج ٥ / ص ٠٣٤): ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، ثنا أبي، ثنا غيلان بن جامع، عن أبي إسحاق..الخ.

(٢) ضعفاء العقيلي - (ج ٤ / ص ٥٣٤): يحيى بن يعلى الاسلمي القطواني حدثنا عبد الله بن أحمد قال سئل أبي عن يحيى بن يعلى الاسلمي فقال لا أخبرك اهـ ويظهر لي أن أحمد يعرف أنه ثقة لكنه منزعج من بثه الأحاديث ذات الدلالات العظيمة في فضل علي التي قد يظهر لسامعها أنه أفضل من أبي بكر وعمر، فإنه لو قال (ثقة) لأخذوا بأحاديثه، ولو قال (ضعيف) لعرف أنه مبطل، وقد يكون السؤال في وقت من رقة القلب منعته عن التهور في تضعيفه، وللإنسان أحوال، قد يفجر في الخصومة المذهبية وقد يتورع، وهذه الأحوال والتقلبات ندركها في أنفسنا، ولكني وجدت اختلافاً في عبارة أحمد ففي العلل ومعرفة الرجال - (ج ٣ / ص ٦٥): سئل أبي عن يحيى بن يعلي الأسلمي عن أبي المحياة التيمي فقال لا أخبرهما اهـ وهنا الموضوع يختلف، فهو يعني أنه يجهلهما.

الصحيح فكيف بغيره؟ إضافة إلى رواية بعض الكبار عن يحيى بن يعلى كأبي بكر ابن أبي شيبة وأبي كريب وقتيبة بن سعيد وغيرهم، بل بعضهم وثقه كإسماعيل بن أبان الوراق شيخ البخاري وروى له ابن حبان في الصحيح ووثقه ابن شاهين وصحح له الحاكم وأقره الذهبي[1]، ثم نجد الدارقطني في سننه إذا أعل حديثاً فيه الأسلمي يعله بغيره وكذا ابن حجر والذهبي وغيرهم، وإنما توسع الهيثمي في مجمع الزوائد بإعلال الأحاديث به، ولا يزيد على قوله (ضعيف الحديث)، لم يقل مرة (كذاب، ولا متروك، ولا يضع الحديث..الخ)، ومن هذا كله؛ فهو عندي صدوق شيعي، ولا يقبل ما انفرد به للاحتياط، ولا ينزل حديثه عن رتبة الحسن لغيره، فهو إن كان ضعيفاً فهو من القسم الضعيف المقبول في الشواهد والمتابعات، (وفي بعض الموارد أخطأ ابن أبي شيبة في جمع نسبة الأسلمي وأبي المحياة فليبحث)، وفي الجرح والتعديل - (ج ٩ / ص ١٩٦): (يحيى بن يعلى الأسلمي أبو زكريا القطواني كوفي.. سألت أبي عنه فقال: كوفي ليس بالقوى، ضعيف الحديث)، وأما توثيق الوراق شيخ البخاري ففي المنتخب من ذيل المذيل - (ج ١ / ص ٥١) حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال حدثنا إسماعيل بن أبان[2] قال حدثنى يحيى بن يعلى الأسلمي وكان ثقة..)، وكذلك وثقه ابن شاهين ففي تاريخ دمشق - (ج ١٣ / ص ٢٢٣) قال ابن شاهين وهذا حديث غريب تفرد به يحيى ابن يعلى الأسلمي عن سفيان بن عيينة لا أعلم حدث به عنه غيره، ويحيى بن يعلى مات قبل سفيان بسبع عشرة سنة مات يحيى بن يعلى سنة ثمانين ومائة ومات سفيان بن عيينة سنة سبع وتسعين ومائة وقد حدث يحيى بن يعلى بهذا الحديث عن أبي موسى نفسه ولم يذكر فيه سفيان بن عيينة والذي عندنا والله اعلم أن هذا حديث صحيح من الوجهين جميعاً وذلك انه لعله سمعه يحيى بن يعلى عن سفيان بن عيينة قديماً في حياة أبي موسى ثم سمعه بعد ذلك عن أبي موسى وهذا يكون كثيراً في الحديث)

---

(١) وفي تقريب التهذيب - (ج ١ / ص ٨٩٥) يحيى بن يعلى الأسلمي الكوفي ضعيف شيعي من التاسعة بخ ت/ وله رواية في صحيح ابن حبان ومصنف بن أبي شيبة وغيرهما (ومنه صحيح ابن حبان - (ج ٥١ / ص ٣٩٣): حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: عن أنس بن مالك) فمثل هذا يقبل في الشواهد.

(٢) هو الوراق من شيوخ البخاري مات سنة (٢١٦هـ) ترجم له الذهبي في النبلاء ترجمة حسنة، وذكر أنه من أئمة الحديث.

وكان عابداً على ما قال ابن معين[1]، وهذه صفة الشيعة الأولى، كانوا عباداً مع اهتمام بالقرآن ونفور عن الظالمين ووعي تاريخي إلا أنهم يكثرون من الروايات القصصية غير الثابتة، وكذلك الأحكام في تضعيفه خجولة ففي موسوعة أقوال الدارقطني - (ج ٣٦ / ص ٨٣) يحيى بن يعلى الأسلمي القطواني، أبو زكريا، الكُوفِيّ، قال الدَّارَقُطْنِيّ ليس بالقوي) وقال البخاري (مضطرب الحديث) وقال ابن عدي (من جملة شيعة الكوفة).. وهكذا فلم أجد الأحكام عليه إلا هادئة خجولة ليس فيها تلك الكلمات (كذاب، يضع الحديث..) التي غالباً ما يطلقها أهل الحديث على المخالفين لهم في المذهب، وهذا يدل على أن الأسلمي هذا محدث كبير لكنه شيعي مكثر من الروايات في فضل أهل البيت، وكان حافظاً، وهو صاحب الرواية الطويلة عن عمار بن ياسر في حججه في قتال أهل الشام رواها نصر بن مزاحم (وذكرناها في كتابنا: حقيقة إسلام معاوية)، وأقل ما فيه أن يكون مقبولاً قي المتابعات والشواهد وهذه منها، ولهذا الأثر خاصة متابعة عن ابن عمر سبقت.

الترجمة الخامسة: أبو المثنى:

أبو المثنى: اسمه مسلم بن المثنى، من الطبقة الثانية أو الثالثة، كان مؤذن المسجد الجامع بالكوفة، لم يرو إلا عن ابن عمر وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وغيره، وكان مع ابن الزبير بمكة أيام حصار الحجاج[2]، وهو ثقة عندهم، وقد وثقه أبو زرعة وابن حبان والدارقطني وابن عبد البر وابن حجر وغيرهم، وصحح له الترمذي وابن حبان والحاكم وغيرهم، ولم يضعفه أحد، وفي تقريب التهذيب - (ج ١ / ص ٥٣٠): مسلم ابن المثنى ويقال بن مهران بن المثنى الكوفي المؤذن ويقال اسمه مهران ثقة من الرابعة

---

(١) الخبر الثابت ليوسف اللحياني تقريظ الشيخ عبد الله السعد- (١ / ٧٢): وقال ابن الجنيد: سألت يحيى عن يحيى بن يعلى الأسلمي؟ فقال: كان عابداً، ونقل الدورقي عنه: ليس بشيء اهـ

(٢) العزلة للخطابي - (ج ١ / ص ٧٢): أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرنا ابن الأعرابي قال: حدثني أبو سعيد الحارثي كريزان قال: حدثني يحيى بن سعيد القطان قال حدثنا محمد بن مهران بن مسلم بن المثنى قال: حدثتني مسلم قال: كنا مع عبد الله بن الزبير والحجاج محاصره وكان ابن عمر يصلي مع ابن الزبير فإذا فاتته الصلاة معه وسمع مؤذن الحجاج، انطلق فصلى معه فقيل له: لم تصلي مع ابن الزبير ومع الحجاج؟ فقال: « إذا دعونا إلى الله أجبناهم وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض لها »

د ت س وفي تهذيب التهذيب - (ج ١٠ / ص ١٢٣): مسلم بن المثنى ويقال بن مهران ابن المثنى أبو المثنى الكوفي المؤذن ويقال اسمه مهران روى عن بن عمر وعنه حفيدة أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن مسلم وإسماعيل بن أبي خالد وحجاج بن أرطأة قال أبو زرعة ثقة وذكره بن حبان في الثقات / وفي الجرح والتعديل - (ج ٨ / ص ١٩٥): مسلم بن المثنى أبو المثنى مؤذن مسجد الجامع مسجد الكوفة روى عن ابن عمر روى عنه أبو جعفر وليس بالفراء وإسماعيل بن أبي خالد وحجاج بن أرطاة نا عبد الرحمن سمعت أبي يقول ذلك. / ووثقه ابن حبان ففي ثقات ابن حبان - (ج ٥ / ص ٣٩٢): مسلم بن مهران القرشي أبو المثنى مؤذن الجامع بالكوفة يروى عن ابن عمر روى عنه أبو جعفر مؤذن مسجد العربان وابن ابنه محمد بن إبراهيم بن مسلم / موسوعة أقوال الدارقطني - (ج ٣٢ / ص ١٥٦) مسلم بن المثنى، ويقال ابن مهران بن المثنى، أبو المثنى، الكُوفِيّ المؤذن، ويقال اسمه مهران، قال البَرْقانِيّ قلتُ للدَّارَقُطْنِيِّ محمد بن مسلم بن مهران بن المثنى، قال بصري، يحدث عن جده، لا بأس بهما. / وفي مغاني الأخيار - (ج ٥ / ص ٤٥) مسلم مؤذن أهل الكوفة: هو مسلم بن المثنى، ويقال: ابن مهران بن المثنى القرشي الكوفي، وقيل: اسمه مهران. روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب. روى عنه إسماعيل بن أبي خالد، وحجاج بن أرطأة، وابن أمية، وأبو جعفر محمد بن إبراهيم بن مسلم بن المثنى مؤذن مسجد العريان. قال أبو زرعة: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. روى له أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأبو جعفر الطحاوي/ وفي لسان الميزان - (ج ٣ / ص ٢٤٨) مسلم بن المثنى وقيل شقران وقيل مهران ابن المثنى ويقال بن مهران أبو المثنى الكوفي المؤذن عن ابن عمر رضي الله عنهما وعنه حفيده أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن مسلم وثقه أبو زرعة / وفي تعليق للشيخ الأرناؤوط على صحيح ابن حبان - (ج ٤ / ص ٥٧٠) في حديث من رواة أبي المثنى قال: إسناده قوي./ وفي موضع آخر صحيح ابن حبان - (ج ٦ / ص ٢٠٦) قال ابن حبان نفسه: أبو المثنى هذا: اسمه مسلم بن المثنى من ثقات أهل الكوفة وقوله صلى الله عليه وسلم.. فهذا توثيق واضح كم ابن حبان، وقال شعيب الأرنؤوط عن ذلك الإسناد: إسناده حسن، وصحح له الحاكم في المستدرك، ومن المعاصرين الأرناؤوط في تحقيقه لابن حبان، والأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة وغيرهما، وليس له ترجمة عند الشيعة في ما هو في المكتبة الإلكترونية.

الترجمة السادسة: كثير بن يحيى أبو مالك البصري:

وهو ثقة عند التحقيق، ضعفه بعض النواصب مذهبياً، والأصل هو توثيق المتقدمين له واضطرب المتأخرون، ففي الجرح والتعديل - (ج ٧ / ص ١٥٨): كثير بن يحيى بن كثير أبو مالك البصري روى عن أبى عوانة ومطر بن عبد الرحمن الأعنق وواهب بن سوار وسعيد بن عبد الكريم بن سليط سمعت أبى يقول ذلك، قال أبو محمد روى عنه أبي وأبو زرعة، نا عبد الرحمن قال سألت أبي عن كثير بن يحيى بن كثير فقال محله الصدق وكان يتشيع، نا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن كثير بن يحيى فقال صدوق اهـ فهذا التوثيق القديم وهو الأصل، إلا أن أفراداً من النواصب المتقدمين كعباس العنبري ومن المتأخرين كالذهبي حاولوا الطعن فيه بسبب تشيعه، في ترجمته في لسان الميزان - (ج ٢ / ص ٣١١): كثير بن يحيى بن كثير صاحب البصري: شيعي نهى عباس العنبري الناس عن الأخذ عنه وقال الأزدي: عنده مناكير ثم ساق له عن أبي عوانة عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه سمعت علياً رضي الله عنه يقول: ولي أبو بكر رضي الله عنه وكنت أحق الناس بالخلافة قلت – الذهبي-: هذا موضوع علي أبي عوانة ولم أعرف من حدث به عن كثير انتهى كلام الذهبي، (قال ابن حجر): وقد روى عنه عبد الله بن أحمد وأبو زرعة وغيرهما قال أبو حاتم: محله الصدق وكان يتشيع وقال أبو زرعة: صدوق وذكره ابن حبان في الثقات فلعل الآفة ممن بعده اهـ قلت: لا آفة في الحديث وإنما الآفة في النصب الذي لا يقبل أن يكون الإمام علي يرى نفسه أولى بالخلافة، وهذا الرأي متواتر عن الإمام علي، وأدلته أقوى من الرأي الآخر الذين ينقله النواصب والسلفية المحدثة عن الإمام علي، وقد حاولت السلطة السياسية والرسمية المذهبية حجب هذه الحقيقة دون جدوى، ولا منكر في هذا الرأي، أعني فلير الإمام علي أنه أولى، ولير سعد بن عبادة أنه أولى، ولير أبو بكر أنه أولى.. فما الضير في هذا؟ ما هذا التسلط والدكتاتورية، هل يعقل أن كل المسلمين يرون أن فرداً أولى دون وقوع خلاف بينهم؟ هذا غير معقول، لا في الماضي ولا في الحاضر، وإنما السلطة توحي بهذا إلى الشعب، ثم أخذها المذهب عن السلطة/ وقد عدّل الذهبي من موقفه في كتابه تاريخ الإسلام (وهو لاحق عن كتابه ميزان الاعتدال) فقال الذهبي في تاريخ الإسلام - (ج ١ / ص ١٨٢١): كثير بن يحيى بن كثير أبو

مالك. عن: أبي عوانة وسفيان بن عيينة وثابت بن يزيد الأحوال وغيرهم. وعنه: عبد الله بن أحمد بن حنبل في زيادات المسند وابراهيم بن هاشم البغوي وعبيد الله بن النعمان المنقري وهشام بن علي السدوسي. قال ابن أبي حاتم: روى عنه أبي وأبو زرعة وقال: صدوق. توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين اهـ ولم يذكر جرح العنبري فهو ليس بذاك المعتبر على نصبه أيضاً، / وفي تعجيل المنفعة لابن حجر - (ج ١ / ص ٣٤٩) كثير بن يحيى بن كثير الحنفي أبو مالك البصري، عن أبي عوانة ومطر بن عبدالرحمن وغيرهما، وعنه عبدالله ابن أحمد وأبو حاتم؛ وقال كان يتشيع، وأبو زرعة وقال صدوق، وقال الأزدي عنده مناكير، قلت - ابن حجر - كان يعرف بصاحب البصري وكان عباس بن عبد العظيم ينهى الناس عن الأخذ عنه اهـ قلت: عباس العنبري ناصبي كبير، يعرف ذلك من تتبع أحكامه على الرجال والأحاديث، ومن أحاديث كثير بن يحيى البصري، حديث عاصم الليثي في لعن معاوية وأبيه، والحديث توسعنا فيه في حديث الدبيلة، ولا بأس أن نذكر بشيء منه، ففي الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٧ / ص ٧٨): قال: أخبرت عن أبي مالك كثير بن يحيى البصري قال: حدثنا غسان بن مضر قال: حدثنا سعيد بن يزيد عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! قلت: ما هذا! قالوا: معاوية مر قبيل أخذ بيد أبيه ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، على المنبر يخرجان من المسجد، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيهما قولا.) ومن أحاديثه حديث في فضل جندب الخير، والأقطع الخير (زيد بن صوحان) والحديث في تاريخ دمشق وسنده صحيح، وحديث (إني وإياك وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة) وصححه الحاكم من طريقه، وهو في فضل أهل البيت، وهو من رواة حديث الغدير (عند الطبراني من طريق زيد بن أرقم)، وهو أيضاً من رواة حديث الراية يوم خيبر (الطبراني)، وحديث (أنا حرب لمن حاربتم سلم لمن سالمتم = في جزء أبي الطاهر) ومن رواة حديث أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس في الخصال العشر لعلي، ومن رواة حديث علي: أمرت بقتال الناكثين (من طريق زيد ابن علي مسلسلاً عن علي)، وكل الأحاديث التي رواها في فضل علي صحيحة من غير طريقه، فهل يكتمها حتى يصبح مقبولاً عند

الغلاة؟ ثم قد روى في فضل أبي بكر وعمر أيضاً، فالرجل معتدل، بل قد روى حديثين من أحاديث معاوية (كما في المعجم الكبير للطبراني) فماذا يريد منه العنبري أكثر من هذا؟ وهو محدث سني خالص، ولذلك ليس له وجود في مصادر التراجم الشيعية مع أنهم يتوسعون في ضم كثير من السنة إلى تراجم الشيعة ربما من باب التكثر بهم كما تفعل السلفية المحدثة والحنابلة في ضم العلماء إلى تراجمهم، بل الحنابلة ترجموا في طبقات الحنابلة بعض شيوخ أحمد كالشافعي ووكيع! من باب التكثر فقط، وهم اليوم يضمون المشهورين ولو كانوا من أبعد الناس عنهم.

العبرة في اغتيال بني أمية لابن عمر:

أما العبرة فتقول - باختصار -: إن ترك الظالم في الحكم خشية الفتنة؛ لا يمنع الفتنة بل يؤكد وقوعها، فإن مجرد هذا الكلام فتنة وأي فتنة! فالفتنة ليست تحارب الحق والباطل، وإنما خفاء الحق والباطل على الناس حتى لا يدرون أيهما يركبون؟ وإنما مجرد بقاء الظالم في الحكم هو الفتنة عينها، وهي فتنة خفية ودائمة وضررها أسوأ من الحرب الأهلية، لأنها تعمل على تغيير الدين وتخريب العقول والضمائر، وأبلغ ما يخشاه هؤلاء من الفتنة هي الحرب الأهلية، ومع ذلك فكل حرب أهلية في التاريخ تنتج عقداً اجتماعياً يحمل القدر المشترك من العدالة، وهذا الذي هو أسوأ الخيارات هو أفضل بكثير من حاكم ظالم في وقت مبكر من الوضع السياسي المنتج لفقه أمة وعقيدتها كما هو الحال في عهد معاوية، نعم اليوم يمكن أن تكون المظاهرات أفضل، أما في القرن الأول فلو تظاهر مئات الآلاف لساقوهم إلى السجن على الأقل (مات الحجاج وفي سجنه ١٢ ألف مسلم)، فالواقع السياسي في القرن الأول أنتج تحريفاً لدين الله وضاعت حقوق الإنسان فقهياً وعقدياً، وأصبح يتم ذبح عباد الله باسم الله وباسم شرعه ورسوله، وهذه فتنة في الدين تؤدي لخراب مذهل في العقول والنفوس والسلوك، وضياع الأولويات، وإفساد اللغة التي هي لغة التواصل بين أفراد الشعب، وقد استمرت آثار فتنة معاوية وحزبه إلى اليوم، وأنتجت إسلاماً تاريخياً مختلف المحتوى عن الإسلام الإلهي، إسلام ظل أقوى من النص الصريح، ولعلنا نرى اليوم آثار تلك الفتنة، فقد يخطب الخطيبان خطبة واحدة وبألفاظ واحدة ثم يكون أحدهما صادقاً صالحاً عادلاً، والآخر كاذباً فاجراً ظالماً! هل هناك إفساد فكري ولغوي أبلغ من هذا؟

استطراد (١): اعتراف السلفية المحدثة بضعف حديث أبي جهل

بحث لأحد السلفية المحدثة من المعاصرين:

للمحدث المعاصر أبي إسحاق الحويني الأثري تقرير جيد في الرد على العيني وغيره ممن تعسف في إثبات سماع أبي عبيدة من أبيه فقال في كتابه: النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة - (ج ١ / ص ٧)

(أما علة هذا الإسناد، فهو الانقطاع بين أبي عبيدة، وبين أبيه عبد الله بن مسعود كما سبق وذكرت. ولكنى رأيت البدر العيني رحمه الله تعالى جعل يناطح في هذا، فقال في ((العمدة)) (٢/ ٣٠٢)- يرد على الحافظ ابن حجر- ((وأما قول القائل - يعني ابن حجر-: أبو عبيدة لم يسمع من أبيه، فمردود بما ذُكر في ((المعجم الأوسط)) للطبراني من حديث زياد بن سعد، عن أبي الزبير، قال: حدثني يونس بن عتاب (أ) الكوفي، سمعت أبا عبيدة بن عبد الله يذكر أنه سمع أباه يقول: ((كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر ... الحديث. وبما أخرجه الحاكم في ((مستدركه)) من حديث أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه، في ذكر يوسف - عليه السلام -، وصحح إسناده (أ)، وبما حسن الترمذي عدة أحاديث رواها الترمذي عن أبي عبيدة، عن أبيه، ومن شرط الحديث الحسن إن يكون إسناده متصلاً عند المحدثين)) أ. هـ.

رد الحويني:

كذا قال العيني رحمه الله تعالى، وقد كرهت له أن يجيب بهذا الجواب الواهي، ويمكن إجمال حججه في ثلاثة أمور:

الأول: ما وقع في ((الأوسط)) من التصريح بالسماع.

الثاني: تصحيح الحاكم لحديث فيه: ((... أبو عبيدة، عن أبيه)).

الثالث: تحسين الترمذي لأحاديث رواها أبو عبيدة عن أبيه، ولولا أن الإسناد متصل ما حسنها، إذ شرط الحديث الحسن اتصال السند.

والجواب عن ذلك من وجوه (وسأختصره):

الأول:

إن التصريح بالسماع الذي وقع في ((الأوسط)) للطبراني لا يصح...

فإن قلت: قد روى ابن أبي حاتم في ((المراسيل)) بسنده إلى سلم بن قتيبة قال: قلت لشعبة: إن البُري يحدثنا عن أبي إسحاق، أنه سمع أبا عبيدة، أنه سمع ابن مسعود. فقال (يعني شعبة): أوه! كان أبو عبيدة ابن سبع سنين، وجعل يضرب جبهته)) أ. هـ. فابن سبع سنين يمكن أن يسمع، بل يحفظ كما هو معروف ومثبوت في بطون الكتب. فهذا دليل في إثبات السماع.

نقول: أما ابن سبع سنين يمكن أن يسمع، بل ويحفظ فنعم ولكن البري واسمه عثمان بن مقسم كذبه ابن معين والجوزجاني، وتركه يحيى القطان وابن المبارك والنسائي والدارقطني، فالدليل غير قائم.

فإن قلت: قد قال الدارقطني: ((أبو عبيدة أعلم بحديث أبيه من حنيف بن مالك ونظرائه)) نقول: أما حنيف بن مالك، فصوابه: خشيف بن مالك - بخاء معجمة، ثم شين، فباء - وقد ذكر في ((الجرح والتعديل)) (١/ ٢/ ٤٠١- ٤٠٢) أنه روى عن عمر، وابن مسعود)) فهذا يدل على أنه قديم، ولكن ليس هناك تلازم بين أن يكون الأعلم قد سمع، فيكون أبو عبيدة هو الأعلم بمذهب أبيه، وفتواه، فما دخل السماع هنا؟!!

فإن قلت: قد روى عبد الواحد بن زياد، عن أبي مالك الأشجعي، عن عبد الله بن أبي هند، عن أبي عبيدة قال: خرجت مع أبي لصلاة الصبح. فهذا يدل على أنه أدركه ووعاه.

نقول: قال ابن أبي حاتم في ((المراسيل)). ص ٢٥٦) بعد أن ذكر لأبيه هذه الرواية: ((قال أبي: ما أدري ما هذا؟! عبد الله بن أبي هند من هو؟!

فإن قلت: قد روى البخاري في ((الكنى)) (رقم ٤٤٧) قال: مسلم، نا أبان، عن قتادة، عن أبي عبيدة أنه فيما سأل أباه عن بيض الحمام؟! فقال: ((صوم يوم)). فهذا يدل على أنه رعاه حتى صار يسأله عن مثل هذا السؤال. نقول: أما مسلم بن إبراهيم، أبان بن يزيد فكلاهما ثقة ولكن في السند عنعنة قتادة، فقد كان مدلساً.

فإن قلت: قال الذهبي في ((سير النبلاء)) (٤/ ٣٦٣): ((روى عن أبيه شيئاً، وأرسل عنه أشياء)) أ. هـ. فهذا التفريق من الذهبي يدل على أنه سمع، وإلا لما كان هناك معنى لقول الذهبي: ((روى.. وأرسل)). نقول: الذهبي - يرحمه الله - يعتمد في التراجم على الكتب المتقدمة عليه، ولعله قال: ((روى عن أبيه شيئاً)) يقصد به ما ذكره البخاري في ترجمته، وقد سبق وأجبنا عنه. ثم الرواية لا تستلزم السماع، لا سيما والدليل الصحيح قائم على النفي كما سيأتي - إن شاء الله تعالى.

[أقوال العلماء في عدم سماع أبي عبيدة من أبيه]

قلت - الحويني-: وإذ قد فرغنا من الإجابة عما قيل في سماع أبي عبيدة من أبيه، نسوق أقوال العلماء في نفي السماع. فقد أخرج الترمذي (١٧)، وابن أبي حاتم في ((المراسيل)) (ص- ٢٥٦) من طريق محمد بن جعفر، نا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: قلت: أبا عبيدة، هل تذكر من عبد الله شيئاً؟! قالَ: لا أذكر مِنْهُ شيئاً)). وتابعه أبو داود الطيالسي، قالَ: أخبرنا شعبة ... فذكره...... أخرجه ابن سعد في.. الطبقات)) (٦/ ٢١٠)، عن الطيالسي. وهذا سند صحيح حجة، وهو وحده كاف في الحكم بالانقطاع. وقال جماعة من العلماء بأنه لم يسمع من أبيه، منهم: أبو حاتم الرازي، (و) ابن سعد، قال: ((ذكروا أنه لم يسمع من أبيه))، (و)الترمذي. - كما سيأتي، (و)النسائي في ((السنن)) (٣/ ١٠٥)، (و)البيهقي - كما في ((نصب الراية)) (١/ ١٤٦)، (و) المنذري، (و) العراقي، (و)الحافظ ابن حجر، (و)البوصيري. في ((الزوائد))، (و)نور الدين الهيثمي في ((المجمع)) انظر مثلاً (٢/ ٦٠ و٦/ ٧١ و٧ / ١٩٣)، (و)النووي في ((المجموع)) (٣/ ٦٩)، (و)الشيخ أحمد شاكر في مواضع كثيرة من ((المسند)). وانظر (٦/ ٤، ٢٣، ٢٤، ٣٢، ٤٤، ٤٥، ٦٧، ٦٨، ٨١، ٨٩، ٩٥، ٩٩، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٥٦، ١٨١، ١٩٩، ٢٠١) وكذا في تعليقه على ((الروضة الندية)) (ص - ١٧٣)، (و)شيخنا الألباني. في مواضع، منها ((الضعيفة)) رقم (١٧٥، ٣٣٤، ٦١٥، ٩٦٥).

قلت - الحويني-: فهذا ما حضرني ساعة كتابة هذا البحث، ولو أني أمعنت النظر لوقفت على نماذج كثيرة. فهذا هو الوجه الأول في الرد على البدر العيني.

أما الوجه الثاني

أن العيني - رحمه الله - اعتمد على حديث أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (٢/ ٥٧٢) من طريق زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه قال: ((إنما اشترى يوسف بعشرين درهماً ...... الحديث)) قال الحاكم: ((صحيح الإسناد)) ووافقه الذهبي!!.

قلت: كلا، وفي الإسناد، دون الانقطاع.

الأول: أن أبا إسحاق السبيعي كان قد اختلط، وزهير بن معاوية سمع منه (بعد) الاختلاط، كما قال ابن معين وأحمد والترمذي.

الثانية: أن أبا إسحاق مدلس وقد عنعنه. فلو صرح أبو عبيدة بالسماع من أبيه في ذلك الخبر لم ينفعه، لكونه ما سلم من الخدش. والله أعلم. ثم إني - جد - متعجب من العيني رحمه الله تعالى، كيف طابت نفسه باعتبار أن هذا الذي رواه الحاكم دليل على السماع، مع كونه من العالمين - قطعاً - بكثرة أوهام الحاكم في المستدرك، والذهبي يتبعه في كثير من هذا الوهم؟!! وَهَذَا ما حدا بي - قديماً - إلى تتبع كل ما وهم فيهِ الحاكم وتبعه عليهِ الذهبي، وأظهرت وجه الصواب فيهِ، وسميته: ((إتحاف الناقم بوهم الذهبي والحاكم، قطعت فيهِ شوطاً لا بأس بهِ، وله قصة ذكرتها في ((مقدمته))، فلله الحمد.

الوجه الثالث: وهوَ أعجب الثلاثة الوجوه على الإطلاق، وأكثرها طرافة، فقد زعم العيني رحمه الله أن الترمذي ممن يصححون سماع أبي عبيدة من أبيه اعتماداً على تحسينه لكل الأحاديث التي أخرجها لهُ: ((إذ من شرط الحديث الحسن أن يكون إسناده متصلاً عند المحدثين)).

قلت: قد أخرج الترمذي عقبه، والله المستعان. - ثم ذكر نماذج من أقوال للترمذي في السنن بإثبات الانقطاع بين أبي عبيدة وابيه)..

قلت - الحويني-: فظهر من كلام الترمذي على هذه الأحاديث أنه لم يقل: ((حديث حسن)) ويسكت، بل يعقبه بأن: ((أبا عبيدة لم يسمع من أبيه)): فأين محل قول العيني: ((ومن شرط الحديث الحسن أن يكون إسناده متصلاً..))؟!

ثمَّ إن الترمذي قالَ: ((حديث حسن، فلا يمكن أن يحسن الحديث ثمَّ يردفه بذكر الانقطاع في سنده، إلا أن قدْ قصد أنه ((حسن لغيره)) لمجيئه من طرق أخرى بخلاف المنقطعة، أو يكون له شواهد.

فإن قلت: قد قال الترمذي في الحديث (١٧٩): ((ليس بإسناده بأس إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه)) فهذا يدل على أن الإسناد المنقطع ليس به بأس.

قلت: الجواب من وجهين:

الأول: أن يُحمل كلام الترمذي على أنه لا بأس به في الشواهد والمتابعات، وإلا فالمنقطع عند جمهور المحدثين قسم من الحديث الضعيف.

الثاني: أن هذه العبارة يستخدمها كثير من المحدثين، فيقولون: ((إسناده صحيح لولا الانقطاع بين مكحول وأبي هريرة)) قال ذلك البيهقي في حديث: ((صلوا خلف كل بر وفاجر)) - فتخرج كلمة الترمذي هذا المخرج.

فإن قلت: قد قال في الحديث (٣٠١١/ ٢): ((هذا حديث حسن)) فلم يذكر الانقطاع.

قلت: قد ذكر الانقطاع في مواضع كثيرة، والأخذ بالمفسر الزائد كما هو معروف. وبالجملة: فقد أطلت في هذا البحث، رجاء رفع الشبهة، وحسم مادة الجدل، وظهر منه أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه على الصحيح من أقوال المحققين، أما البدر العيني رحمه الله تعالى، فما تعلق بشيء له طائل والله أعلم اهـ مختصراً.

نقل اعتراف آخر.

وفي منتدى أرشيف ملتقى أهل الحديث ٢ - (ج ١ / ص ١٣٥١٤) سؤال وجوابه هما:

ما صحة قول النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أبي جهل «إنه فرعون هذه الأمة» عندما أخبره ابن مسعود عن قتله إياه، فإن كان صحيحاً كيف يكون أبو جهل من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد مات كافراً، ومن المعلوم أنه إذا أطلق لفظ «أمة محمد » قصد به المسلمون دون غيرهم؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واتقى حده. أما بعد.

فجواباً عن سؤال القائل: « ما صحة قول النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أبي جهل » إنه فرعون هذه الأمة.. « يعني السائل: هل ثبت ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم- ثم يسأل عن وجه وصف أبي جهل بأنه فرعون هذه الأمة، مع أن أمة محمد هم المسلمون فقط دون غيرهم. فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: الحديث المذكور أخرجه الإمام أحمد (رقم ٣٨٢٤، ٣٨٢٥، ٤٢٤٦، ٤٢٤٧) وأبو داود مختصراً ليس فيه موطن الشاهد (رقم ٢٧١٦)، والنسائي في السنن الكبرى مختصراً (رقم ٨٦١٧) وغيرهم من طريق أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه - رضي الله عنه - بقصة مقتل أبي جهل يوم بدر، وفيه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « هذا فرعون هذه الأمة ». غير أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه كما عليه عامة من تكلم في هذا الإسناد من أهل العلم، وانظر البحث القوي للشيخ أبي إسحاق الحويني في هذه المسألة الإسنادية المذكورة في كتابه (النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة ١/ ٢٦ ٣١ رقم ٦)

ولذلك قال ابن حزم في المحلى (٩/ ٣٨٩) عن هذا الحديث « إسناده متكلم فيه »

وللحديث متابعات كلها لا تصح، ومرجعها إلى أن تكون وهماً عن الرواية السابقة كما بين ذلك النسائي في الكبرى (رقم ٥٩٦١)، والدارقطني في العلل (٥/ ٢٩٤-٢٩٥ رقم ٨٩٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٩٢-٩٣).

مع أن أصل قصة مقتل أبي جهل ثابت صحيح لكن دون ذكر الكلمة المسؤول عنها، فانظر صحيح البخاري (رقم٣٩٦١،٣٩٦٢،٣٩٦٣،٣٩٦٤،٣١٤١) وصحيح مسلم (رقم ١٨٠٠).

ثم قال: ومع ما ذكرناه من الكلام في إسناد هذا الخبر إلا أنه قابل للتحسين لعلم أبي عبيدة بأبيه وتقصيه لأحواله، ولذلك كان الترمذي غالباً ما يُحَسِّن أحاديث أبي عبيدة عن أبيه.

الخلاصة: أن هذه اللفظة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم. أ.هـ.

ومن علل حديث أبي جهل: الأذكار - (ج ١ / ص ١٤٦): قال ابن علان في « شرح الأذكار: أخرج الحافظ الحديث عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله إن الله قد قتل أبا جهل، قال: الحمد لله الذي أعز دينه ونصر عبده، قال: قال مرة: وصدق وعده، قال الحافظ: هذا حديث غريب، أخرجه النسائي في كتاب « السيرة » ولم يخرجه ابن السني عن النسائي، وإنما أخرجه « في عمل اليوم والليلة » من طريق علي بن المديني عن أمية بن خالد، ورجاله رجال الصحيح لكن أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه: وأخرجه أحمد أيضا، وسياقة أتم، ولفظة: الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده..الحديث، وفي آخره، فقال: هذا فرعون هذه الأمة اهـ!!.

التعليق:

قلت: قوله (هزم الأحزاب وحده) إنما قيلت بعد الخندق أو بعد الفتح..وأما يوم قتل أبي جهل فلم يكن هناك أحزاب!

إطلالة على أثر ثقافة معاوية على الأحداث المعاصرة:

معاوية والثورات المعاصرة:

إذا أردتم أن تكتشفوا عجزكم عن معرفة الثقافة التي نشرها معاوية؛ فانظروا هذا الإنتاج العقائدي السلفي، من حيث بساطة الفكرة وخطورتها في الوقت نفسه، والتقاء كل العقائد السلفية على سفك الدماء عند القدرة، والنفاق عند العجز، فهم يفتحون كل بلاد بالمصحف والريال والبسمة الماكرة، هذا الفكر (الأموي السلفي) يقوم على دعامتين: الطغيان عند القوة والانتهازية عند الضعف، هما حملتاه عبر التاريخ إلى مراكز القرار، وانظروا إن شئتم إلى قناة ليبيا الرسمية ستجدون فيها شيخاً ليبياً بلباس خليجي يدافع عن القذافي ويرفع صورة صالح الفوزان على الشاشة! مه حاضرة صوتية للعبيلان على قناة شباب ليبيا! ويقابله على قناة الجزيرة شيخاً ليبياً سلفياً بلباس ليبي يكفر القذافي! وبجواره شيخ مصري بلباس خليجي يهدر دم القذافي ويناصر حلف الأطلسي، انظروا إلى هذه الطلاسم السلفية المتقاطعة! فإن استطعتم فلك رموزها فستعرفون معاوية، وستكتشفون أثره في ثقافتنا، بل على عقولنا وضمائرنا

وسلوكنا وأشكالنا، فهذا السلفي الليبي في قطر لا يختلف عن ذاك السلفي الليبي في طرابلس في نصرة الطغيان، فكلاهما عابد لمعاوية ومنطلق منه وراجع إليه ومحتج بتراثه والشعب ليس له إلا أن يختار معاوية أو معاوية!.

ويتبين معاوية في تلعثم الشيخ القرضاوي - الإخواني المتمسلف- وكنا نراه إماماً في الاعتدال، إلا أن حبه لمعاوية لحقه في عقله، فهو كثير التناقض والانتقائية مع شهوة العلو في الأرض، وقد رأى المتأمل المنصف كيف أنه يكشر من وقت لآخر عن طائفية مدفونة ليجلب بها أكبر قدر ممكن من الحمقى، فهو إضافة إلى تسالمه مع منهج معاوية فهو أيضاً يشعر بعقدة ضعف أمام السلفية المحدثة التي بدعته وكفرته والسلفية المحدثة مشوبة بنصب ظاهر، وهي قائمة على الطائفية، فحاول أن يتقرب إليها بتفعيل الغرائز الطائفية، فهو عندما تحدث عن سوريا تحضر الطائفية في خطابه في جانب غير الجانب الذي تحضر فيه عندما يتحدث عن البحرين! فهناك يذم الرئيس طائفياً، وهنا يذم الشعب طائفياً! وبعد هذا يقول إنه مع العدل وضد الطائفية؟ هذه الثعلبة لا تليق بالشيخ، وذمنا هنا للسلفية المحدثة ليس على أساس طائفي، فلو اقتصر أمرهم على تشبيه الله بخلقه أو بغض أهل البيت مع الإقرار بحقوق الإنسان لكان لهم رأيهم، لكن عقائدهم مبنية على الظلم والطائفية، فهم يتبعون العقائد بممارسات سلوكية وأحكام عقوبات في غاية القسوة، ومن هنا فليس كلامي عنهم طائفياً وإنما معياري حقوقي، فلما عرفنا أنهم إنما لبس عليهم دينهم من أيام معاوية، كان لزاماً علينا أن نبسط القول في معاوية بعشرات الكتب الموثقة حتى يعرفون من أين أتاهم هذا العنف وهذه الكراهية للمسلمين، فالمعيار حقوقي، وكذلك عندما نذم بني أمية لا نذمهم إلا لهذا السبب، لأنهم ظالمون ومجرمون إلا القلة، واستبانة سبيل المجرمين لا يأتي بالكلام الإنشائي وإنما بتوثيق كل حادثة أو حديث في مبحث مفرد، حتى تقوم الحجة على المتابعين من الطيبين الأتقياء الذين لا يعرفون من حب الله ورسوله إلا ما أبقى لهم معاوية، حب نظري ناشف لا روح فيه، ولا يمنع من كبيرة ولا يعفو عن صغيرة، هذا ضنك شديد، (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) ومن ذلك الذكر الذي أعرضوا عنه ذم الظالمين واستبانة سبيل المجرمين.

سامح الله الشيخ القرضاوي وهداه وصرفه عن الأموال المضلة عن سواء السبيل،

فإنه ما ترك النبي (ص) على أمته فتنة أعظم من المال، فكيف إذا اقترن بحب العلو في الأرض والأنس بالظالمين وما خلفوه من عقائد وأحاديث وأحكام.

وفي اليمن نرى الانتهازية السلفية ظاهرة جداً في الأطراف الأساسية من الصراع، سواء السلطة أو الإصلاح أو التيار السلفي المتوزع عليهما وبينهما، فهذه قناة يمنية فيها شيخ يمني بخنجر يمني وعقل سلفي يثني على محمد بن عبد الوهاب ويدعو لعلي عبد الله صالح، وآخر إصلاحي بعقل سلفي في ساحة التغيير يقول: إرحل! ويعد بالخلافة الإسلامية ثم يعتزل في أرحب! والقابع في النهدين سلفي أيضاً من أيام افتتاح المعاهد العلمية! فكان أول حاكم يمني يدخل السلفية خدعة كما كان أبو جعفر المنصور أول خليفة عباسي يدخل السلفية خدعة، فوجد الاثنان في هذا المذهب مساحات غير متوقعة من السعة والظلال المتدلية على كل ظالم، من طاعة مطلقة ودعاء دائم ومحبة بظهر الغيب مع ضياع محاسبة وضعف عقل وطاعة في العامة، ولا يشترطون في الحاكم إلا أن يكون أشد ظلماً للمذاهب المخاصمة لهم، فإن ظلمها فقد اكتمل صلاحه وبان عدله وظهرت سنته وحمدت طريقته، بل يصبح رمزاً يؤخذ منه التشريع في قتل المخالفين ويدخل في نونيات القصائد العقدية، وبهذا يجب الاقتداء به ويصبح مصدراً للتشريع ومساعداً في إعداد الفتاوى لاستئصال أكبر قدر ممكن من المسلمين!

إذن فالمتخاصمون في اليمن يتخاصمون داخل بيضة، ولا يرون غير أنفسهم، ولا يلتفتون للحلول في الثقافات الإنسانية العالمية فهي مرفوضة من جميع فئات أطياف تلك السلفيات السابق ذكرها، فكيف بتراث الفرق الإسلامية المنقرضة (كإخوان الصفا والمطرفية وفلاسفة المسلمين) أو تراث الثقافات التي ضربت عليها الذلة والمسكنة (كالزيدية والأباضية)، وهذه الثقافات الإسلامية المستضعفة لها اهتمامات حقوقية وجوانب معرفية أفضل بكثير من الطوائف السمان، وأهل اليمن من أكثر الناس تعالياً عن الثقافات المحلية وأذلهم للثقافات الوافدة، خاصة الثقافة الغنية بالأموال والمصالح! وأذكر أني رأيت برنامجاً ذات مرة للشيخ السلفي المجنون عبد الوهاب الديلمي، عن مراكز العلم قديماً فذكر مراكز العلم إلا في اليمن أهملها، مع أن صنعاء وذمار وصعدة وعدن وزبيد وحضرموت ولحج وغيرها مراكز علمية أرقى من كثير من المراكز التي تتبعها في العالم الإسلامي، واليمنيون المتعلمون في السعودية يعودون

متعالين على بني قومهم الفقراء! وكنت في بداية الطلب (وأنا سعودي من جنوب المملكة) أفعل مثلما يفعل اليمنيون، فأكثر من البهرجة والاغترار بالفتاوى النجدية وأتتبع بعض كبار السن الزيدية في بلادي لصدهم عن الجهر بالبسملة والإرسال ونحوها من الدقائق، ثم بعد أن عرفت البيت من داخله، عرفت أنه بيت السلفي بيت زاهي المنظر من الخارج، فالقوم مع الدليل وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الله ورسوله.. الخ، أما في الداخل فلا حرية بحث ولا حسن تعلم ولا حرص على المعلومة وكل يؤخذ قوله ولا يرد إلا الله ورسوله، فالجهل سلطان والعلم مهجور، وأشقى الناس عاقل يجري عليه حكم جاهل.

والسلفية في مصر أيضاً فيها من العجائب الشيء الكثير، فهذه قناة مصرية فيها شيخ سلفي مصري بلباس خليجي يتكلم في رضاعة الكبير ويدعو لحسني مبارك! وآخر يخطب في ميدان التحرير ويدعو الأقباط للصلاة مع المسلمين ولا يرضى بصلاة الشيعة مع السنة! إنه الغرام بالعلو في الأرض فقط، ثم الأقباط يريدون عدلاً حقيقياً وليس مجرد المشاركة في الطقوس، وستفجر السلفية مصر وتعيدها سيرتها الأولى إن لم يتم تدعيم النقد الذاتي للعلوم المورثة من زمن معاوية،، وهل يستطيع ذلك الشيخ أن يفسر آية الجزية؟ هل يستطيع أن يجد لها مخرجاً عادلاً؟ هل يكفي أن يقال إن الجزية لا تطبق على عصرنا؟ وهل جاز أن تطبق على كل أهل الكتاب القرن الأول حتى تطبق على كل أهل الكتاب في عصرنا؟ من لا يرى بطلان تعميمها في القرن الأول لن يعرف كيف يتصرف معها في القرن الخامس عشر، الجزية في القرآن الكريم إنما أتت في سورة براءة وهي خاصة في حلفاء أبي سفيان من اليهود، وسورة التوبة كلها لها تفسير كتمه حزب معاوية وقد أفردت تفسير في مبحث ولعله يخرج قريباً إن شاء الله، فذلك الشيخ الذي يدعو الأقباط لمشاركة المسلمين في السجود مظهر سلطاني لا مظهر علمي ولا ديني، ولن يستطيع الإنصاف محب لمعاوية أبداً، وقد سرت كثير من عقائده وفقهه إلى كتب الشيعة فكيف بالسنة؟ ولكن من يبحث؟ من يجرؤ؟ من يمتلك الوعي التاريخي؟ من يستطيع تتبع أثر السلطة في صناعة النص وتفسيره؟ من من؟.

وعلى كل حال: ربما يتذكر القراء كثيراً من السخافات الأخرى التي تظهر على

شيوخ عصرنا أكثر مما ذكرت، مما يدل على الانتهازية الشديدة والسطحية الفكرية والإهمال الحقوقي والتناقض الفج، وهذه كلها من إنتاج معاوية، إنها لوحة تشكيلية رسمها معاوية في عقولنا وقلوبنا وأشكالنا! إنها لوحة مرسومة بأحرف القرآن الكريم في نصرة الطغيان مع إلباسها بردة النبي (ص) ومنتقيات السلف، ولذلك وظف هؤلاء الكتاب والسنة في خدمة المذهب والحزب، وهذه متاجرة بالدين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) [البقرة: ١٧٤ - ١٧٦] (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾ [آل عمران) / / ومضاهاة لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وهذه الآيات وغيرها لن يستفيدوا منها لأنهم لا يرونهم مخالفين لكتاب الله وليس عندهم القدرة على اكتشاف أنفسهم وما فيها من آثار السلطات الظالمة، فهم قوم مستعجلون، ليس عندهم الوقت الكافي ليتدبروا آية، أو يعتبروا من حدث، أو يعرفوا حقيقة شخصية من الفراعنة.

ولن نستطيع الخروج من هذه التجاويف الضميرية والفكرية إلا بأمرين: إعادة قراءة كتاب الله تعالى على أساس تدبر يختلف عن التفسير بالمأثور لأن هذا المأثور أكثره من إنتاج السلطة، بل إلى تدبر لفظي وسياقي وموضوعي ثم علمي معرفي ثم حقوقي، وهذا كله ينبع من معرفة الله أولاً، لأن الله لا يعرفه أكثر المسلمين إلا سلطاناً كسائر السلاطين كمعاوية أو عبد الملك أو أبي جعفر المنصور أو هارون الرشيد، فقد نجح السلاطين الظلمة نجاحاً كبيراً في تصوير الله على شبههم، حتى يرضى الناس بهم حكاماً كما يرضون بالله رباً، فالله في التصور السلطاني الأموي ثم العباسي - وما أنتجاه من عقائد- إله مزاجي ومتعصب وظالم، يأخذ بكفه نصف الناس إلى النار ولا يبالي ويأخذ بالكف الأخرى نصفهم إلى الجنة ولا يبالي (نعوذ بالله من هذا العبث)،

ويدخل الظالم الجنة بكلمة، ويدخل العادل النار بأخرى، إذن يجب أن **يبدأ التصحيح من العلم** بالله وغاياته من الخلق وعدله وسننه في خلقه، ثم الأمر **الآخر معرفة القلة عبر** التاريخ فالحق مفرق في الأقليات، والباطل مجموع في **الكثرة المدعومة بالسلطان** وأهله من التيارات الرسمية التي كانت تتعاون مع الظالم **في محاربة الحقيقة والمعلومة**. بدون هذين الأمرين لن نعرف الإسلام الإلهي وسنبقى **نعبد الله بإسلام معاوية،** ذلك الإسلام السلطاني الظالم الأحمق الضَّنِك الحاقد **على بقية المسلمين الحريص** على إشغالهم بأنفسهم، وترك مبادىء الإسلام العليا مؤجلة **أو مغيبة عن التداول** العقائدي والفقهي.

الفهرس